المختار

من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

عالم واحد - أمم شتى	مجلة «شاتلين»	١
ذخيرة الحكمة	صحيفة «نيويورك تيمز»	٦
يوم تفجرت جزيرة كراكتوا	مجلة «نتشر»	٨
نوادر مستطرفة	بنيت سرف	١٤
من صميم الحياة : الزوجتان	دوروثي كانفليد فيشر	١٥
كيف تستمتع بضعف الذاكرة ؟	كتاب «متعة النسيان»	٢١
العبقرية : سرها وتميتها	مجلة «نيوريبليك»	٢٤
الأرنب القطبي	مجلة «ذي أميريكان ميركيوري»	٣٠
الحاجة تفتق الحيلة	ستانلي هاى	٣٣
طبائع البشر		٣٩
عادوا يشقون أجواز الفضاء	«أميريكان مجازين»	٤١
أمير الدواجن	مجلة «كنترى جنتلمان»	٤٥
أجربت أن تعمل على أنغام الموسيقى ؟	مجلة «فوربز»	٥٠
عجلات تدور في رأسه	من كتاب م . م . موسلمان	٥٢
ثياب الامبراطور	هانس كرستيان أندرسن	٦٠
الشخصيات التى لا تنسى : زوجة عبقرى	أوستين استرونج	٤٦
بنزين جديد	مجلة «كوليرز»	٧٠
الحرب الخفية بين الرقباء والجواسيس	صحيفة «وشنطن بوست»	٧٢
امتحن زوار دارك		٧٩
الطريق الوحيد إلى إنشاء حكومة عالمية	مجلة «أتلانتك الشهرية»	٨٠
إذا تعبت فكل	مجلة «رفيو أوف رفيوز»	٨٥
مجاهد فى سبيل الله	جون أ . أوبريان	٨٩
لوذاع هوليوود	أندرو ب . هشت	٩٥
سامرات المختار		٩٦
انتفع بتجاربى : لا تتردد	ستيفان زفايج	١٠٢
شيء لم يكن فى الحسبان	مجلة «ليبرتى»	١٠٤
الحيوان أخو البشر		١٠٧
مختصر أربعمئة مليون زبون	كارل كرو	١٠٩

مايو ١٩٤٦

بعض ما تقرأ في مختار يونيه القادم

• **ابتكر لنفسك عملا:** إرشاد نافع يوجهه أحد كبار رجال الأعمال إلى الشاب الذى يطلب عملا ويجد الأبواب موصدة فى وجهه . مقال يكمل سلسلة « كن سيد عملك » .

• **هذه هى المجاعة:** تهدد أمم العالم اليوم مجاعة سوداء . ففى أوربا ١٤٠ مليوناً لا يجدون الكفاية للتبلغ ، وفى الصين ٨٤ مليوناً ، وفى جنوب آسيا الشرقية ١٣٠ مليوناً ، والهند فى خطر من المجاعة . وهذه مقالة تحرك النفوس عن مجاعة البنغال ١٩٤٣ — ١٩٤٤

• **آية التجسس الألمانى:** الآن نستطيع أن نروى كيف فضح أغمض سر من أسرار التجسس الألمانى فى الحرب : سر النقط ، النقط الكثيرة الدقيقة ! والراوية هو أعظم ثقة أمريكى فى الموضوع مدير قسم المباحث فى الحكومة الأمريكية .

• **فيمَ العجلة ؟:** آفة المدينة الحديثة هو السرعة والتعجل ، فهل تعرف كيف تستمتع بالمعانى الخالدة فى هذه الحياة ، سواء أكنت تقيم فى المدينة أم فى الريف ؟

• **ما الذى تعرفه عن عينك ؟** • **كيف ربينا ابننا فى البيت ؟**

كتابان مختصران
• ١ — **كيف تصلح هيئة الأمم المتحدة ؟**
• ٢ — **تزوجت حليف المغامرات**

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 6, No. 33, MAY 1946

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الامريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العـــام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة **٣** قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى **٣٠** قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن **٣٥** ملاً — العراق **٣٥** فلساً — سوريا ولبنان **٣٥** قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل **٤٠** قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية — المدير العـام : باركلى أتشيسون

حقوق الطبع ١٩٤٤ محفوظة لريدرز دايجست أسوسياشن انكور پوريتد . جميع الحقوق ومنها حقوق الترجمة محفوظة للناشر ، فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والمكسيك وشيلى والبلدان المشتركة فى اتفاق حقوق الطبع الدولى واتفاق حقوق الطبع للجامعة الأمريكية . ولا يجوز إعادة طبع شىء من هذه المجلة بغير استئذان الناشرين .

السنة الثالثة

المختار
من ريدرز دايجست

المجلد ٦
العدد ٣٣

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

مايو ١٩٤٦

إن شئون الأمم لا يمكن أن تسوى بصب أشتاتها في قالب واحد مستو، أو إدماجها في دول أكبر منها.

عالم واحد — أمم شتى

ربيكا وست • مختصرة من مجلة "شاتلين"

كثير من الناس في هذه الأيام يعتقد أن كل المتاعب الدولية يمكن أن تخف" إذا أدمجت الدول الصغيرة في العالم في دول كبيرة. ويكاد منطقهم يكون منطقاً لا يُدفع، فإن الدول هي التي تثير الحروب، فكلما قلت الدول قلت الحروب.

غير أن شر الجرائم الفكرية هي المبالغة في التبسيط والقول بأن الصعب سهل، فليس من الميسور استئصال شأفة الأمم الصغيرة وجعلها أجزاء من دول كبرى، لأنها في الواقع دول صغيرة، أو جماعات صغيرة من الناس تعيش في رقعة صغيرة أقامت فيها لنفسها مدنية صغيرة، وتولت أمورها ولا تزال تشعر بأنها قادرة على المضى في توليها. وقد أكسبها تاريخها وخصائصها شخصية قائمة بذاتها، بحيث لا تشعر بمشاركة أي جماعة أخرى مشاركة تجعلها ترضى وتسعد إذا ارتبطت معها في الحياة، فإذا تسربت في أمة أخرى كبيرة فإنها خليقة أن تشعر بالظلم، فيعوق هذا سير الدولة الكبيرة، أو تفقد شخصيتها، وفي كلتا الحالتين لا تعود كما كانت أيام كانت تحيي حياتها الخاصة.

وهل كان ثمة دولة أجمل وأظرف من الدانمرك؟ لقد كانت كوبنهاجن بقصرها الذي يرجع إلى القرن الثامن عشر، وبُناها الرائعة الجمال، أقرب عاصمة في أوربة إلى الكمال. وكان لها ملك يحب الأطفال، ويمشي في الطريق وعليه شِمْلة حمراء،

ووراءه جمهور من الصبيان الصغار والبنات الصغيرات ، ولكن الدانمركيين لم تكن كل مزيتهم أنهم أشبه بشعوب الأساطير ، فإن فى المدينة أحواضاً تشق أحياءها وتتخللها إلى مدى بعيد، فصارت القلوع ترى فى أواخر الشوارع التجارية ، واختلط البحارة السمر الوجوه بالجماهير ، فأكسبوها سحنة ركاب البحر . وفيما يلى المدينة كانت تبـدأ تلك المزارع المنظمة البديعـة التى أعانت على اكتشافات زراعيـة كثيرة ، وتيسرت فيها حياة رضية للفلاحين .

وقد أقام أهل الدانمرك ، بفضـل سفنها ومزارعها ، حياة اقتصادية قومية حسنة ، مستعينين بعقولهم وكدهم ، وبذوقهم الذى يتبدّى فى دكاكينهم الصغيرة التى تبلغ مرتبة الكمال فى كوبنهاجن، حيث تعرض الفضيات وأوانى الصينى ، والثياب البسيطة المونقـة عرضاً يتجلى فيه حسن الذوق .

وليس فى الدانمرك غنى واسـع الثراء ولا فقير مدقع ، ومعظم الناس عنـدهم الكفاية ، والحياة مدبرة على مقتضى مواردهم المعتدلة . وليس مما يكلف نفقة كبيرة أن تذهب إلى الريف ، أو أن تركب فى زورق أو تأكل فى مطعم ، أو ترقص فى ملهى . وزيارة هذه البلاد الجميلة أشبه بأن تشرب من كوب قد يكون فيه حيناً عصير التفاح وحيناً شراب الشمبانيا .

ولكن الدانمركيين كثيراً ما يبدون للغرباء مسـتغرقين فى أنفسهم منطـوين عليها ، مولعين بالمراسيم وآداب المجاملة . وهذا هو الأثر الذى يقع فى النفس عادة من رجل وامرأة يحاولان أن يقيما بيتهما ، وأن يجعلا منه جنة لأسرتهما ، وإن لم يكن لهما مال كثير .

والدانمركيون يقومون بمهمة عسيرة ، وهم مضطرون أن يوجهوا عقولهم إليها ، ولا معدى لهم عن أن يضبطوا أمرهم بالجرى على أسـلوب مقرر ونهج مألوف . وهكذا تدبر الدانمرك أمورها كدولة مستقلة صغيرة، بحكمة ورصانة ، ولكنها إذا أدمجت فى دولة كبيرة ، فإن أهلها خليقون أن تضيق بهم صدور من يرتبطون بهم ويعايشونهم ، وهم أيضاً خلقاء أن تضيق صدورهم ، وأن تنقلب رصانتهم شكاسة ، فتضيع مزيتهم الفذة التى هى منحة لكل الدول الأخرى .

وإلى الشمال تقع فنلندة، وهى بلاد صغيرة أهلها من ذوى الأجسام المربوعة المدمجـة الخلق ، وهم أهل للاعجاب لما قاموا به من الأشياء التى قد يظن البعض أنها مما لا يقوى عليـه إلا أهل الرشاقة والهيف . وتمتـد

بلادهم إلى المنطقة القطبية ، وهى سلسلة مملة من البحيرات والغابات ، والضوء الأبيض الشمالى يُعْشِى العين عن النظر ، والمدن كابية الألوان ، والأزهار قليلة ، وكل ما تجود به الطبيعة عليهم من إشراقها ، ليس إلا بضعة أغصان خضر فى الربيع ، وبضع أوراق قرمزية فى الخريف .

ولكن الزائر يجد أن الفنلنديين قد اكتسبوا بصراً أحدّ من بصرنا الكليل الذى نستخدمه فى مناطق ألوانها أزهى ومعارفها أبهر . ومتى تعلمنا أن نستعمل عيوننا كما يستعملونها ، فإنا حريون أن نرى جمالا جديداً مبسوطاً أمامنا . وأخلق بأسلوب العمارة الفنلندى أن يكون بدْعاً وشذوذاً فى بلاد أخرى ، ولكنه الأسلوب الصالح للبلاد وشعبها ، فإن فيه خفة وتنوعاً حيث كان يمكن أن يكون كئيباً مضجراً . ذلك أن الفنلنديين لا ينشدون الجمال وحده فى البناء ، بل طول العمر وحسن المأوى . وبيوتهم المقسمة إلى شقق ، ومستشفياتهم ومدارسهم ، كانت بمثابة تجارب جريئة فى سبيل قواعد جديدة للانتفاع . وهم نظيفون ، وإذا كان هناك ما يغالون فيه ويشتطون فهو النظافة .

ومع فقرهم استطاعوا أن يأتوا بما لم يأته معظم الأثرياء . وهم يقرأون بنهم ، ويعكفون على تحصيل الثقافة الحديثة . وفى هلسنكى أكبر مكتبة لبيع الكتب فى العالم . وأشد الفلاحين عزلة يعرف أن الكتب نافعة ، وهو يضيف إلى الأدب بما ينظمه من الأغانى الشعبية .

وكان الفنلنديون إذا مدح بلادهم مادح يقولون : « إننا نستطيع أن نحسن تدبير أمورنا إذا تركنا وشأننا » ، ولكنهم يعلمون أن هذا خلاف ما كتب عليهم . وقد ثقل على نفوسهم ما يعلمون من أنهم لا محالة متورطون فى الصراع المقبل بين ألمانيا وروسيا ، فلم يروا سبيلا تؤدى إلى احتفاظهم باستقلالهم الكريم ، وكان هذا هو مبعث سعادتهم الوحيد ، فقد قاتلوا فى سبيل الاستقلال دولة السويد عدة قرون ، ثم الروس عدة قرون ، ووجد السويديون والروسيون جميعاً أن الفنلنديين قوم غير خفاف على القلوب ، وأنهم جماعة شكسة فى إمبراطوريتهم ، ذلك أن حلاوة نفوس الفنلنديين وظرفهم رهن بأن تكون فنلندة بلداً صغيراً مستقلا .

وعلى الطرف الآخر من النقيض للدانمرك وفنلندة ، من الوجهتين النفسانية والجغرافية توجد الدول البلقانية . فهنا يكدّ الناس كداً شديداً ليعيشوا ، لأن معظمهم

فلاحون يعمـلون فى أرض غير صالحة ، وفى جو عنيف ، ولـكن مواهبهم تنزع بهم إلى التأمل أكثر مما تنزع بهم إلى العمل وهـذا ينأى بهم عن حسن الترتيب وضبط المواعيد . ويبدو أهل المدن كأنهم شاردون لا يستطيعون أن يوجهوا عقولهم زمناً طويلا إلى شىء ولو كان بناء البيوت مثلا . ولهذا لم تنتشر بينهم المدنية دائماً بسرعة وسهولة ، وهو ما يضيق به صدور الأجانب .

ولـكن أهل هذه البلاد — فى يوغسلافيا وبلغاريا وفى اليونان — يرون فى الحياة رأياً يحيل هـذا العجز الآلى أمراً تافها . فإن الناس يريدون أن يلتهموا كل ما تهبهم الحياة، وهم يقدرون مناظر بلادهم الرائعة، بما فيها من بحور زرق دافئـة حول الجزر اليونانيـة وساحل دلماشيا ، ومن النوار البنفسجى القرمزى على أغصان الأشجار ، والأوراق الخضر الذهبية على أشجار الحور التى تشرف على أنهارهم، والقمم الثلجية التى تستعلى على سلسلة جبالهم التى أرستها الطبيعة وأحسنت نحتها . وهم ينشدون الأغانى التى تدور على جمال هذه الطبيعة، ونساؤهم يشرن إلى هـذا فى التطاريز الـكثيرة المعقدة التى يصنعنها على ثيابهن وقمصان أزواجهن ، وإذا خرج الناس يتنزهون فإنهم يرقصون ويغنون كأنما خلت الدنيا من الأشجان ، وإذا حزنوا هبطوا إلى الحضيض الأوهد من الجزع .

وهم يهتمون بالغريب لأنه مثلهم متورط فى هذه المغامرة العجيبة ـ مغامرة الحياة ـ ويصغون إلى تجاربه، ويقصون عليه تجاربهم وهم يشربون النبيـذ ويأكلون السجق المطيّب بالأفاويه . ويبـدون فى إصغائهم وفى حديثهم ، عطفاً عميقاً مصـدره حب حقيقى للعالم ، وألمعيةً مصدرها الإيمان بأن الحذق والعـلم هما أداتان للإعراب عن هذا الحب .

ولـكن هذه الثروة التى تتميز بها الشخصية رهن بحرية هذه البلاد ، وبتمتعها بلا معوّق بالحق فى إدارة أمورها الخاصـة بنفسها . وقد كان بعض الشعوب البلقانية، إلى أن قامت الحرب العالمية الأولى، داخلة فى إمبراطورية النمسا والمجر ، وكان بعضها الآخر قد انتزع

ولدت سيسيلى إزابيل فيرفيـلد فى إيرلنـدة وتعلمت فى أسكتلندة ، وعاشت أكثر عمرها فى إنجلترا، واستعارت لنفسها اسم «ربيكاويست» وصارت ناقدة أدبية وكاتبة سياسية تزود المجلات الإنجليزية والأمريكية بمقالاتها، وأخرجت سلسلة من الروايات النفيسة والفصول التى تمتاز بالفكاهة وبقوة الملاحظة ودقة النقد . ولها كتاب ضخم مشهور عنوانه: «الحمل الأسود والصقر الأشهب» وهو يوميات عن رحلة لهـا فى يوغوسلافيا مع زوجها ، وقد وصف بأنه « تحليل قوى للأزمة الشديدة التى يعانيها الإنسان المعاصر » .

استقلاله من تركيا . وقد وصفهم الذين زاروا بلادهم أيام كان يحكمهم الأجانب ، بأنهم أهل فاقة وخَصَاصة ولا يثيرون اهتماماً ، وذلك لأنهم كانوا فى همّ مخامر من الرغبة فى الفوز بحريتهم فلا يستطيعون أن ينموا شخصيتهم كاملة . ولو أنهم الآن سلبوا هـذه الحرية لارتدوا أقواماً ليس فيهم ما يروق ويعجب . والحقيقة أن العالم لا يمكن أن يكون وحدة بسيطة كالفرد ، ولا معدى عن أن يكون وحدة متعددة الجوانب كالأسرة . والأسرة التى تروق وتكون لها قيمة، تكون مؤلفة من أطفال يؤذن لهم فى أن يكونوا على السجية فى نطاق من النظام . وهذه هى الصورة التى ينبغى أن تكون قبالة عيوننا حين نتدبر العلاقات الدولية ، وإلا صارت الأرض وعاء ملؤه تراب فارقته الأرواح .

ازرع تحصد

ذات ليلة فى أواخر القرن الماضى ، ذهب شاب وعروسه إلى مطعم صغير خامل الذكر فى باريس ليتعشيا . فلما آن أوان توفية ثمن العشاء ، صعق الرجل حين تبيّن أن محفظة نقوده قد سرقت منه ، واشتدّ عليه الألم لما أبى النّدل أن يصدّقه ، وساقهما إلى مدير المطعم . فرأى المدير فى الشاب شيئاً ترك فى نفسه أثراً عظيما ، فلمـا علم أنهما قد ضيّعا أيضاً تذكرة عودتهما إلى فينا ، عرض عليهما أن يقرضهما مالا يكفيهما للسفر .

فقال الشاب : « لن تنـدم على سخائك وكرمك . وأنا أعدك بأن أذيع اسمك وصيت مطعمك فى أرجاء الأرض . وجلّ ما أطمح إليه ، أن أؤلف رواية موسيقية (أوبريت) وسوف أجعل مطعمك مسرحاً لأحد مشاهدها » . فتبسم المدير ، وكان كلّ ما يطمع فيه أن يستردّ ماله وحسب .

ولـكن الشاب — فرانز لِهار — برّ بما وعد . فقد ألّف بعد سنوات رواية « الأرملة المرحة » وضمّنها تلك الأغنية المشهورة عن « قهوة مكسيم » . وكذلك ظفرت « كافيه مكسيم » فى باريس بذيوع الصيت بين ملاهى الليل فى جميع أرجاء الأرض ، لأن صاحبهـا الرقيق ، أوجين كورنوش ، عطف على مؤلف موسيقى مفلس .

[مجلة « اسمع »]

ذخائر الحكمة

مختارات من باب يتولى تحريره ج. دونالد أدامز
فى قسم الكتب من صحيفة «نيويورك تيمس»

نفر من الناس لا يستطيعون أن يتخذوا لأنفسهم أصدقاء. فمن هم؟ إنهم هم الذين لا يستطيعون أن يكونوا هم أنفسهم للناس أصدقاء. وليس الذى يجعلك تنقم صحبتهم أنهم يفتقرون إلى سعة الصدر أو رقة الحاشية أو حسن العشرة أو كرم الطباع، بل الأمر على النقيض، فربما كان فيهم كثير من الخصال تستميل القلوب إليهم، بيد أن فيهم خصلة تمحق تلك الخصال — وذلك أنهم لا يحفلون بك أقل حفل، ولا يعبأون برأيك فيهم خيراً كان أو شراً، وإذا لقيتهم لم يستقبلوك ببشاشة، وإذا فارقتهم أحسست كأنهم أبداً فى غنى عن رفقتك. وليس ذلك منهم فظاظة طبع ولا قلة احتفال ولا شرود ذهن، وإنما هى أفكارهم يعكفون عليها وحدهم ويستغرقون فيها، وما أنت إلا بعض هذه الخواطر التى يحصرون فيها أفكارهم تلك.

[وليم هازلت] « مقالات مختارة »

« إن طبيعة البشر ليست من الشر والمادية بحيث تنزلها الأحاديث الدائرة على الألسنة، فإن جداول الماء الجارية على وجه الأرض قليلة إذا هى قيست بتلك التى تتسرب متدفقة فى باطنها، وكذلك ما نراه بأعيننا من الخير والمثل العليا قليل إذا هو قيس بما هو مكنون فى صدور الناس رجالا ونساء من أشياء لا يفصحون بها أو قليلا ما يفصحون بها. والجنس البشرى لا يترقب شيئاً ولا يتوق إليه كما يتوق إلى ذلك الشىء الذى يستطيع أن يطلق له مكنونات الصدور من أغلالها، ويخرج له الجداول السارية فى باطن الأرض ويجعلها ماء يجرى على ظهرها.

[ألبرت شوايتزر] « من تجاربى وأفكارى »

« ظللت ساعة أفكر فى تلك الجزائر الجديدة التى تظهر للملاح فجأة فى عرض البحر الساجى، وذكرت ما يظهر فى حياة بعض الناس من أمثال هذه الجزائر الطارئة، إذ تظهر فى عُرضِ حياتهم الساجية فجأة تجارب يمتحنون بها، ويخيل إليهم أنهم ليسوا منها فى شىء. وأكثر من نعرف من الناس يمتلىء قلبه خوفاً من هذه الجزائر، فلا تكاد

تلوح له من بُعدٍ حتى يسرع صارفاً وجهه إلى جهة أخرى لكى يتفاداها . وما من رجل مهذب إلا وتراه يخشى أن يمتحن بتجارب يخالها ليست من حقيقة نفسه فى شىء ، كما يتصور هو حقيقة نفسه . بيد أن هذا الضرب من التجارب هو وحده التجارب الحية التى يمكن أن تفضى بهم إلى غاية تستحق أن تقصد . والتجارب الجديدة الغريبة التى لا يتوقعها المرء ، والتى تأتى فى أوانها ، هى فى بعض الأحيان شىءٌ جوهرىٌّ لابدَّ لحياة المرء منه ، كما لا بدّ للأرض الهامدة من محراث يحرثها .

[كاترين بتلر هاثاوای] « القفال الصغير »

« الإنسان حيوانٌ منهومٌ بالبراعة — منهومٌ بالبراعة فى بدنه ، منهوم بالبراعة فى عقله ، ولا يشبع البتة حتى تطفأ نَهْمته إلى البراعة . والسعادة التى تطمح إليها نفس الإنسان يستحيل أن تتحقق حتى تستيقظ قدرته على الإبداع ، أى حتى تشبع نَهْمته إلى البراعة . وما من شىء مهما كثر من لذائذ العيش التى يجدها عتيدة حاضرة بين يديه ، ولا من مباهج الحياة التى تأتيه من خارج فتبعث فى نفسه المرح — بقادر البتة على أن يكون له بديلا من ذلك الجوع المستعر المركب فى أصل طبيعته ، والذى يجعله مخلوقاً منهوماً بالبراعة .

[ل . ب. جاكس] « التعليم عن طريق التسلية »

إنما مثل من خَبَرَ الدنيا كمثل قوم سَفْرٍ نبا بهم منزل جديب فأمُّوا منزلا خصيباً وَجناباً مريعاً ، فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق الصديق وخشونة السفر وجشوبة المطعم ، ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم ، فليس يجدون لشىء من ذلك ألماً ، ولا يرون النفقة فيه مغرماً ، ولا شىء أحبَّ إليهم مما قرَّبهم من منزلهم وأدناهم من محلهم . ومثل من اغترّ بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم إلى منزل جديب ؛ فليس شىء أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه .

واعلم يابنىَّ أن من كانت مطيَّته الليل والنهار فإنه يُسار به وإن كان واقفاً ، ويقطع المسافة وإن كان مقيما وادعاً .

[على بن أبى طالب فى « نهج البلاغة »]

لا تزال الطبيعة أقوى مصدر يرسل الانفجارات المدمرة الطاغية

يوم تفجرت جزيرة كراكتوا

إرنست بهرندت

مختصرة عن "نيتشر مجازين"

امتلأت القلوب رعباً من قوة الانفجارات التى دمرت مدينتى هيروشيما ونجازاكى ، ولكن التاريخ يذكر انفجاراً يفوقها أضعافاً مضاعفة . فالقنبلتان الذريتان دكتا مدينتين ، ولكن الناس الذين كانوا على بضع عشرات من الأميال عنهما لم يشعروا بما حدث .

فلما انفجرت جزيرة كراكتوا – إحدى جزائر الهند الشرقية – فى ٢٧ أغسطس سنة ١٨٨٣ عرف العالم قاطبة ما حدث . فدمدمة الانفجار سمعت على بعد ٣٠٠٠ ميل ، وولد التفجر فى ماء البحر أمواجاً عظيمة وصلت إلى سواحل أربع قارات ، وسجلت آثارها على بعد ٨٠٠٠ ميل . وأحدث موجة من الهواء دارت حول الأرض مراراً ، لا مرة واحدة وحسب . أما ما كان جبلا ارتفاعه نصف ميل ، فقد تحول غوراً أعظما عمقه ألف قدم وقطره أميال كثيرة .

ورسبت الأنقاض الحامية المتطايرة فغطت بقعة من الأرض أكبر من مساحة فرنسا

بطبقة يبلغ عمقها مئة قدم فى بعض المواقع وانقذف الغبار فى الجو إلى ارتفاع ثلاثين ميلا ، فظل نحو سنة يملأ أطباق الجوّ العالية فوق الأرض كلها تقريباً . ولم يكن ثمة مدن كبيرة على مئة ميل من موقع الانفجار ، ومع ذلك بلغ عدد الذين أهلكهم ٣٦٠٠٠ من الناس .

وهذا الانفجار الذى كان أعظم انفجار فى التاريخ ، لم يكن له من سبب خفى سوى تلك القوة المعروفة التى تحرك غطاء قدر موضوعة على النار ، غير أن النار المتأججة تحت هذه القدر كانت لابة فائرة فى فجوة طولها ميل ، فحولت ميلا مكعباً من ماء المحيط بخاراً جاوزت حرارته كل حد ، ثم طار الغطاء ، وتفجّرت القدر أيضاً .

كانت كراكتوا جزيرة بركانية مساحتها ١٨ ميلا مربعاً فى مضيق سندة فى جزائر الهند الشرقية بين جاوة وسومطرة .

وفى أوائل ربيع ١٨٨٣ بدرت بوادر تنذر بما أوشك أن يكون ، فتدافع الدخان والبخار من شقوق حدثت فى صخور الجزيرة منذ عهد قريب ، وشق سيل من الحمم طريقاً عريضاً فى دغل كثيف ، ولكن الذعر لم يساور الهولنديين فى جاوة أو سومطرة ، فقد ألفوا نفث كراكتوا ودمدمتها من قبل ، بل أبى الهولنديون فى جاوة أن يعبأوا بقول الكابتن فرزينار الهولندى ، يوم وصل بتافيا فى أغسطس وقال إن بركانين جديدين قد ظهرا فى تلك الجزيرة . ففى أندونيسيا عشرات من البراكين ، وعلى كلّ حال فإن جزيرة كراكتوا تبعد عنهم مئة ميل تقريباً .

وقال فرزينار : « بلغت حرارة الأرض مبلغاً أحرق نعل حذائى » ، فقالوا : إذا صح ما روى فما على الأهالى القلائل المقيمين فيها إلا أن يعتصموا بزوارقهم ، ويلبثوا فيها حتى تبرد الأرض .

وقد كان فرزينار آخر رجل أبيض وطىء أرض الجزيرة قبل أن تنفجر . ويومئذ كانت الملاحة فى مضيق سندة قد صارت شاقة ، فارتد كثير من الملاحين على أعقابهم حين رأوا سطح المضيق تغطيه طبقة من الحمم الخامد يبلغ ارتفاعها قدماً . ولكن ربان سفينة شحن أمريكية ، أوصد منافذ سفينته ومخر بها عباب البحر الذى يفحّ فحيح الأفعى . وكان البترول وَسْق السفينة .

ولم يحاول أحد بعدهُ أن يعبر المضيق ، وكانت دمدمة كراكتوا قد تحوّلت إلى زمجرة لا تنقطع سمعها الناس على ساحل جاوة الشرقى . وطفق الناس فى مدينة بوتينزورج التى تبعد ٦١ ميلا عن كراكتوا ، يبحثون عن ملجأ ينفرون إليه مما حسبوه بارقة تتجمع لتنقضّ من جو السماء .

وقد كتب فيربيك فيما سجله من وصف للكارثة فقال : « فى أصيل ٢٦ أغسطس قطع الدمدمة الخفيّة هزيم انفجارات مروّعة ، ثم اشتد الهزيم وازداد توالى الانفجار . فاستولى الهلع على الناس ثم خيم الظلام ، ولكن الناس خافوا أن يناموا . وما كاد الفجر يسفر حتى غلب الهزيم على كل صوت آخر . وقبيل الساعة السابعة ، حدث انفجار عظيم على حين فجأة فزلزلت الدور وتصدعت الجدران . وتفتحت الأبواب كأن يداً خفية قد دفعتها . فهرع كل الناس إلى الشوارع ، ثم حدث انفجار آخر يصمّ الآذان ، وأعقبه سكون شامل ، كأن البركان قد زال من الوجود »

وحقيقة الأمر أن البركان قد زال من الوجود ، فالغازات المتمددة فى جوفه دفعت اللابة الحاميــة الفائرة ، فوجدت لنفسها منافذ فى فوهتى بركانين ، هما البركانان اللذان رآهما فرزينار ، فكان أثرهما كأثر « صِمام الأمن » ، إلا أن الضغط بلغ مبلغاً لا يُرَدُّ ، وصارت القوة الهائلة الحبيسة تدفع طبقة من الصخور فوقها تبلغ ثخانتهــا مئات الأقدام ، فتدافعت الصخور وتمايدت ، وفى مساء ٢٦ أغسطس انشقت كما ينشق مرجل فى جوفه سائل حامٍ مضغوط .

فاندفق ســيل من اللابة يزمجر زمجرة تصمُّ الآذان ، تدفعــهُ قوة جامحة هى قوة الطبيعة فى ثورتها . وما هى إلا ثوان حتى اندفع ماء البحر إلى الشقّ ، فما كاد يلامس اللابة الحامية حتى تحوّل بخاراً شديد الحرارة ، فانقذفت فى الفضاء جلاميــد ضخمة من الحجر الأعبـل والسَّبَـج فى سحابة من الغبــار والدخان . وعاد ماء البحر فتدفق ليمـلأ الفراغ ويصارع اللابة المحتشدة ، فتحول بخاراً حامياً متمدداً متفجراً جارفاً أمامه كلَّ سدّ من الصخر يعترضهُ .

ولا يعرف أحد كم مرةً صدَّت هذه الحمم الحامية المنصهرة مياه المحيط ، ولا كم أعادت المياه كرتها ، على أن الغلبــة كانت للمــاء فى آخر الأمر . وفى ٢٧ أغسطس بلغت مياه المحيط المركز البركانى فى الجزيرة ، وإذا الانفجارات المروعة الأولى ليست إلا توطئة لطيفة للكارثة الأخيرة ، حين انشق قلب جزيرة كراكتوا عن أربعة عشر ميلا مكعبة من جلاميد الصــخور قد طارت شَعاعاً فى الفضاء .

وحجب وجه الشمس سـحاب أسود كالأبنوس ، يشقُّ سواده وميض البرق ، وتراءت سهام النــار المتقاذفة من الجزيرة لبحارة سفينة بريطانية ، هى تشارلز بال ، كانت على أميــال كثيرة من الجزيرة ، فانخلعت قلوبهم ساعة رأوا الجزيرة تنقذف فى الفضاء فوق الأفق ، « كأنهــا شــجرة من الصــنوبر يلتمع بين أفنانهــا شرر الصواعق » ، وغطى وجه البحر المزبد عدد لا يحصى من السمك وقد انقلبت على ظهورها ميتة .

ولم يسمعوا الدوىّ إلا بعد زمن طويل ، فكان أعلى دوى سمعتــه أذن إنسان . وقد كتب وكيل شركة لويد فى بتاڤيا التى تبعد مئة ميل عن كراكتوا فقال : « كانت أصداء الدوى المتجاوبة تصِمُّ الآذان ، فصكت كل أذن فى جاوة وسومطرة ، وألقت الرعب فى قلوب صيادى الرءوس فى بورنيو ، وبغتت سكان سهول ڤكتوريا بأستراليا الواقعــة على ١٧٠٠ ميل إلى الشرق ، فحسبوها

قصف المدافع ، وقطعت أمواج الصوت ٢٩٦٨ ميلا إلى الغرب ، حتى بلغت مدينة رودريجز فى جزيرة مدغشقر .

وصحب الصوتَ المدوّى أمواج متوالية من الهواء دارت حول كرة الأرض . وبعد أن انقضى يوم ونصف يوم على الانفجار لفحت الموجة الأولى مدينة لندن من الغرب ، ثم تلتها موجة أخرى فاجتاحت المدينة من الشرق . وظلت هذه الأمواج تدور حول الأرض ، فاكتسحت لندن وبرلين وبطرسبرج ، بنسبة أربع موجات من الغرب وثلاث موجات من الشرق . وظلت على ذلك أكثر من عشرة أيام حتى تبددت قوتها فى الفضاء .

وكان أثر الانفجار فى البحر أعظم كثيراً منه فى الهواء . ففى مدينة أنجر على ساحل جاوة الغربى ، رأى ربان متقاعد جزيرة جديدة تظهر فجأة أمام عينيه فى وسط المضيق ، وما هى إلا لحظة حتى كان يعدو فى طلب النجاة . فلم تكن تلك « الجزيرة » سوى عمود هائل من الماء ارتفاعه خمسون قدماً يعبر نحوه المضيق بسرعة لا تصدق ، فحطم الأرصفة ، وطغى على مدينة أنجر ، وعدا على الجبال ، وسحق كل شىء اعترض طريقه ، وأصاب البحار جذلٌ قذفه الماء العرم فغيبه فى الماء ، فلما استرد وعيه ، ألفى نفسه على قمة شجرة تبعد نصف ميل عن مكانه على الساحل ، وقد عُرّى من كل ملابسه ، ولكن لم يمسسه سوء .

كان هذا الربان أحد القلائل الذين رأوا الموجة ، ثم عاش ليصف للناس هولها ، وكانت مدينة أنجر قد زالت. وقد بلغ ارتفاع الموجة مئة قدم ، فطغت على عشرات من القرى وأهلكت ألوفاً من الناس . أما على ساحل سومطرة ، فقد صدمت الموجة البارجة « بيرون » فقطعت أمراس مرساها واحتملتها مسافة ميلين فوق الجزيرة ، ثم تركتها مطروحة فى دغل يعلو ٣٠ قدماً عن سطح البحر .

واندفعت الموجة فعبرت المحيط الهندى من شرقه إلى غربه ، فلما بلغت مدينة الكاب على ١٥٠٠ ميل ، كان ارتفاعها لا يزال قدماً أو أكثر . ثم دارت حول رأس الرجاء الصالح واتجهت شمالا إلى المحيط الأطلسى على محاذاة ساحل إفريقية الغربى . ثم تلاشت آخر الأمر فى بحر المانش .

وغمر الرماد ساحات واسعة فى أندونيسيا ، وغطى الأدغال وأحال حقول الأرز قفاراً خاوية ، وملأ الفضاء حتى ظل الناس فى بتافيا زمناً فى حاجة إلى إضاءة المصابيح فى النهار .

إلا أنَّ ما غمر البرَّ والبحر لم يكن

سوى قليل مما نفثهُ البركان ، فقد صار معظم الصخر الجلمود الذى كان فيما مضى جزيرة كراكتوا ، طحيناً كالدقيق انقـذف فى الهـواء إلى ارتفاع ١٫٥٠٠٫٠٠٠ قدم . وظلت سحبٌ من الغبـار البركانى أشهراً منتشرة فى أجواز السماء ، واحتملتها تيارات الرياح فوق المحيطات والقارات . وظلت أشعة الشمس تنفذ إلى سطح الكرة من خلال حجاب نُسجت خيوطه فى أعماق مضيق سندة ، وظل قرص الشمس الغاربة يبدو فى باريس ونيويورك والقاهرة ولندن ، أزرق أو أخضر أو رصاصيًّا أو نحاسيًّا ضارباً إلى الحمرة . أما فى الليـل فكان ضوء القمر والنجوم مشوباً بالخضرة .

وقد ظلت هـذه الظاهرة حتى ربيع سنة ١٨٨٤ ثم حالت الألوان ، وزال الغشاء الذى كان مردّه إلى انفجار كراكتوا ، وبدا للناس أن النصل الأخير فى تاريخه قد تم ، وأن بركان كراكتوا قد خمد . ولم يبق من الجزيرة سوى بضعة أميـال مربعة من الصخر مدفونة تحت جبل من الرماد . أما النباتات والحشرات والطيور وذوات الثدى ، فقـد هلكت فى سحابة من نار .

ثم حـدثت معجزة — معجزة عودة الروح والحياة . فبعد انقضاء أربعة أشهر على الانفجار ، رأى نباتى عنكبوتاً لا تكاد ترى بالعين المجردة تنسج بيتها فى فضاء لا ترجو أن تصطاد فيه شيئاً . ويغلب أن الريح احتملتها فألقتها هناك .

وبعد سنوات نبتت الحشائش والشجيرات وظهر الدود والنمل والحيّات والطيور . وقد وصلت على أجنحة الهـواء بذور ألقتها الطيور فى طيرانها فوق ذلك القفر اليباب ، وخنافس وفراشات طارت إليها من جاوة وسومطرة . ووصل عن طريق المـاء بيض ديدان وزواحف قذفت إلى الشاطىء من الأنقاض الطافية على سطح البحر ، وقواقع وعقارب ركبت إليها متن البحر على جذوع سابحة ، وأفاع وتماسيح سبحت إليها عابرة المضيق ، ومعها طفيليات لصقت بأبدانها .

وقد وصلت النباتات والحيـوانات إلى الجزيرة اتفاقاً ، ولـكن ترسيخها أقدامها لم يكن اتفاقاً . فقد تم فى أشهر من ظهور الحيوان والنبات ، ما تم مثله فى ألوف من عصور التاريخ ، إذ لم يكن بدٌّ من أن توجد بعض الأحياء أولا ، حتى يستطيع من يليها أن يعيش .

وقد نمت بعض الأحيـاء وتكاثرت زمنـاً ما لأنه لم يوجد لهـا أعداء ولا منافسون . وقد اجتـاحت كراكتوا

سنة ١٩١٠ جموع حاشدة من النمل . فما انقضت عشر سنوات أخر ، حتى كاد النمل ينقرض لكثرة الطيور والزواحف . وماكادت سنة ١٩١٩ تحلّ ، حتى كانت بعض الأشجار قدتأصلت جذورها وصارت فى سنة ١٩٢٤ غابة عظيمة . وبعد بضع سنوات كادت النباتات المتسلقة تقضى على الشجر ، وتحوّل الغابة إلى دغل كثيف يعجّ فيه الفراش والأفاعى وجماهير لا تحصى من الطيور والخفافيش .

وكذلك صارت جزيرة كرا كتوا جنة فى نظر علماء التاريخ الطبيعى ، فجعلها الهولنديون أرضاً محرّمة ،ومنعوا كل إنسان إلا العلماء أن يطأها . ووضعوا كشفاً دقيقاً بأنواع الأحياء فيها ، وجعلوا يحصون كل قادم طارىء من الأحياء ، ويراقبون كيف تأتلف مع غيرها وكيف تحترب . بل كشفوا أيضاً ضروباً كثيرة من الحيوان — من الطير والفراش الذى يتميز بصفات خاصة عن كل طير وفراش معروف. فجزيرة كرا كتوا ، لم تكن تجتذب إليها الأحياء من الأرض التى حولها وحسب، بل كانت بقعة تتولد فيها ضروب جديدة من الأحياء أيضاً.

ثم تبين العلماء فى أحد الأيام لوناً جديداً من الحياة ، يضطرب فى ثرى الجزيرة ، فالبركان القديم لم يخمد ، فإن تحت صخورها فجوة تملؤها لابة تبحث لطاقتها عن منفذ وهذا هو قعر البحر يجيش ويميد مرة أخرى ، وهذه كومة كالمخروط تتكون تحت سطح البحر . وفى ٢٦ يناير ١٩٢٨ برز رأسها جزيرة مسطحة بشعة عرضها بضع مئات من الأقدام ، وما هى إلا أيام حتى جرفتها الأمواج .

ومرّت سنة ، وإذا فوهة تقذف بخاراً ورماداً ، وانتشرت أبخرة الكبريت فوق المحيط ، وتغطى سطح البحر بالسمك الميت مرة أخرى .

ولا تزال الفوهة الجديدة حيث هى ، وهى جزء من كأس البركان القديم ، وقد رسب الطين على رأسها ، وفى وسطها ما يشبه الأنبوب — كصمام الأمن يخفف من الضغط الهائل الذى تولده اللابة فى الفجوة الغائرة . ويطلق الأهلون على البركان الجديد اسم « أناك كرا كتوا » أى « ابن كرا كتوا » ، وليس ثمة اسم أدعى منه إلى التطير والتشؤم .

لم يذهب من مالك ما وعظك [حكمة عربية]

نوادر مستطرفة

مختصرة من كتاب "مضحكة" تأليف بنيت سيرف

دخل شاب من الأغنياء العابثين دكان حلاق فى نيويورك ليقص شعره ويطرّف أظافره، وكانت الفتاة التى تولت تطريف الأظافر بارعة الجمال، فدعاها إلى العشاء ثم يذهبان إلى أحد المسارح. فقالت: أظن أنه لا يحسن بى أن أقبل، فأنا متزوجة.

فقال: اسألى زوجك فلا أحسبه يرفض.

فقالت: لم لا تسأله أنت؟ فهو الذى يحلق لك ذقنك!

ظل رجلان من المزارعين عشرين سنة يلتقيان كل يوم فى مكتب البريد، وكان كلاهما صموتاً، فلم يجر بينهما حديث قط أو سلام. وجاء يوم فرأى أحدهما الآخر يمضى متجهاً شمالا على غير عادته طول تلك السنين، فلم يملك أن سأله: «إلى أين أيها الشيخ». فالتفت إليه الآخر وقال: «إنه ليس من شأنك. ووالله لو لم تكن صديقاً قديماً لما بحتُ لك بكل هذه الأسرار».

رشح أحد أعضاء مجلس النواب الأمريكى فى دائرته لكى يعاد انتخابه فخذله الناخبون فنشر بياناً فى صحيفة المدينة التى يسكنها جاء فيه: «أحبُّ أن أوجه الشكر إلى جميع الذين أعطونى أصواتهم، أما زوجتى فتحبُّ أن توجه الشكر إلى جميع الذين أعطوا منافسى أصواتهم».

فى فلم من الأفلام المخيفة التى يمثل فيها بوريس كارلوف، ترى عالماً فرَّ من بلده ولجأ إلى أمريكا، حيث صرف همه إلى صنع مصل يحيى الجماد. فلما صنعه أخذ قليلا منه ووضعه خلسة على تمثال قائد حربى منصوب فى حديقة عامة، وإذا رعشة الحياة تسرى فى التمثال. وبعد قليل سمعت صلصلة الحديد من مفاصله، وإذا القائد يتحرك ثم ينزل إلى الأرض. فطار العالم فرحاً وقال للقائد: لقد أحييتك، فقل الآن يا جنرال ما أول شىء تنوى أن تصنعه؟

فقال القائد بصوت أجش، ويده على المسدس المدلى من جيبه: «سؤال سهل، سأثأر لنفسى بأن أطلق النار على ملايين من هذا الحمام الملعون الذى جعل رأسى هدفاً لأقذاره».

الزوجتان

دوروثى كانفيلد فيشر

لم يكن العم « باى » عمًّا لأحد منا ، وكل ما فى الأمر أنه كان زوجاً لواحدة من لِدات أمهاتنا ومن ذوات قرابتنا الأباعد . وإنى لأذكر الآن أننى لم أسمع قط اسمه الكامل لا فى حداثتى ولا بعد أن تجاوزت سن الحداثة ، ولكنى أذكر « العمة بولينا » التى كانت زوجته الأولى . كانت امرأة معتزلة مديدة القامة وسيمة الطلعة ، وكانت معلمة فى مدرسة قريبة من دار جدتى يوم عرفها العم « باى » وخطب ودّها وتزوجها .

وكان العم « باى » عاملا فى أحد مصانع الخشب ، وكان يعيش عيشة راضية خليقة أن لا ينغصها عليه منغص ، فيما علمت ، لو لم تزرهم إحدى صواحب زوجته بعد زواجهما بأعوام قلائل .

ويوم جاءت كان عندهما طفلان : صبى صغير وطفلة ، وكان الصبى فى مثل سنى . وقد زادنى معرفة بالأسرة فيما بعد أنْ كنت فى أيام إجازة الصيف رفيقة لهما ألهو معهما . وجاءت الفتاة الشابة صديقة « العمة بولينا » ونزلت على هـذه الأسرة المطمئنة الآمنة . ولم تكن فى الحقيقة صديقة العمة بل ممن تعطف عليهم وتؤثرهم برعايتها ، فقد عرفتها يوم كانت فتاة معدمة تعمل فى بيت بعض المزارعين لقاء اللقمة والمأوى ، فأحبتها وجعلت تعلمها بعض الدروس لتعوضها ما فاتها من التعليم . ولما خرجت الفتاة من البيت الذى كانت تعمل فيه ، جعلت تسعى حتى وجدت لها عملا آخر ، ثم عملا بعده . وكان يومئذ أنْ آوتها « العمة بولينا » بعض الوقت فى فترة من فترات خلوها من العمل .

ولست أدعى أنى أعلم حق العلم جلية هذا الشطر الأول من القصة ، وغاية ما عرفناه نحن الصغار يومئذ أن العم « باى » غاب عن البلدة فى وقت ما إبان الشتاء ، وأن العمة بولينا رحلت فى الربيع التالى بولديها إلى ولاية أخرى لتعلم فى مدرسة من مدارسها .

والذى لاحظناه ونحن صغار ، ولن ينساه أحد منا ، هو ما كان يبدو على العمة بولينا قبل رحيلها ، فقد كانت أجفانها متورمة من أثر الدموع المذروفة التى لم يرها أحد قط . وكانت تسعى فى شؤون معاشها كالعادة شامخة الرأس ، ولكنها كانت لا تكاد تتكلم حتى تسكت لتزدرد ريقها وتتنفس الصعداء وتستجمع قواها ، ثم يخرج الكلام وهو من فرط التجمل والتصبر ظاهر السكينة والرصانة .

وكنا نحس فى ذلك الحين بما أصبحنا نعلمه اليوم بالتجربة — أن فى صوتها الرزين الهادىء ما يكاد ينطق بأن من العواطف التى تختلج فى النفس ما هو أعظم حرمة من أن تجعله عرضة لعيون الناس .

ولم نلبث أن علمنا أن العم « باى » قد تزوج امرأة أخرى ، وأنها كانت تلك الفتاة الوسيمة ذات العينين الدعجاوين التى نزلت عليهما ضيفاً فى العام الماضى . ولم يعد الزوجان إلى البلدة ليزوراها ، ولكن العمة بولينا كانت تزور البلدة بين الحين والحين ومعها ولداها يتوثبان نشاطاً ومرحاً . ولم يجر على لسانها قط ذكر العم « باى » ، وما تتحدث إلا عن دروسها فى المدرسة وعن مستقبل ولديها ، وعن الكتب التى تقرؤها ، وعن المدينة العظيمة التى تعيش فيها (أو هكذا كانت تبدو لها ولنا جميعاً) حتى كدنا ننسى قصتها الأولى . وكل من كان كمثلها فى السيطرة على نفسه ، فقلما يظفرون من الناس بالإشفاق والعطف ، وهم أنفسهم يستنكفون من إشفاق الناس وعطفهم ، غير أن الذى يظفرون به شىء آخر — هو ما كنا نجده لها فى قلوبنا يومئذ ، وإلى يومنا هذا .

وقد اتصل بأهل بلدتنا بعد حين أن العم باى وزوجته الثانية يعيشان فى بلدة قريبة ، وأنه التحق بعمل حسن فى أحد المصانع يتقاضى منه أجراً غير قليل . ثم نمى إليهم بعد ذلك أنهما رزقا أولاداً : فتاة وغلامين ، ولكن قلما كان آباؤنا يذكرون اسم العم « باى » ، حتى توفيت زوجته الثانية .

ولقد كثر ذكره بعدئذ من أجل أولاده ، فقد أخذت تتسرب إلينا أخبار موجعة عن كفاح العم « باى » لتوفير أسباب العناية بصغاره ، ولم يكن الرجل بالخليع الفاجر ، وإن كان قد تعدّى مرة ما يعدّه هو نفسه حدود الأخلاق الفاضلة ، فحاول أن يجد لبيته مدبرة محنكة تبلغ من الكبر ما يجعلها فوق الريبة . ولكن أجره الذى كان وافراً حين كانت زوجته هى التى تدبر أمر بيته ، لم يكن ليفى بمعاش الأسرة وبأجر امرأة ترعى له صغاره الثلاثة .

فلما ضاق بأمره ، كتب إلى أهل بلدتنا يسأل عن أسرة ترضى أن تتعهّد له بتربية صغاره ، فلما جاء كتابه استنكره الناس ولهجوا بما كان من خطيئته الأولى . ومَن تلك التى تحب أن تقوم على تربيـة أولاد غيرها ؟ وقد كان أحد الغلامين فى الثانية من عمره والآخر فى الخامسة ، وكانت الفتاة فى السابعة — والصغار فى هذه الأعمار يتطلبون عناية دائبة متصـلة ، والأجر المعروض لا يفى بالنفقة ، فضلا عن النصب والقلق وعنت المضايقة . ثم إن البلدة كلها تعرف العمة بولينا وتحبها أعمق الحبّ .

على أن الحوادث فرضت حكمها ، فقد كسرت ساق العم « باى » وهو فى المصنع ونقل إلى المستشفى ، ولم يبق فى استطاعة أحد يحترم نفسه من الأقرباء أو المعارف أن يتخلى عن هؤلاء الصغار ويدع لهم تدبير أمرهم ، فسرعان ماسافر بعضهم وعاد بالصبية واضطلع على مضض بالعبء إلى حين .

وكان الصغار الثلاثة عاطلين مما يحبب الناس فيهم ، فقد كانت « لوسى ماريان » شاحبة الوجه حييّة سريعة الغضب . وكان الولد الأكبر ، وهو فى الخامسة من عمره ، فاحش اللسان . وكان أصغرهم وهو فى الثانية من عمره عنيـداً غير مهذب وفى لسانه حُبْسة ، وكنا نحن الصغار نكره هؤلاء الطارئين ، وأبينا أن نقبل أن ندعوهم إلى اللعب معنا .

ثم قدمت العمة بولينا فى بعض زيارتها للبلدة إبّان الصيف ومعها ولداها ، وكانت الفتاة فى الحادية عشرة والغلام فى الثامنة ، وكلاهما ضاحك السن بشوش الوجه موفور العافية ودود المحيا ، وكانوا صـغاراً يأنس بهم كل طفل يلقاهم .

ولقد كنت فى الغرفة يوم رأت العمة بولينا أول ما رأت أولاد العم باى ، وكانت وقتئـذ تتحدث إلى عمـة أبى ، وكانت فى أيديهما إبر الشغل ، فكفّتا حين قدم الأولاد الثلاثة إلى الباب فى طلب حاجـة من الحاجات .

ووقفت الفتاة مطرقة وغمغمت بكلمات خافتة ، وكانت عمة أبى ثقيلة السمع يؤذيها ما تجد من هـذه العاهة ، فقالت محتدة : « بالله عليك يالوسى ماريان ارفعى صوتك ! إنى لا أطيق الأولاد الذين يغمغمون » . وحاولت لوسى ماريان أن تعيد سـؤالها ولـكنّ صوتها ارتجف ، فانكمشت ووقفت صامتة ومن ورائها أخـواها الصغيران الدميمان النحيلان يلوذان بثوبها .

وبادرت العمة بولينا تسأل وهى غير محتفلة : « من هؤلاء الصبية ؟ » فلما لم تسمع جواباً علمت من فورها من يكونون .

وتدحرجت من حجرها كبّة الخيط، فتركتها ولم تلق إليها بالا ، وحدجت عمة أبى بنظرة حادة وسألتها : « ولكن - أين أمهم ؟ » ، وكان صوتها أشدّ خفوتاً من صوت لوسى ماريان الصغيرة . ولا ريب فى أن عمة أبى الثقيلة السمع لم تسمع صوتها ، ولكنها أدركت السؤال ، فقالت : « لقد ماتت منذ عام ونصف عام » .

وإنى لأتمثل الساعة تلك النظرة العجيبة التى ألقتها العمة بولينا إلى الصغار الثلاثة الواقفين عند باب الغرفة ضعافاً مهازيل ، ثم وضعت ما كانت تحيكه على ذراع مقعدها ونهضت من مكانها وأقبلت عليهم ، وجثت على ركبتها كى يحاذى وجهها وجه الفتاة الصغيرة . وكنت أسمع نبرة صوتها ولكنى لم أتبين ما قالته ، على أنى سمعت بعض أجوبة لوسى ماريان :

« أنا التى تحملهم إلى الفراش كل ليلة . ليس هناك غيرى » .

« حينما يعود إلى البيت يفتح علبة طماطم فنضع الطماطم على الخبز ونأكل » .

« نعم ، قليل ، إذا لم ينسنا بائع اللبن » .

« أحياناً قلائل ، فهما لا يحبان الاستحمام ولست بالكبيرة حتى أستطيع حملهم عليه» .

وإنى لا أستطيع الساعة أن أغمض عينى وأتمثل المرأة المديدة القامة جاثية هناك ، وذراعها تطوق الفتاة الصغيرة وقد سُرّى عنها وأسندت رأسها إلى كتف العمة بولينا .

ولما نهضت العمة بولينا وعادت إلى مقعدها وأخذت خيطها ، كانت تبدو كدأبها ساكنة الجنان .

ولقد قصت على لوسى ماريان بعد سنوات ما جرى بعقب ذلك .

ثما إن غادر أبوهم المستشفى وهو لا يزال يظلع حتى ردّوا الصبية إليه ، ولقد عاد إلى العمل مع اضطراره إلى اتخاذ عكاز للمشى . إذ كان مثقلا بالديون وفى أمس الحاجة إلى كل درهم يستطيع أن يكسبه . وكان الأب يرجع بالليل ظالعاً إلى بيته القذر الغاص بالآنية غير المغسولة، فيفتح علبة أو علبتين من علب الطعام ويفرغ ما بها فى طبق ، ويشارك أولاده هذا العشاء البارد . وأخيراً بلغ منه الجهد والوهن من جراء كدحه طول اليوم فى عمله وهو لما يزل فى أيام النقاهة .

وفى صباح يوم من الأيام أقبلت العمة بولينا على البيت وأطلت من بابه المفتوح على المطبخ ، وكان الأولاد وقوفاً حول المائدة يتخطفون الطعام من فوقها

وقالت فى سكينة وهدوء : «هيه يا أولاد، آن أن يتعهد شئونكم أحد من الناس . فلننظر الآن ماذا نصنع » .

خلعت قبعتها ولبست مِئزراً ، وأخذت ترفع الأطباق من فوق مائدة المطبخ . وظل الأولاد طوال اليوم يدورون فى أثرها فاغرين أفواههم من التعجب ، وهى تكنس وتدعك البلاط ، وتحرق الكناسة فى فناء الدار . وكانت وهى تطبخ لهم الطعام وتغسل الشبابيك وما إلى ذلك، تقص عليهم الحكايات والأحاديث .

وكانت تقول للأولاد فى الفترة بين حكاية وحكاية : « هل تستطيع أن تحمل هذا إلى حيث تحرق النفايات ؟ »

« وما قولك فى تخصيص هذه الخزانة لثياب الولدين ؟ » و « أنت يا لوسى ! إنك لفتاة كبيرة الآن . أفلا تستطيعين أن تضعى الأطباق فى مكانها ؟ ولكن فلننظف الرف أولا » .

حتى إذا أزف وقت العشاء كان الأولاد جميعاً قد استحموا ولبسوا ثيابهم النظيفة ، ولم تلق عنتاً ، إذ كانت تقص عليهم من حكاياتها المشوقة وتغنى لهم أغانى الأطفال . وجلس الأولاد على المائدة وعليها مفرش أبيض ، وعلى صدر كل منهم فوطة نظيفة ، وأخذت تأتيهم بالفطائر ، فكلما أنضجت العمة بولينا واحدة منها التهموها .

وأبصرت لوسى أباها مقبلا ثم وقف عند الباب ينظر ، وكانت العمة بولينا مستقبلة الموقد وظهرها إلى الباب تصب شيئاً من العجينة اللينة فى المقلاة . وكانت غلاية الشاى المجلوة قريبة منها، فمنعها صوت غليان الماء أن تسمع وقع الخطوات الوئيدة المضطربة . ثم التفتت ورأته .

ولقد كان من عادة لوسى أن تقص علينا ما حدث ساعتئذ قائلة : « كانت ذراعه مرفوعة ليغطى بها عينيه ، وكان مسنداً جبينه إلى الثلاجة ، ولا يرى منه إلا ظهره ، وكانت كتفاه ترتفعان وتنخفضان كمن ينتحب » .

وكنا نبتدرها فى كل مرة بالسؤال : « وماذا صنعت العمة بولينا ؟ » ، ونحن نعلم حق العلم ماذا صنعت .

فتجيبنا لوسى : « آه ، لقد قالت ببشاشة غير متكلفة : لقد حضر العشاء ، يا بابى ، اجلس فكل ، فقد أكل الصغار . وهذا طعامك قد احتفظت به ساخناً فى الفرن : سجق وبطاطس مهروسة . وسيكون الشاى مهيئاً بعد لحظة » .

وهكذا تزوجا ثانية وقاما على تربية الأولاد جميعاً . ولزمت العمة بولينا البيت ، إذ كان الصغيران فى حاجة إلى من يتعهدها ، وكانت تزيد دخل الأسرة بما تناله من القيام على بعض الدروس الخاصة . ثم لم تلبث

أن ولدت للعم « باى » مولوداً آخر : فتاة . ولقد روت لنا لوسى أنها لم تسمع جدالا محتدماً بين الزوجين إلا يوم أرادا تسمية هذه المولودة . فالعم « باى » يريد أن يسميها بولينا ، وأمها لا تريد ذلك محتجة بأنها ما أحبت قط هذا الاسم الجافى الذى تقادم العهد عليه . وكان يلذّ للوسى أن تمضى فى الحكاية فتقول : « ولكن أبى كان يصيح فى وجهها : إنه أجمل اسم فى الدنيا . وسيكون اسمها بولينا ولو قامت فى وجهى جهنم أو اعترضنى الطوفان » . وقد سميت كذلك .

ولم يكد الولد الصغير « كليم » وبولينا الصغيرة يدخلان المدرسة مع الآخرين ، حتى عادت العمة بولينا إلى التدريس ثانية .

ولقد كان دخلها ودخل العم باى يكفى نفقة أسرة كبيرة مؤلفة من ثمانية ، وأتاح لهم اتخاذ فتاة تقوم بخدمتهم ، وجعل فى طاقتهما أن يدخرا من المال لتربية الأولاد وتعليمهم .

وكانت العمة بولينا إذا جاءت تزور بلدتنا هى وأولادها فى إجازة الصيف ، لا يجرى على لسانها ذكر شىء من هذا كله ، وبذلك قطعت ألسن المتسائلين . ولم يكن أحد من أهل البلدة يشير إلى الأمر أى إشارة ، والواقع أنه لم ينقض إلا قليل حتى نسى هذا الأمر .

ولما شب الأولاد وكبروا كان معظم الناس يظنونهم جميعاً أولادها .

ولقد كانوا كذلك ، فنشأوا جميعاً نشأة صالحة ، وحُقّ لهم ذلك .

دخل شيخ من أهل الجبال عيادة طبيب ووراءه شاب طويل نحيل ، وقال « أرجوك يا دكتور أن تداوى صهرى ، فقد أطلقت عليه النار أمس فأصيب فى ساقه وهو يعرج عرجاً قليلا » .

فقال الطبيب : « تبًّا لك كيف تطلق النار على صهرك ؟ »

فقال الشيخ : « لم يكن صهرى حين أطلقت النار عليه » .

[مجلة « وول ستريت »]

أتذكر البحار الذى سئل ما فعل بمرتبه فقال : أنفقت بعضه فى الخمر ، وبعضه على النساء ، وأما البقية فقد أنفقتها إسرافاً وإتلافاً ؟ !

كيف تستمتع بضعف الذاكرة

أوديل شبرد

مختصرة من "مسرات النسيان"

ترى قانون التوازن أدق عملا ولا أكثر خيراً مما تراه فيما يتعلق بالتذكر والنسيان ، فإنه إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يتذكر أسماء معارفه الظرفاء فإنه ينسى أيضاً أسماء الثقلاء بنفس السهولة، وإذا كان لا يستطيع أن يستعيد مجرى التاريخ الإنسانى المعقد، فإنه كذلك لا يحتفظ بالتفاصيل الكريهة لقضية الطلاق التى طرحت أمس . وهكذا لا تزال أفكاره تتجنب ما يعكر صفوها ، كالجدول المتحدر من جبل . ومن أجل هذا يلفى عامة الحاضر أهم وأقوى تحريكا للنفس ، لأن العام الماضى قد غمض وإن كان كالحاضر إذا اعتبرنا الأمور الجوهرية . فالذى يستمتع بما نسميه ضعف الذاكرة ، يجد أن نفسه تتجدد دائماً ، ولا تزال تكتسى ألواناً من نضرة الصباح .

إن النسيان عمل من أعمال الذهن كالتذكر تماماً ، وليس فى مقدورنا أن نتذكر شيئاً إلا إذا نسينا أشياء ، حتى ليمكن أن يقال إن الذاكرة هى أداة للنسيان .

ونحن نفكر بفضل ما نسينا كما نفكر بفضل ما تذكرنا . ويبدو عظماء الكتاب دائماً كأنما لا يعرفون إلا القدر الكافى لأغراضهم الحاضرة، ولا يحملون حقائب تجاوز مقدار الحاجة . ويظهر أن الأرجح أن كل الموسيقى والشعر الخالص مستنبطان من أغوار النسيان . فإن المادة العادية اليومية ترسب وتظل « منسية » زمناً ، ثم تطفو متألقة كحبة الرمل حين تخرج لؤلؤة من الصدفة .

ونحن نفضل بالغريزة من كان سريع النسيان . وهذا عين السداد ، فإن الذين لا يحسنون أن ينسوا لا يزالون « يجرُّون بعض الحقائق غير الملائمة » كما يقول هولمز، وبذلك يفسدون طيب الحديث . فإذا كنت تتوقع أن يفضوا إليك برأى، فإنهم يجيئونك بفقرة من جريدة . وما أشبه الرجل القوى الذاكرة بمن يضع كل ما عنده من بضاعة عقلية فى النافذة الأمامية ، فليس عنده شىء مذخور فى أى مكان آخر .

أما النسَّاء ، فإنه لا يزال أبداً جديداً

يدهش حتى نفسه ، والحقائق عنده أقل ، ولكن الآراء عنده أكثر منها عند الذكور. وإنه لممتع أن نراه يغوص فيستخرج فكرة بعد فكرة من أعماق نفسه وبه دهشة صريحة من أن يكون عنده كل هذه الأشياء. وهؤلاء الناس ذوو الأبعاد الأربعة الذين لا تستنفد أبداً ذخائرهم من الفكر ، هم خير المتحدثين وخير الأصدقاء، لأن أذهانهم ليست كلها فى الساحة الأمامية ، وفى وسع الإنسان أن يذهب يرتادها إلى مالا نهاية. ولا يشك أن الجنة نفسها تصبح مملة بعد بضعة آلاف من السنين لمن يتذكر كل شىء، ولكنها عند النسَّاء ينبغى أن تكون فرصة لما لا آخر له من إعادة النظر فى الكتب القديمة ، والتعرف بالأصدقاء القدماء ، فهى مكان شائق حقاً . وليس ثم سبب فيما يتعلق به ، يمنع أن تستمر إلى الأبد .

لقد كان دائماً فى الدنيا — ولا يزال — كثير مما ينبغى أن يشيح عنه الرجل الحكيم — على الأقل فترة من الوقت — مظالم وتعاسات وحماقات لا يستطيع أن يعالج أمرها بإصلاح ، وهى تحزه وتؤلمه كلما كرَّ به الذهن إليها . وهذا الإعراض يعد فى زماننا ضعفاً وجبناً ، ولكن القوة يكون أيضاً مظهرها الرصانة والاتزان كما يكون مظهرها العمل المجهد ، وليس الذى ينضو عنه سلاحه ودرعه من حين إلى حين أقل شجاعة من الذى ينام فى عدته .

والواقع أن الواجب والمتعة يدعوان كل إنسان أن يقرر استقلاله العقلى بأن يبنى لعقله حصناً يستطيع أن يكون آمناً فيه ، وخير معاذ من هذا النوع هو ماضى الإنسان بعد أن تتولى كيمياء الذاكرة تخير مادته وترتيبها وصقلها .

وإنى لأكتب هذه السطور وقد تمثلت لذهنى صورة لفندق بجانب نهر الأدور فى سكس حيث جلست إلى المائدة أفطر قبل بضع سنوات ، وأنظر إلى النهر الجارى فرأيت فى هذه الصورة النهر يلتمع ماؤه الفضى المخضر وقد صافحته شمس الصباح . على أن الواقع أن الماء الذى رأيته فى الحقيقة لم يكن فضياً مخضراً وإنما كان أسمر ، ولكن الذاكرة والنسيان عملا معاً فى ابتهاج، فأفاضا عليه ألواناً أزهى وأبعث على الرضى .

وهذا النوع من التذكر العاطفى هو خير أنواع النسيان ، فإنه يطرح الطين الذى يحمله التيار ، ويحل محله الخضرة والتماع الفضة بفضل الخيال . ومن أكبر أسرار السعادة هذه الرجعة المتكررة إلى اللحظات السعيدة فى ماضى الإنسان ، وصقلها وتهذيبها .

ولنفرض أن الذى ينسى، بعد أن اشتكى

من ضعف ذاكرته للمرة الألف ، عومل على أنه كذلك ، وأن جانباً صغيراً مما نسى جيء به فجأة إلى ذهنه الواعى ، فأخلق حينئذ أن يحدث خفق سريع بالأجنحة من ماضيه كله ، وأن يبرز من الظلمة ألف وجه إلى النور الوهاج الفظيع ، وأن تتجمع همسات هائلة من الأصوات تخرج من السكون وتعظم وتضخم حتى تصير كبرج بابل تحت قبة جمجمته ، ولن يجد فى هذا البحر من الوجوه تلك التى كانت عزيزة عليه ، وتغرق الأصوات التى أحبها فى هذه الثرثرة الجافية ، وتختفى الكتب القليلة الجيدة التى قرأها تحت آلاف من الكتب الرديئة ، وشر من ذلك أنه خليق أن يبحث عبثاً بين التوافه والمساعى الخائبة والهزائم الضعيفة فى ماضيه ، عن تلك النفس المثالية التى سمح له ضعف ذاكرته بأن يحلم بها .

وخليق به فى ألم هذه اللحظة أن يتلهف على الخشخاش أو نبات مُرْقِد غيره ، أو على أيسر قطرة من نهر النسيان ، حتى إذا زايله ما كان يحسه من العذاب ، كان حرياً فيما أرى أن يحبّ النسيان ويؤثره .

طرائف الجناة

- اعترف رجل من شيكاغو فى المحكمة بأنه سرق ٧٥ شيكا قيمتها ٦٠٠ ريال من صناديق البريد ، ولكنه أقسم أنه كان يرسل خمسة ريالات من كل شيك إلى واعظ السجن لكى ينفقها فى « تحسين أحوال السجن » .

- قبض منذ عهد قريب على رجل فى الخامسة والثمانين كان لصًّا يحطم خزانات النقود ويسطو على الدور ، فلما سئل تبين أنه أقلع وارعوى ، ولكنه كان يرتزق من تأجير أدواته للصوص أفتى منه .

- عاد كاتب اشتهر برواياته البوليسية إلى شقته فى نيويورك بعد إجازة قضاها على شاطىء البحر ، فوجد أن جماعة من اللصوص قد دخلتها وانتهبتها ، ورأى على مكتبه بطاقة مطبوعة على آلته الكاتبة ، هذا نصها : « هذا لغز ، فهل لك أن تحله فى وقت فراغك يا صاح ؟ »

فحص العلم أسرار الشخصية الإنسانية ، فمهد الطريق للانتفاع بعقول عبقرية ولكنها مهملة .

العبقرية : سرها وتنميتها

بروس بليفن

مختصرة من مجلة "نيوريبلك"

ما السبب فى اختلاف حظوظ الناس من الذكاء اختلافاً بيناً ؟ وما السر فى أن من الناس الجرىء الماضى ومنهم الحيّ الهيّاب ، ومنهم من يبدو أنه خلق تحدوه الرغبة فى قيادة الناس تحت إمرته ، ومنهم من خلق ليكون تابعاً مطيعاً ، ومنهم المتغطرس المغرور ومنهم الخاشع المتواضع ؟ وبعد ، فلم يكون فى الناس من حين إلى حين أفذاذ موهوبون مثل ميخائيل أنجلو وشكسبير وأينشتين ؟

إن العلم لا يعرف حتى اليوم جواب هذه الأسئلة ، ولكنه أصبح الآن أدنى إلى سر هذه الأحجية الغامضة ، فقد وقفت معامل الأبحاث على دلائل قيّمة تتصل بهذا الموضوع .

إن معظم ما بلغه البشر فى تاريخهم من رقى وتقدم ، إنما تم على يد نفر ذوى مقدرة فذة يستحقون بها اسم العباقرة . والعبقرية الحقيقية وليدة شيئين متلازمين : وراثة صالحة مواتية، وبيئة صالحة مواتية ،وبخاصة فى فجر الحياة . ويرى العلماء أن الذكاء موروث فى الغالب ، ولو أنهم لم يصلوا بعد إلى الجزم بهذا الرأى . فإذا غيرته البيئة ، فمردّ ذلك فى معظم الأحوال إلى أن الفرد لا يدع نفسه تستفيد تمام الفائدة من محيط أحاط به ، أو من أحوال مرت عليه . وأما الشخصية فهى تقريباً وليدة عوامل البيئة ، ولاسيما فى زمن الطفولة وفى ميْعة الصبا . وقد تكون ثمة عوامل وراثية غير الذكاء وحده ، ولكن العلم يرى أن لا خطر لها ولا شأن إذا هى قورنت بما يكون من تقليد الصغار للكبار ، أو بالنظام ، أو بما يعتلج فى قلب الصغير من حب لبعض الناس أو نفور من آخرين .

وإعلاء شأن البيئة وتعظيم خطرها ، إنما هو اتجاه حديث اتجه إليه العلم . فقد كان كثير من العلماء منذ وقت غير طويل يميلون إلى أن ينظروا إلى الإنسان كأنه آلة مركبة وحسب ، فهو عندهم مخلوق تصرّفه غُدَده كما تكون . وقد قال طبيب نفسانى : « لقد كنا نسمع شيئاً كثيراً عن أن الغدد تسيطر على الشخصية ، ونستطيع

اليوم أن تقول إن الشخصية هى التى تسيطر على الغدد ، ويكون كلا القولين سواءً فى الصحة ، فإن كلا منهما يؤثر فى الآخر تأثيراً خفياً عميقاً » . وهذا العلم الجديد يجعل البيئة الأولى تبدو على أعظم جانب من خطر الشأن ، ويجعل من الضرورى أن يقدر المجتمعُ الأفرادَ ذوى المواهب الفذة وهم فى فجر حياتهم .

ومن عادة الناس أن يصفوا الشخص الحاد الذكاء بأنه عبقرى ، دون نظر إلى ما أتاه من أعمال. وحتى العلماء يقولون ذلك أحياناً وهم غافلون ، وإن كانوا يؤثرون دائماً أن يصفوه بأنه « شخص موهوب ». وإذا تجوزنا واستعملنا التعبير العام قصد التيسير ، فكل شخص يزيد ذكاؤه بمقدار ٤٠ فى المئة على ذكاء عامة الناس يعدّ عبقرياً . ويكاد العبقرى يولد دائماً من أبوين على حظ عظيم من الذكاء ، ويكون أولاده عادة ذوى ذكاء ممتاز ، بيد أن العبقرية لا تلد العبقرية ضربة لازم .

وفى الولايات المتحدة اليوم ، طبقاً لهذا التعريف ، ما يزيد على مليون شخص يعدّون عباقرة ، منهم ٢٧٠٠ شخص تقريباً فى أعلى مراتب الذكاء . ولا تزال مواهب آلاف منهم خافية لا يقدّرها أحد ، ولا يزال ما يدخل فى طاقتهم الإتيان به ، مضيعاً كله أو بعضه . ويظل بعضهم طوال حياته حتى الممات مجهولا خامل الذكر فى المجتمع ، ولا ينال من ثناء الناس عليه إلا قولهم : « خسارة أن يكون هذا جامع فضلات! » ، أو « إنها تحفظ ما يزيد على ثلثمائة طريقة لطهى الطعام عن ظهر قلب دون أن ترجع إلى الكتاب! » . ولعل صحة هذا تبدو واضحة جلية من تجربة حديثة أجريت فى حى الزنوج فى شيكاغو حيث جمعوا ٨٠٠٠ طفل كيفما اتفق ، واختبروا ذكاءهم ، فظهر أن أكثر من مئة منهم قد بلغوا مرتبة عالية من الذكاء ، وأن ٢٩ من هؤلاء الزنوج على جانب من الذكاء يؤهلهم لأن يكونوا عباقرة .

والآن كيف يستطيع العلماء أن يقدروا عدد العباقرة ؟ وما هو المقياس الذى يقيسون به القوة الذهنية العالية ؟ يقول العلماء لتقريب المسألة ووضع تعريف عام: إن الذكاء الخارق للعادة يقتضى حظاً كبيراً من قوة الذاكرة ، ومواهب عظيمة لتنسيق الأفكار ، وقوة فى المنطق ، ومقدرة على استدعاء هذه جميعها عند الحاجة . وقد أخذ المتخصصون منذ سنين يضعون أسئلة إذا ألقيت على عدد كبير من الناس تبيّن من جوابها مقدار ذكاء كل منهم . وهى أسئلة بسيطة وأحجيات سهلة ، واختبارات للذاكرة ،

كالقدرة على تكرار سبعة أرقام أو ثمانية تقرأ كيفما اتفق . وقد وجد العلماء بعد مئات الآلاف من الاختبارات أن فى مكنتهم أن يقرروا مستوى عادياً للذكاء وضعوا له ١٠٠ درجة . فإذا كان ثمة شخص يقل ١٠ فى المئة عن المستوى العادى ، قيل إن « نسبة ذكائه » ٩٠ ، وإذا كان ثمة شخص يزيد ٢٠ فى المئة على المستوى العادى قيل أن « نسبة ذكائه » ١٢٠ وهكذا .

وكان الناس فى أول الأمر يغالون فيما يدّعونه لاختبارات الذكاء هذه ، ولاسيما عامة الناس إذا كانوا لا يحسنون فهم أسرارها . ولا يزال لزاماً علينا حتى اليوم أن لا نعد هذه النتائج قضية مسلمة ، على أنه لا شك فى أن هـذه الاختبارات تقيس الذكاء ، وأن نتائجهـا مرتبطة فى الغالب ارتباطاً وثيقاً بالنجاح .

ولعـل أعظم ما يبهر من الأبحاث فى السنين الأخيرة هو محاولة دراسة مستوى ذكاء عظماء الرجال بتقدير « نسبة ذكائهم » فى أيام طفولتهم ، وربطها بالحقائق المعروفة عن كل منهم .

وقد جمعت الدكتورة كاترين كوكس بجامعة ستانفورد (وهى الآن الدكتورة كاترين مايلز بجامعة ييل) أسماء ٣٠٠ رجل من عظماء الرجال ممن ولدوا منذ عام ١٤٥٠ ، وجمعت كل ما يمكن جمعه من المعـلومات عن حياتهم حتى السادسة والعشرين . وقا[م] متخصصون متدربون على اختبار الذكا[ء] بفحص كل هذه المعلومات ، ولكنهم حرصو[ا] حرص العلمـاء ، فأبوا أن يقولوا إن النتائ[ج] التى وصلوا إليها تدل دلالة صادقة على مستوى ذكاء هؤلاء العظماء حين بلغوا مبلغ الرجال ، وكل ما يقولونه إن ذكاءهم لا يقل عن المستوى الذى تدل عليه هذه الأرقام .

وإنا نورد لك فيما يلى أسماء بعض أعاظم الرجال ممن خلدهم التاريخ ونسبة ذكائهم كما تبينت من دراسة الدكتورة مايلز :

٢٠٠ : (هؤلاء يعدون أعظم العقول فى العصور الحديثة) : جالتون ، وجوته ، وجون ستيوارت مل .

١٩٠ — ١٩٥ : جروتيوس ، وليبنتز .

١٨٠ — ١٨٥ : بيكون ، وملتون ، ونيوتن ، وبت ، وڤولتير .

١٧٠ — ١٧٥ : تشاترتون ، وكولردج ولوثر ، وروبرت بيل ، وألكسندر پوب .

١٦٠ — ١٦٥ : جون كوينسى أدمز ، وبيرك ، ولونجفلو ، وتنيسون .

١٥٠ — ١٥٥ : صمويل جونسون ، ومندلسون ، وموزار ، وجورج ساند ، وسكوت ، ووردسورث .

١٤٠ — ١٤٥ : جون أدمز ،

وإمرسون، ولنكولن، ونابليون، ونلسون، وثكرى ، ووشنطن .

وتقترن العبقرية فى الغالب بتبكير نضج العقل ، بيد أن ذلك ليس قاعدة مطردة . فقد درس جون ستيوارت مل الاقتصادى، اللغة اليونانية وهو فى الثالثة من عمره ، ودرس أفلاطون وهو فى السابعة ، ودرس اللاتينية والهندسة والجبر وهو فى الثامنة ، ودبج كتاباً حسن الوضع فى تاريخ روما وهو فى السادسة أو يزيد قليلا . وكتب جوته كتاب آلام ڤرتر الخالد وهو فى الخامسة والعشرين . وألف ملتون ما يعد أجمل شعر غنائى فى اللغة الإنجليزية وهو فى الحادية والعشرين . وطلع شلنج بفلسفته على العالم وهو فى العشرين . ورسم رافائيل صورة العذراء وهو فى الحادية والعشرين، وبلغ بيل رياسة الوزارة فى إرلندة وهو فى الرابعة والعشرين .

وثمة بحث هام آخر فى عبقرية العصر الحاضر قام به الدكتور لويس ترمان وأعوانه بجامعة ستانفورد .

فقد شرع الدكتور ترمان منذ تسع عشرة سنة مضت ينقب عن الذكاء بين أطفال المدارس فى الجهات الواقعة على ساحل المحيط الهادى . فألفى بين آلاف الأطفال الذين اختبر ذكاءهم نحو ١٥٠٠ طفل بلغت نسبة ذكائهم ١٥٠ أو أكثر ، وظل يتتبع حالات معظم أولئك العباقرة من حين إلى حين . وقد وجد أن هؤلاء الأطفال الموهوبين فى مجموعهم يصيبون من النجح فى حياتهم أكثر مما يصيبه زملاؤهم العاديون ، وأنهم يتزوجون صغاراً ، ويقل الطلاق بينهم ، ويتمتعون بصحة جيدة ، وأن دخلهم إذا أشرفوا على الثلاثين لا يقل فى المتوسط عن ٣٠٠٠ ريال فى السنة ، وهو أكبر من دخل زملائهم العاديين بكثير . ولعلك تزداد عجباً إذا علمت أن هؤلاء الشبان دخلوا غمار الأعمال فى وقت الكساد التجارى الذى عم أمريكا . ومنهم عدد كبير يكسب ١٢٫٠٠٠ ريال أو أكثر فى السنة ، على أن أكبرهم سناً لم يزل فى الثلاثين وما بعدها . وقد برز منهم مؤلفون ألفوا عشرين كتاباً ، ودبجوا مئات المقالات فى المجلات ، وسجلوا باسمهم ثمانين اختراعا من الاختراعات العظيمة .

ولما كبر هؤلاء الأطفال الموهوبون اختاروا لأنفسهم من الأعمال ما كنا نتوقعه لهم . فكان من الرجال المحامون والأطباء والمهندسون ورجال الدين والمتخصصون فى الأبحاث، ومنهم ممثلو السنما وعازفو موسيقى الرقص ومنهم فنان يرسم لوالت ديزنى وآخر يتفرغ لتربية الثعالب . وكان من النساء

مدرسات وطبيبات وممرضات وموظفات في المكاتب وأمينات للمكتبات وفنانات ومهندسات وممثلات وموسيقيات وراقصات. والعبقريات من الإناث أقل من العباقرة الذكور ميلاً إلى الاستمرار في مزاولة ما اخترن. فقد تزوج منهن نحو نصفهن، وسرن على النهج المألوف في المجتمع المثقف المهذب. وترى الإناث منهم والذكور يتزوجون أشخاصاً أقل منهم في الذكاء بنحو ٢٥ درجة.

ولعل أعجب ما في دراسة الدكتور ترمان أن ٢٥ في المئة من مجموعة عباقرته، قد أصابوا من النجاح في الحياة أكثر مما أصابه الباقون، و٥٠ في المئة منهم أصابوا نجاحاً مقبولا، أما الخمسة والعشرون في المئة الباقية فقد ذهبت ريحهم وباءوا بالخيبة والخسران. وقد تبين أن أفراد الربع الأول من هذه المجموعة يكسبون ضعفين وثلث ضعف ما يكسبه أفراد الربع الأخير، وأنهم قد تزوجوا صغاراً، وأن زوجاتهم أذكى، وأن نسبة الطلاق بينهم ثلث ما هي بين زملائهم الخائبين – وتلك هي عناصر الحياة الناجحة. وتجد في الربع الأخير رجالا يشغلون مناصب قليلة الشأن، فمنهم رجل البوليس والنجار وعامل محطة البنزين وملاحظ المحلات التجارية إلخ. فهذا موضع العجب فيما ترى من فرقٍ بين أفراد مجموعتين من عباقرة الأطفال بدأوا الحياة جنباً إلى جنب، ودلت الاختبارات على أنهم جميعاً في مستوى واحد من الذكاء.

وقد وجد الدكتور ترمان ومعاونوه أن خير تفسير لهذه الظاهرة هو بيئة المنزل وأثرها الذي تطبع به شخصية الطفل. فقد وجدوا في المجموعة الأولى أن نحو ٥٧ في المئة من الآباء كانوا من أصحاب الحرف الذين يكسبون من المال قدراً يكفل لأولادهم بيئة مستقرة وادعة. أما أفراد المجموعة الأخيرة فقد وجد الباحثون أنهم يأتون في الغالب من بيئات ينتابها الفقر والشقاء وعدم الاستقرار. وكان أكثر آبائهم من الأجانب مولداً، فهم في صراع لا ينقطع مع حضارة غريبة عنهم، فمن أجل ذلك فتّت البيئة في عضد أبنائهم العباقرة.

وقد وجدت الدكتورة مايلز في الحقائق التي جمعتها عن العباقرة الثلثمئة الذين اختبرتهم، أن ثمة صفات عامة مشتركة بينهم جميعاً تقريباً. فكلهم من «أصل كريم»، وآباؤهم على جانب كبير من الذكاء، وقد عاش معظمهم في جو من الاستقرار والمحبة وحسن التفاهم في فجر الحياة. وتقول الدكتورة مايلز إن العبقرية في العالم كله تقريباً تتصف بالعطف والأمانة والشعور

بالواجب والثبات على المبدأ ، وبنشاط الجسم والعقل ، وبالتواضع وقلة الميل إلى اللهو ، وبهدوء الطبع. والعبقرية ترتفع بصاحبها إلى ما فوق عامة البشر لاختصاصه بهذه الصفات، كما ترتقى به إلى ما فوق مستواهم فى الذكاء .

وأخيراً ، ما الذى تكشفت عنه أبحاث الدكتور ترمان والدكتورة مايلز مما يفيد المجتمع ؟ تظهر هذه الأبحاث أن الذكاء الممتاز فى الغالب هبة يحملها صاحبها منذ يولد ، إلا أننا نستطيع بالتعليم الصحيح أن نجعل ممن أوتى عناصر العبقرية الكامنة عبقرياً حقيقياً ينتفع البشر بمواهبه . ولعل أهم العوامل فى تحقيق ذلك أمران ، الأول: الحافز المشجع ، أو الحياة فى مجتمع يريد القدرة البالغة ويقدرها حق قدرها. والثانى الشعور بالثقة والاطمئنان منذ فجر الحياة . وقد ثبت علمياً الآن أن العبقرية لاتستلزم الغرابة والخروج على المألوف كما يظن أكثرنا ، وأن الشىء الذى يسمونه « المزاج الفنى » ما هو إلا خصلة من خصال طفل أفسده التدليل ، نقلها إلى عالم الرجولة شخص موهوب مرهف الأعصاب ، وقد تبين له أن فى طاقته أن يعيش بها بين الناس سالماً من أذاهم ، ولعله كان خليقاً أن يكون أقرب إلى العبقرية الخالصة بغير هذه الحماقات والنزوات التى يأتيها أو يتخلّق بها.

والدرس واضح وله خطره، فإننا ولاشك فى حاجة إلى هذه العقول النادرة التى لاتكون إلا بنسبة واحد فى كل مئة ألف . ويجدر بنا أن نلتمس خير الوسائل للعثور على هؤلاء الأفذاذ ، وأن نعنى بهم العناية الكافية . وقد نقضت الأبحاث العلمية ذلك الرأى الذى يزعم أن المقدرة الفذة تنمو وتزدهر فى جو القلق والخوف والشقاء . وإذا خُيِّل إلينا أنها تنمو فى مثل هذا الجو، فإن مردّ ذلك إلى أن الشخص الموهوب يتغلب على ما يلاقى من عقبات .

وليس معنى هذا أن ليس ثمة حاجة إلى قدر معقول من الفقر والنظام الشديد ، فإن حياة الكثيرين من عظماء الرجال توحى بأن ذلك عنصر لابد منه . ولكن ليس من المحتوم أن يكون الفقر مقروناً بالقلق وعدم الاستقرار .

وإن ما يصدق على العباقرة يصدق على سائر الناس أيضاً ، فإن ذكاء الرجل العادى وشخصيته يأتيان بخير النتائج فى ظلال الأحوال الحسنة المواتية . وقد يبدو هذا بديهياً ، بيد أن الآباء والمعلمين لا يدركونه إدراكا تاما . ولقد زودنا العلم اليوم بسبب عاجل لتعبئة عقولنا للعمل على توفير أعظم قدر من الدربة والخبرة النافعة والطمأنينة لأفراد الجيل الناشىء الجديد .

مخلوق يمثل صورته للناس شتاء الغابات المتجمدة في الشمال، ويمثل طبائعه قدرة الحياة على مطابقة مقتضى الحال.

الأرنب القطبي

ألن ديفو

مختصرة من
"ذي أميريكان ميركيوري"

إذا أراد أحد علماء الحيوان أن يختار لك مخلوقاً لا تكاد تذكره حتى يمثل لعينيك شتاء المناطق الشمالية من الأرض، حيث يطبق الصمت على براريها وغاباتها، وحيث يسمع للثلج وهو يتشقق نقيض خافت، وحيث ترى أغصان الشجر مثقلة بحملها من الثلج الأبيض، وحيث يرى المرء نَفَسه حين يتصاعد من فيه كأنه بخار منعقد، وحيث يمشي في خف مبطن يسمع له على الثلج الناعم صريرٌ خفيٌّ — فأقرب ما يختاره لذلك هو الأرنب القطبي.

هو حيوان ضئيل الجسم أبيض الشعر طويل الأذنين يقطن تلك الغابات في أقاصي الشمال المتجمد، وهو مرح أنيس يملأ جنبات الغاب القاتم الهامد في زمن الشتاء حركة ونشاطاً، فيثب من فوق آكام الثلج بسرعة كسرعة الثلج المندوف الذي تتقاذفه الرياح الهوج. ولولا أن قوائمه تكتسي في الشتاء خفاً كالخف المبطن الذي يلبسه الناس، لغاصت قوائمه في ذلك الثلج الناعم اللين، ولما استطاع أن يتحرك في جو تعجز فيه عن الحركة جميع الوحوش والطيور، إلا طائرٌ واحدٌ يسمى الصَّعْو.

وقد سمى هنود الغابات الأمريكية الشمالية هذا الأرنب باسم «وباسو»، ويسميه أهل أمريكا الآن «الأرنب المتلوّن»، وذلك لأنه يغير لون شعره فيكون في الشتاء أبيض كالثلج، وفي الصيف أغبر قاتماً.

وحياة هذا الأرنب كلها دلالة صارخة على شيئين: سلطان الحياة وغلبتها، وسلطان الموت وغلبته. ففي سنوات «الهَيْج» تتكاثر هذه الأرانب تكاثراً هائلا، فربما مضيت تذبح منها في كل يوم ٥٠٠ أرنب فلا تكاد بعدئذ ترى في جماعاتها نقصاً ملحوظاً. ولكن إذا جاءت سنوات «القحط» فشا بينها وباء فتاك من الطاعون،

فربما نفضت ببصرك مناطق كاملة ، فلا تكاد تبصر فيها أرنباً يتحرك . وسنوات الهيج والقحط تأتى على نظام ثابت .

وفى أواسط الشتاء القارس ، وفى ذلك الفضاء الأشهب ، لا تكاد ترى شيئاً يتحرك سوى هذا المخلوق الصغير الأبيض اللون ، الذى كان منذ عهد قريب أغبر اللون . وليس من العجيب أن تجد الهنود الحمر الذين يقطنون غابات الشمال الأمريكى قد نسجوا بعض أساطيرهم عن بطل يتميز بالمراوغة والتلوّن ، ورمزوا له برمز يشبه صورة هذا الأرنب .

ويقضى هذا الأرنب حياته القصيرة الخاطفة فى رقعة ضيقة من الأرض . فمنذ تولد صغاره غُبْر الألوان كل ثلاثة أو أربعة منها فى بطن ، ومهدها فى جذع شجرة ، أو فى حجر مبطن بأوراق الشجر — إلى أن تنطفىء جذوة حياته ، تراه قلما يبعد متجولا خارج الرقعة التى ولد فيها . وهو لا يحتاج فى تجواله فى حيزه هذا إلى شىء من سعة الحيلة أو لطف التدبير ، فهو يفلت من قبضة أعدائه بفضل ما وهب من سرعة عظيمة فى العدو . والذى يحفظ عليه حياته وتكاثره ثلاثة أشياء : تغير لونه شتاء وصيفاً ، وأكله كل طعام ، وكثرة نسله . وهو وإن كان حيواناً مَرِحاً ترى الرقة فى عينيه ، إلا أن ذكوره إذا جاء وقت سِفادها تنقلب شكسة لا تنقطع فيما بينها عن العراك العنيف فيحاول كل منهم أن يبقر بطن صاحبه .

وهو لا يخاف أن يموت جوعاً إذا كثر الثلج وتراكم ، فإنه لا يقتصر فى قوته على البرسيم أو العشب أو ورق الشجر وحسب ، بل يستطيع أن يقتات بأى شىء تقريباً ، فهو يأكل لحاء شجر الحور والصفصاف . فإذا اشتدت به الحاجة أكل لحاء شجر الأرز والصنوبر على لذعة طعمها — ولا يزال يأكل منها أكلا لمًّا حتى يصير لحمه مشبعاً بالصمغ فلا يستطيع إنسان أن يأكل منه . وقد تبين الصيادون أن بعض هذه الأرانب تأتى المخاخ المنصوبة للحيوانات آكلة اللحوم فتختطف منها اللحم المتجمد وتأكله .

وتغيُّر فرو هذا الأرنب يعدّ من أعجب نعم الله عليه . فهو فى الصيف أغبر اللون ، فإذا انبطح على الأرض غاب عن الأبصار . وهو فى الشتاء أبيض اللون فإذا انبطح فى الثلج ضلت عنه الأبصار أيضاً . وقد كان الرأى زمناً طويلا أن لون شعره هو الذى يتغير فيما بين الخريف والشتاء كما يشيب شعر البشر على مر السنين . غير أن تغير لون هذا الأرنب يرجع فى الحقيقة إلى سقوط شعر الفرو ونبات شعر غيره . والأسلوب

الذى يتم به هذا التغير فى اللون من أعجب الأشياء . فلو أنت نتفت خصلة من شعره فى زمن الخريف ، نبت مكانها شعر جديد أبيض كالثلج سابق لأوان التغير المتوقع الآتى فى زمن الشتاء . وعلى نقيض ذلك يكون شأنه إذا أنت نتفت خصلة منه فى زمن الربيع إذ ينبت مكانها شعرٌ أغبر قاتم سابق للتغير المتوقع الآتى فى زمن الصيف .

وقدم هذا الأرنب ضعف قدم الأرنب الأهلى . وأما أصابعها فمفرطحة متباعدة وليست مُدْمجَة مجتمعة ، فإذا دنا الشتاء نبت على أقدامه فروٌ أبيض كثيف ، ويظل يزداد ازدياداً ، حتى إذا ما سقط الثلج تكون قد صارت خفافاً عريضة لينة خفيفة المواطىء ، فتمكنه من أن يثب فوق آكام الثلج دون أن يغوص فيها . فتراه يثب وثباً واسعاً خفيفاً رشيقاً لا يكاد يترك على الثلوج أثراً ، حيث ترى أرشق حيوان الشمال لا يكاد يمشى حتى تغوص فى الثلج قوائمه . وإذا اضطر رأيته يسبح فى الماء سبحاً قوياً كأنه يستعين على ذلك بالمجاديف .

ومع ذلك فهو مخلوق تتصرف الطبيعة فى أمره كما تشاء ، فهى تقيه كل الوقاية ، وتضاعف نسله كل المضاعفة ، وتفتك به كل الفتك . فترى كل مفترس وضار يطارده ليناله : من الصقر إلى البوم إلى الوَشَق إلى الثعلب إلى الكلب إلى النمس إلى الإنسان . أما الطفيليات فتغزوه منها حشودٌ هائلة تعلق بظاهر بدنه أو تثوى فى جوفه ، فتفتك به ويقل تعداده . وكل ما فى الغاب من ذى ظفر أو ناب عدوٌّ لهذا الأرنب ، فإذا راغ منها جميعاً وبدأ يضاعف عدده ويتكاثر حتى يبلغ زمن « الهيج » ، استقبله بعد ذلك الوباء الفتاك .

ومن عجائب الطبيعة أن ترى بين هذا الأرنب وبين الصَّعْو صلةً وثيقةً ، فكلاهما رمز للشتاء فى الشمال المتجمد ، غير أن الأرنب من ذوات الأربع وذوات الفرو ، والصَّعو من الطيور ذوات الريش وذوات الأجنحة . فحين يريد الصعو أن يبتنى لنفسه عشاً فى جذع شجرة يؤثر أن يجعل مهادَ عشه شيئاً ليناً ناعماً دافئاً ، فتراه يتخذ مهاد صغاره من فرو هذا الأرنب ، فكأن الطبيعة تأبى إلا أن تقيم الدليل على قرب الأواصر التى تربط بين هذه الخلائق التى اقتحمت تلك المناطق الباردة القاسية .

احرص على الموت توهب لك الحيـاة [أبو بكر الصديق]

تستعين بريطانيا على النهوض باقتصادها برجال العلم والصناعة وزعماء النقابات والحكومة . وأساليبهم فى العمل خليقة بأن تحتذى فتنفع سائر الأمم .

الحاجة تفتق الحيلة

ستانلى هاى

رأيت فى حديقة فكتوريا بلندن ، نادياً يعنى أعضاؤه بتربية الأنعام من أجل لحمها ، ويدبر أموره رجل يدعى « كف » كان من رجال الشرطة . وكلاهما رمز للروح البريطانية بعد الحرب .

قال كف : « الحاجة تفتق الحيلة . وقد علمتنا الحاجة ، كيف نصنع طوباً بغير تبن » .

وزملاء كف جماعة تتألف من ضابطين من ضباط الشرطة ، وعامل فى مصنع جعة ، وبناء وطباخ وسائق سيارة ، وحمال طوب وثلاثة كتبة . فهذه الجماعة تزاول فى قلب لندن وفى أوقات الفراغ ، تربية الأنعام زمن السلم ، كما زاولوها زمن الحرب ، حتى يسدوا بعض العجز فى طعامهم وطعام أمتهم .

وقد بدأوا سنة ١٩٤١ وهم لا يملكون أرضاً ولا مالاً ولا معرفة بتربية الأنعام ، فأقطعهم المجلس المحلى فداناً فى حديقة فكتوريا ، ودفع كل منهم خمسة قروش لشراء الأنعام الخمسة الأولى ، أما بقية الثمن فأخذوها من جزار رهنت عنده الأنعام .

ثم استعانوا بنشرات وزارة الزراعة وبمشورة طبيب بيطرى ، على معرفة طرائق تربيتها . فصنعوا حظائر من خشب استنقذوه من أنقاض المبانى التى هدمتها القنابل ، وكانوا فى مبدأ الأمر يجمعون فضلات الطعام والعلف لتغذية الأنعام ، ويضعونها فى عربة يد . أما اليوم فلهم عربة يجرها جواد .

قال كف : « وقد أنتجنا فى السنة الماضية ٦٤٩٥ رطلا من اللحم ، فاشترت الحكومة منها ٤٤٩٥ رطلا وتركت لنا ألفين . وقد خص كل عضو من أعضاء النادى ٥٢ شلناً ونصيبه من اللحم . وقد ختمنا السنة ولنا فى المصرف مئة جنيه » .

وفى بريطانيا اليوم خمسة آلاف من هذه الأندية ، منها نحو مئتين فى لندن . وما يتجلى فيها من ثقة بالمستقبل ، وبراعة وعزم على الانتفاع بما لديهم أو بما يمكن أن يجدوه ، هو صورة لما يضطرب فى نفس الأمة البريطانية من روح المبادرة والنضال التى امتازت بها فى سنة ١٩٤٦ .

والثورة البريطانية الحقيقية ليست ثورة سياسية أو اشتراكية ، وإنما هى إقدام ولدته الحاجة ودوافع النشاط والبراعة والاعتماد على النفس والتعاون. وقد ألفت هذه الثورة بين جهود طبقات الشعب المختلفة تأليفاً واسع النطاق ، وكتب صحفى كبير : « أصبح الآن لكل فرد خطره ، كما كان له خطره فى زمن الحرب » . والباعث على ذلك هو المنفعة، إلا أنها منفعة تتخطى فائدة فرد بعينه أو جماعة بعينها، إلى منفعة الأمة كلها وتقدمها.

وهــذه هى روح البريطانيين المتطلعين إلى أمام. ولم يئن الاوان بعد لنتبين عواقب ذلك ، ولكن إذا تمّ لأهل اليقظة والعزم والتقدم، أن يحيوا بمجهودهم اقتصادهم السقيم، كانوا خليقين أن يقيموا للعالم — ولأهل النظريات الاشتراكية منهم — دليلا جديداً على ما فى الاقتصاد الحر من قوة كامنة متفوّقة. وقد يجدون وسائل ودوافع جديدة تدفع هذا النظام دفعاً مطرداً ، حتى يصير صالحاً يسدّ حاجات الأمة . وكل اقتصاد حر ، فبعض مصيره معلق على مصير هذه الجهود .

قال السر ستافورد كريبس وزير التجارة : « لقد هدمنا اقتصادنا فى زمن السلم اختياراً وعمداً لننهض بنصيبنا الكامل من مجهود الحرب . فينبغى لنا اليوم أن نعتمد على أنفسنا فى بناء مستقبلنا » .

وترى صحيفة التيمس أن بقاء بريطانيا رهن « بقدرة الشعب البريطانى على أن يستعين بذكائه على العيش، وأن يزيد ما ينتجه من موارد ليس فيها الآن مجال للزيادة » .

وقال السر ريموند ستريت رئيس مجلس القطن : « إن مستقبلنا الاقتصادى رهن بالبراعة الفائقة فى الانتفاع التامّ بكل عامل ، وبكل متر مربع من الأرض ، وبكل طن من الخامات ، وبكل جنيه من المال . ولن نستطيع أن ننافس غيرنا حتى يصير كل منا رامياً سديد الرماية » .

والبريطانيون ينقبون اليوم فى جزيرتهم عن الموارد التى لم تستغل ، أو التى قلّ استغلالها، باحثين عن كل وسيلة فى أرضهم تعينهم على النهوض . وقد بدأوا ينفذون مشروعات تضاعف القوة الكهربائية المولدة من مساقط المياه ، وقد دل البحث الحديث على أن القوة المائية تكفى لتوليد ٤٠ فى المئة من الكهرباء اللازمة للأمة ، فيوفر ذلك ٦٫٥٠٠٫٠٠٠ طن من الفحم فى السنة .

ولقــد ضيع البريطانيون بين الحربين العالميتين ثلاثة ملايين فدان من الأرض الزراعية الجيدة، لأنهم لم يتبصروا فى اختيار مواقع المصانع والمبانى العامة . فلكى تتلافى الأمة ذلك ، أنشئت لجنة يديرها كبير علماء الجغرافية ، فأتمت منذ عهد قريب مسح

البلاد ، وصنعت خرائط صنفت فيها أرض بريطانيا إلى عشر طبقات وفقاً لجودة تربتها . فإذا ما أراد أحد الآن أن يشيد بناء ، وجب أن يستأذن وزارة الزراعة . وقد تبينت هذه الوزارة أن سواد الناس يرضون ما تقترحه ، ويشيدون البناء الجديد حيث تكون الأرض أقل ما تكون صلاحاً للزراعة . ثم إن مشروعات الصرف الجديدة فى ١٥٠ ألف مزرعة ، صيرت ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ فدان صالحة للزراعة .

تجد فى أسكتلندة مجلساً للصناعة يمثل غرف التجارة والمصارف ونقابات العمال والحكومة ، وعلى رأسه مدير مصرف كبير هو السر ستيفن بلزلاند . وقد عهد المجلس منذ زمن قريب ، إلى جماعة من العلماء بأن يستكشفوا ما فى أسكتلندة من موارد طبيعية لم تكشف من قبل ، وقد وجدوا فيما وجدوه جيراً ورملا يصلح لصناعة الزجاج ، وكانت أسكتلندة تستوردهما. وثمة صناعة أخرى مرتقبة ، تقوم على ما كشف حديثاً من رواسب الإردواز الجيد .

وقد كشف علماء أسكتلندة أيضاً منافع جديدة لحشائش البحر فى الكيمياء الصناعية، وهذا خليق أن يزيد الدخل القليل الذى يصيبه صغار المزارعين فى شمال البلاد . وهم يبحثون الآن فى نباتات البلاد عسى أن يفضى بحثهم إلى إقامة صناعة العطور فيها .

وقد شمل التجديد القومى دقيق الشوفان الذى يعد أهم مصادر التغذية فى البلاد ، وكان استهلاكه قد هبط هبوطاً شديداً ، فعاد زراعه وطحانوه بوزير أسكتلندة ليعينهم بهبة من المال . فقال لهم إن تمهيد الأسواق لبيع الشوفان خير من كل هبة ، وإذا أعطوه مئة جنيه ، فلعله يستطيع أن ينشط الأسواق . فأعطوه المئة بعد تلكؤ .

ثم أكب الوزير على دراسة مناهج التدبير المنزلى فى مدارس البلاد ، فوجد الأطعمة الفرنسية فيها أكثر من الأطعمة الأسكتلندية، فقال لموظفى المدارس : « سوف نعنى منذ الآن بتعليم البنات الأسكتلنديات أن يجدن طبخ المحاصيل الأسكتلندية ، حتى يؤثرها الجميع على كل طعام آخر » .

وهيأ مباراة عامة ، وجعل المئة جنيه جوائز توزع على الفائزات اللواتى يبتكرن خير طريقة لطبخ دقيق الشوفان ، ووعد أصحاب الفنادق والمطاعم بأن يعينوا الفائزات فى أعمال ملائمة . فدخل المباراة أكثر من ٢٠ ألف فتاة ، وتولت الملكة إليزابث — وهى أسكتلندية — توزيع الجوائز . وبعد سنتين من الترويج للشوفان على هذا المنوال، صار ما يطحن من دقيقه أربعة أضعاف ما كان

وقد أقيمت مباراة أخرى لكشف أساليب جديدة لطبخ البطاطس أو سمك الرنجة طبخاً يجعلها أجود وأشهى . فقد أضرّت منافسة الروس بتجارة الرنجـة ، ولكن الانتفاع بالمعدات والأساليب الحديثة كالتبريد السريع أخذ ينعشها .

ولكى تنتفع البلاد بكل رجل وبكل مال ومورد مهما قل، ترى رجال العلم والصناعة والحكومة يحشدون علمهم وتجربتهم حشداً يفوق ماتم لأية أمة أخرى فى زمن السلم . وترى كل عالم متحفزاً ليمد يد المعونة إلى الصناعة ، مهما كان علمه نظرياً مجرداً. وقد قال أحد العلماء : « تستطيع الصناعة أحياناً أن تحول الآراء المجردة حقائق نافعة » .

وقد أخبرنى السر لورنس براج ، مدير معهد كافندش فى كمبردج ، أنه ينفق نصف وقته على الأقل فى إبداء رأيه فى مسائل الصناعة . وقال : « لقد بلغ عدد علماء الطبيعة الذين طلبهم أصحاب الصناعات أربعة أضعاف مايتاح منهم الآن، والمرتبات المعروضة عليهم ضعف ما كانت عليه قبل الحرب . وإذا ظفرت شركة بعالم من الطبقة الأولى ليتولى قسم الأبحاث فيها ، عينته فى الغالب عضواً فى مجلس إدارتها أيضاً » .

والحكومة تعفى من الضرائب كل ما يُنفق فى الأبحاث الصناعية . وإذا ما أنفقت شركة مالا على تشييد مبنى للبحث وتزويده بالمعدات، حق لها أن توزعه على ست سنوات، وتعدّه نفقة معفاة من الضرائب .

وفى مدينـة مانشستر معهد للأبحـاث أنشأته جمعية بحث القطن هو معهد شيرلى ، وهو يضم نحـو ٤٠٠ عالم وفنى ، يتولون البحث فى نواحى صـناعة القطن جميعاً ، من القطن الخام إلى آلات النسج . ومنهم عشرون خبيراً يطوفون دائماً فى أرجاء البلاد لكى يذيعوا النتائج التى وصل إليها علماء المعهد ، ولكى يطلعوا المعهد أسبوعاً بعد أسبوع على ما يحتاج إليه رجال الصناعة .

وتتحمل صناعة القطن ثلثى نفقات المعهد وتتحمل الحكومة الثلث الباقى . ويتألف مجلس الإدارة من ثمانيـة وثلاثين من رجال الصناعة ونقابات العمال ، معهم إثنان يمثلان للحكومة .

وقد وضعت الخطط لزيادة العلماء والفنيين القادرين على البحث . فى إنجلترا وويلز ثمانية مجالس إقليمية استشارية ، تتألف من خبراء يعنون بتوسيع نطاق التعليم الصناعى ورفعه إلى مستوى التعليم فى الجامعات . وترى رجال الصناعة مستعدين أن يكفلوا للنجباء من موظفيهم نفقة التحاقهم بالجامعة لدراسة العلوم والصناعات . أما الصغار الذين

انقطعوا عن الدراسة للعمل فى المصانع، فسوف يتاح لهم أن يعودوا إلى مدارسهم دون انقطاع. وأما مدرسو العلوم الصناعية فينتظر منهم أن ينضموا إلى المصانع فى الحين بعد الحين لكى يسايروا تقدم الأساليب الصناعية. وسوف يختار فريق منهم فى فترات منتظمة لدراسة الأساليب الصناعية فى سائر الأقطار.

ومنذ عهد قريب نظمت إحدى شركات السكة الحديدية مبادلة مؤداها أن يتولى بعض رجال الشركة كل سنة بحوثاً علمية أصلية فى معامل الجامعات، وأن ينفق رجال الأبحاث فى الجامعات من ستة أشهر إلى سنة فى معامل الشركة لبحث المشكلات الفنية التى تعترضها فى عملها.

والحكومة تتوسل اليوم بقانون التعليم الذى صدر سنة ١٩٤٥ لتكثير أصحاب المهارة الصناعية فى الأمة، وقد شرعت تزيد الكليات الصناعية للأحداث زيادة سريعة. ويدرب الآن المهندسون الذين اختصوا بتصميم الآلات والمبانى حتى يلبوا مطالب الصناعات الجديدة. وقد أخذت برأى الفلاحين ونقابات العمال، فجعلت تنشىء مراكز فى المناطق الزراعية لتدريب الأحداث من عمال الزراعة، وزيادة مهارتهم بمزاولة العمل.

ورجال الصناعة البريطانية يستعينون بالعلماء، ورجال الحكومة على فحص الصناعة البريطانية فى جميع نواحيها، حتى يتبينوا مواضع تخلفها وعلته، وكيف يصلح أمرها ويزيد إنتاجها، فقد قضت الحرب على ما ألفه الإنجليز من شعور الرضى والاطمئنان الذى ولّده تفوق بريطانيا الصناعى وسيادتها فى أسواق العالم. وقد قال ناطق بلسان الغرفة التجارية: « ينبغى لنا أن نمتحن كل أسلوب من أساليب الصناعة، وكل مادة من موادها، وأن نفحص فحصاً دقيقاً ما ألفناه دهراً طويلا فى أعمالنا ».

ويتزعم هذا الفحص والبحث عن طرق الإصلاح، السر إدورد أبلتون، كبير علماء الطبيعة فى بريطانيا، وأحد رواد «رادار»، فهو الآن رئيس مصلحة للبحث العلمى الصناعى تنفق عليه الحكومة من مالها.

وأصحاب الأعمال الكبيرة والصغيرة يرجعون إلى هذه المصلحة لطلب الإرشاد. فهذا رجل يصنع أدوات للدراجات، وقد عزم أن يحفظ مصنعه بعد الحرب فى مستواه قبلها، فخصص أربعة آلاف جنيه للبحث، فذهب إلى السر إدوارد وسأله كيف ينفقها، فأعانه على الظفر برجل يحسن تصميم الأدوات، وزوّده بمعلومات عن سير الأبحاث وتقدمها.

ويوم زرت المصلحة كان مديرو شركة للسكر مجتمعين فيها، وقالوا إنهم يريدون أن ينفقوا خمسين ألف جنيه على الأبحاث فى العام. فلكى يحسن السر إدوارد إرشادهم. دعا عالمين من كبار علماء كيمياء السكر، وكان أحدهما أستاذاً فى جامعة، والآخر ملحقاً بشركة سكر أخرى. وبعد اجتماعات دامت يومين خرج مديرو الشركة بمشروع ميزانية، وبكشف فيه أسماء باحثين من المقتدرين، وظفروا أيضاً بخبر البحث العلمى الدائر فى كيمياء السكر، وبرأى سديد عن أنفع بحث ينفقون عليه مالهم. ولم يكلفهم كل ذلك سوى نفقة انتقال العالمين وإقامتهما يومين فى لندن.

وفى أواخر السنة الماضية نظم السر ستافورد كريبس، وزير التجارة الهمام المبتكر، جماعات العمل، وهى تعبر عن رأى البريطانيين فى أن الصناعات البريطانية مهما بلغ تفوقها فيما مضى، عادت غير صالحة لمجاراة الزمن. وغرض كل جماعة أن تبحث بحثاً دقيقاً صناعة بعينها، حتى تتبين الوسائل التى تمكنها من أن تخوض غمار المنافسة فى أسواق العالم، وتزود المستهلك الإنجليزى بأجود السلع، وبأقل ثمن يوافق نجاح الصناعة وحسن حالها.

و « جماعة العمل » مؤلفة من أربعة أعضاء يعينهم أصحاب الصناعة، وأربعة تعينهم نقابات العمال، وأربعة يمثلون الأهلين، ورئيس محايد تعينه وزارة التجارة. وتجد بين الذى تم تعيينهم فريقاً من أكبر رجال الصناعة وزعماء العمال، وتجد أيضاً طائفة من أقدر رجال العلم والاقتصاد وإدارة الأعمال. وهم جميعاً لاينالون أجراً على عملهم.

وقد عينت الجماعات الخمس الأولى لتفحص صناعات القطن والجوارب والأثاث، وأوانى الخزف. ويوم كنت فى مانشستر كانت « جماعة العمل » التى عينت لفحص صناعة القطن جادة فى عملها، مع أنها لم تشكل إلا منذ ثلاثة أيام. ورئيسها هو السر جورج شوستر، مدير عشر أو أكثر من الشركات الكبيرة، ومن أقدر رجال الأعمال فى إنجلترا. وقد لقيته فقال لى: « إن مجالس الإدارة التى أرأسها تعلم أن لا رخاء لأحد منا إن لم يكن الرخاء عامًّا شاملا ».

وكذلك ترى أن البريطانيين فى تضامنهم هذا التضامن العجيب، على استرداد قوة الأمة وسلامة كيانها، يرمون إلى استرداد قوة كل فرد فيها وسلامة كيانه. وقد يسفر عملهم هذا عن دليل جديد ناهض على أن الاقتصاد الحر خير من أى ضرب آخر من ضروب الاقتصاد، وأنه يكفل للأمم ما تبغى من النهوض والارتقاء.

هذه طبائع البشر

دنا القطار من مدينة أوجدن فى ولاية يوتاه ، أقبل الحمَّال على الركب فى العربة التى كنت فيها وقال بلهجة الجدّ : « سيداتى وسادتى ، إلى الشمال سلسلة من الجبال ، وفيها قمة يغطيها الثلج ، وتدعى ربوة العشاق » .

فاشرأبت أعناقهم ليتملوا من المشهد ، ومضى الحمَّال فقال : « ومنذ سنة تقريباً ترك القطار عروسان لكى يصعّدا فى هذه الجبال وهبت عاصفة ثلجية شديدة فضلاَّ ، وظلاَّ ثلاثة أيام يهيمان على وجههما ، وقد برح بهما البرد والجوع ، فعزما أخيراً أن يقفزا من الجبل إلى الهوة تخلصاً من العذاب والحياة . وكانا فى عناقهما الأخير ، وإذا العروس تصيح : ما هذا فى جيبك ياحبيبى؟ فتلمس جيبه وقال : إنه كيس من الفول السودانى اشتريته بقرشين ونحن فى القطار . قال الحمَّال : « وأنقذهما الفول من الجوع وأخيراً شقا طريقهما إلى أقرب قرية .

« فإليكم سيداتى وسادتى . فولا سودانياً مملحاً إن شئتم ، أو فولا مسكراً .

« الكيس بقرشين » .

وقد غلبت ضجة الركب على تهاليله ، ولكنه باع الفول !

[غوردن هنز]

قضيت منذ عهد قريب ، إجازة فى نيويورك ، فرأيت ذات يوم سيارة نقل مثقلة بأوانٍ زجاجية تخرج مدبرة من فناء المصنع إلى الشارع ، فمرت سيارة نقل كبيرة وصدمتها فتحطم الزجاج ، فسخط السائق وكاد يتفجر سخطه دمعاً مسكوباً . واحتشد جمهور كبير من الناس ، ثم تقدم منه شيخ فاضل وقال بلهجة العطف : « أحسب أنك مضطر أن توفى ثمن الزجاج المحطم من جيبك الخاص » .

فقال السائق كسير القلب : « أحسب ذلك » .

فقال الشيخ : « خذ هذا الريال وهات قبعتك أديرها على الناس لعل بعض الخيرين يجود بما يعينك » .

فتقدم أكثر من مئة منهم وألقوا فى القبعة بعض ما تيسر لهم من المال . ثم استردّ السائق قبعته ، وأخذ المال ودسه فى جيبه ، وأخذ الجمع يتفرق ، فالتفت السائق فرأى الشيخ الخير منصرفاً فقال : « والله إنه لرجل ماهر ذكىّ . إنه رئيسى »

[جيمس هودجز]

دخل شاويش شديد الأسر وثيق التركيب من مشاة البحرية فناء مدرسته القديمة

فى بوسطن، ومشى إلى مكتب الناظر وكانت أوسمة الحرب تزين صـدره شاهدة له بالشجاعة والإقدام . فحياه الناظر أحسن تحية ، وتحدث مع تلميذه السابق عن بعض تجاربه فى معارك جزيرتى أيوجيما وأوكيناوا ثم سأله : « أثمة شىء أستطيع أن أسديه إليك؟ » فقال الشاويش : « نعم ، أنوى أن ألتحق بالجامعة ، فهل تتفضل بإعطائى نسخة من درجاتى فى المدرسة ؟ »

فقال الناظر : « طبعاً ، طبعاً ، إذهب إلى الحجرة ٢٠٠ واسأل المس جونز ، فهى تحفظ سجلات الطلاب جميعاً » .

فتردد الفتى هنيهـة ، وقال متلعثماً : « ألا تستطيع أن ترسل إليها من يأتينى بها ، فأنا ما زلت شديد الخوف منها » .

[تشارلز شارب]

لى صديق من رجال الزيت، فاتح صاحب مزرعة كبيرة فى تكساس عسى أن يؤجره أرضه ليحفر فيها آباراً لاستخراج الزيت ، وكان صاحب المزرعة مشهوراً بتربية أغنام كريمة حمراء الصوف ، لاتزال تراها تتهادى فى مراعيه الفاخرة ، وكانت أغنامه أثيرة عنده ، فرفض كل عرض عُرض عليـه .

وقال له صاحبى : « تصور ما تستطيع أن تصنعه بهذا المال الكثير الذى أعرضه عليك — تستعمل الكهرباء فى إضاءة منزلك وفى تدبير أموره ، وتبنى جدرانك بالإسمنت ، وتشترى المعدات الميكانيكية والكهربائية التى توفر على زوجتك شيئاً كثيراً من عناء العمل . ألا يستهويك كل هذا ؟ » . فقال المزارع : « لا »

لكن رفضهُ لم يفتّ فى عضد صاحبى ، فأعاد الكرة عليه فقال : « تصوّر غابة من أبراج آبار الزيت فى هـذه الأرض يتدفق منها الذهب الأسود السائل ليل نهار، وتصور هـذه الأبراج مضاءة فى الليـل فيراها الرائح والغادى من مسافة أميال كثيرة . أتستطيع أن تتخيل منظراً أجمل وأروع من هذا المنظر ؟ »

فقال المزارع : « نعم أستطيع » ، ثم أشار بذراعه إلى المراعى الفسيحة وقال : « منظر هـذه الأغنام الحمر ترتع فى هذا البساط الأخضر » .

[ميلدريد ثابر كلارك]

قال القاضى لمتنازعين : لمـاذا لا تفصلان فى خلافكما خارج المحكمة ؟
فقالا : ذلك ما كنا نفعله حين تدخّـل فيما بيننا البوليس .

كانوا من أبرع طيارى الحرب ، فصاروا اليوم من أنفع طيارى السلام .

عادوا يشقّون أجواز الفضاء

دون إدى

مختصرة من " ذى أمـيريكان مجـازين "

فى يوم قائظ من أيام الصيف الماضى جلس روبرت پرسكوت وعروسه ، فى شقتهما الضيقة المكتومة فى وشنطن . وقد كان روبرت من أبطال الطيران الحربى فى الصين وطيران النقل فوق جبال هملايا ، وكثيراً ما ورد ذكره فى الصحف ، وهو شاب مديد القامة دمث الأخلاق يخفى وراء لينه عزماً كالحديد ، فجلس هو وعروسه يتحدثان فيما عسى أن يعملا فى المستقبل .

فقال روبرت : « خطر لى أنه يحسن بنا أن ننشىء خطاً للنقل الجوى . فلمَ لا ندعو بعض الذين طرت معهم فى آسيا إلى المساهمة ؟ وأنا أعرف أربعة من رجال الصناعة فى كاليفورنيا ، خليقين أن يشتركوا معنا . فماذا يمنع أن ننشىء خطاً جوياً لنقل البضائع من طرف القارة إلى طرفها الآخر كأن الطائرات سفن تروح وتغدو حيث تدعوها ضرورة العمل ؟ وأنا أظن أن العمل قمين بالتوفيق .

فأرسلا برقيات إلى من يعرفان عنواناتهم من زملاء روبرت السابقين فى الصين والهند ، فكانت الاستجابة فوق ما توقعا سرعة وحماسة . فأرسل أحدهم بالتلغراف سبعة آلاف ريال ، وطلب أن يعرف : « متى نبدأ العمل ؟ » وتلقيا من رجال الصناعة الأربعة فى كاليفورنيا برقية فيها : « اجمع كل المال الذى تستطيع أن تجمعه ، ونحن نشترك بمثله ريالا بريال » . فما أشرف الأسبوع على نهايته حتى كان پرسكوت وزوجته قد جمعا تسعين ألفاً من الريالات .

فأوصى پرسكوت من فوره على ١٤ طائرة من طائرات الشحن ذوات المحركين ، ودفع المبلغ الذى جمعه قسطاً أول من ثمنها ، واتفق على أن يوفى الباقى ، وهو ٣٢٠ ألف ريال ، أقساطاً شهراً بعد شهر . وكانت هذه الطائرات مصنوعة من الصلب الذى لا يصدأ ، وكانت رؤوسها ضخمة تزيد من قدرتها على حمل ما تحمل ، وكانت ذيولها مرتفعة ، تستطيع أن تدلى منها معابر تعبر عليها سيارات النقل إلى جوفها الرحب الذى يتسع لبضائع تبلغ زنتها عشرة آلاف رطل . وكان پرسكوت قد قاد هذه الطائرات ،

فتبين أنهـا تستوى فى الجو غير مضطربة ولا مترجرجة ماضيةً إلى طيتها .

وانتخب پرسكوت رئيساً للشركة، فاتخذ مقره فى المطار الأهـلى فى لونج بيتش بكاليفورنيا على ساحل أمريكا الغربى ، ولـكن الطائرات التى اشتراها كانت جميعاً فى ولاية جورجيا قرب الساحل الشرقى ، ففتش فى جيبه فلم يجـد من المال إلا ما يكفيه ليطير بواحدة منهـا من الشرق إلى الغرب .

ثم قضى أسبوعين يذرع مدينـة لوس أنجيليس يبحث عن حمولة ينقلها بطائراته ، فذهب بحثه أدراج الرياح . وكان مكتب الشركة لا يضم سـواه هو وزوجته وآلة كاتبة مستعارة . وكان اليأس قد أخذ يدب فى نفسهما ساعة دقّ التلفون : هـذا تاجر الفاكهة الـكبير رالف ميرز يسأل : « أتستطيع أن تنقل غداً ملء طائرتين من العنب الغض ، إلى الساحل الشرقى ؟ »

كانت يد روبرت ترتجف ، ولـكن صوته ظل هادئاً متزناً حين رد : « لا بد لى من أن أراجع جداول الطيران » . وقلب أمام سماعة التلفون أوراقاً كثيرة كان معظمها أوراق حسابات لم تسدد ، ثم قال : « آسف ليس عنـدنا سوى طائرة واحدة متاحة فى الغد . فهى لك إن شئت » .

هى فرصة قد سنحت بعدطول الانتظار ! فنقل أربعة أطنان من العنب إلى جورجيا فتلقاها بدّال فى نفسه نفحة من الشـعر ، فأعلن عنها : « عنب جاء بطائرة خاصـة ونَـدَى كاليفورنيا لا يزال يتلألأ عليه » . وجعل سعر الرطل ١١ قرشاً ، حيث يباع عنب جورجيـا بثلاثة قروش ونصف . ثم أبرق ملحاً فى طلب قدر آخر منه .

وسمع روبرت أن الأسر النازحة من نيويورك إلى الغرب تلقى مشـقة عظيمة فى نقل أشـيائها نقلاً سريعاً ، فتحدث بالتلفون مع مكتب يتولى شحن الأثاث . فما أصبح الصباح حتى كان روبرت فى طائرته ييمم شطر الغرب ، وكان فى جوفها أثاث خمس أسر ، بينها عربات للأطفال ومواقد للأفران ، وقفص فيه كنار غِرّيد .

فلما بلغ كاليفورنيـا وجد مصدر العنب يرعد ويبرق ويصيح : « إننى فى حاجـة إلى طائرات ! فكل بدّال فى أمريكا يلحف فى طلب عنبي الغضّ » . فقال پرسكوت : « خذ جميع الطائرات التى نستغنى عنها » .

وعمد ليلاً إلى التلفون فخاطب زملاءه فى شتى أرجاء البلاد . فهذا هدمان ، فتى غضُّ الأهاب كان قد أسقط خمس طائرات يابانية فى أول معركة جوية خاض غمارها ، وهـذا كرنيليوس الذى اشتهر بأنه أصاب

الطيارين عوداً فى ميدان الصين ، وهذا روسبرت رجل هادىء عاد حيًّا بعد انقضاء ٤٦ يوماً على سقوط طائرته فى مجاهل جبال هملايا ، وهـذا كنج رئيس قسم الإشارة وكان لا يبرح مكانه فى المطار إلا بعـد أن تبدأ القنابل اليابانيـة فى الانهمار عليه . وعثر أيضاً على ويكفيلد وقد عاد لساعته من الهند وإيران ، وعلى ويرتا رئيس قسم التسليح فى وحدتهم القديمة . فطلب إليهم جميعاً أن يسرعوا إلى جورجيـا ليجيئوا بالطائرات إلى كاليفورنيا ، وما فتئوا منذ تلك الليلة يعملون عملا لا ينقطع .

ومعظم ما ينقلونه من البضائع المألوفة : بطيخ ، وكريز ، ومحار البحر ، ورياش البيوت ، ولكنهم يصادفون فى الحين بعد الحين طلباً عجيباً . فقد دقّ التلفون مرة فى بيت برسكوت فى الثانية صباحاً ، فإذا المتكلم موظف فى شركة زيت فقال : « لقد تعطلت إحدى سفننا فى ميناء جالفستون فى خليج المكسيك ، وينبغى أن نرسل إليها تربيناً جديداً على أن يصل قبل ظهر غد ، أفتستطيعون أن تنقلوه ؟ » فقال برسكوت وهو بين النائم واليقظان : « نحاول » . فلم تكد تنقضى ساعة حتى قامت الطائرة وسلمت التربين فى الموعد المضروب .

وفى ليلة أخرى تحدث بالتلفون تاجر من تجار الدواجن ، وكانت طائرته قد تعطلت عند مفترق طرق فى أواسط أمريكا ، فقال : « عندى ٨٠٠٠ من الفراخ وقد ولدت أمس وستموت غداً إن لم تصل إلى مربى الدواجن فى لوس أنجيليس . أتستطيع أن تنقلها ؟ » فنقلها .

وتمكن أحد تجـار الأزهار فى لوس أنجيليس من أن يظفر بأول شحنة شحنت بعد الحرب من بصل السوسن والخزامى ، فنقلتها سفينة من هولنـدة إلى نيويورك ، ولـكنه عجز عن نقلهـا على وجه السرعة من نيـويورك إلى كاليفورنيا ، فحدث برسكوت بالتلفون وقال : « لأحد منافسىّ شحنة مثلها ستصل نيويورك على السـفينة التالية ، وأريد أن أسبقه » . فنقلت طائرات برسكوت أربعة أطنان من هـذا البصل ، من شرق أمريكا إلى غربها .

ومنذ أسابيع طلب مخزن للعقاقير أن تتولى هـذه الطائرات نقل ١٥٠٠ رطل من البنسيلين من نيويورك إلى كاليفورنيا .

وليس فى وسع هذه الجماعة من الطيارين أن تنهض بكل ما يطلب منها ، فقد رغب إليها أحد الممووسين من محبى الحيوان أن تنقل له من بوسطن إلى سان فرنسسكو جاموستين قد أحسن تدريبهما ، فقال وهو يحـاول إقناع برسكوت : « إنهمـا من

الحيوانات الأنيسة، وفى وسعها أن تقبلك متى طاب لها » ، ولكن فكرة قبلة من جاموستين فى طائرة محلقة على ميلين من سطح الأرض، لم تغره بالموافقة .

وقد أعدت هذه الطائرات لتكون ناقلة للبضائع ، ولكنها مجهزة بكراسى تطوى وتنشر تصلح للركاب. وقد نقلت مرة جماعة من غرب أمريكا إلى شرقها لحضور مأتم، ولكن أكبر جماعة نقلتها ، كانت على أثر وصول الطراد أستوريا إلى مرفأ سان بدرو فى كاليفورنيا فى أكتوبر الماضى ، بعد أن قضى سنة كاملة فى المحيط الهادى .

وقد تحدث أحد البحارة بالتلفون مع برسكوت وقال : « إنه ظفر هو وبعض زملائه بإجازة شهر ، وإنهم يريدون أن يستأجروا طائرة خاصة لتنقلهم إلى بيوتهم على ساحل أمريكا الشرقى . وانتشر خبر هذا الطلب فى الطراد كالنار فى الهشيم ، فما أقبل المساء حتى كانت جماعات أخرى من البحارة قد استأجرت أربع طائرات أخرى، فنقلت الطائرات الخمس ١٢٤ بحاراً أضرّ بهم النّوى إلى نيويورك ، ثم أعادتهم منها بعد شهر إلى مرسى الطرّاد .

نعم ، لم يكن طريقهم مفروشاً بالورد والريحان ، فقد حدث لهم مثلا أن عجزوا عن توفية ٢٠٫٠٠٠ ريال وهى قسطهم الثانى من ثمن الطائرات ، فاضطروا أن يبيعوا ستاً منها بمبلغ ٢٥٩ ألف ريال ، فدفعوه كله من أصل الثمن . وفى آخر الشهر الثانى دفعوا ما بقى عليهم من ثمنها ، فصارت جميع الطائرات الباقية ملكا حراً لهم . وقد تم لهم ذلك برغم ما نزل بهم يوم شبت النار فى إحدى طائراتهم على الأرض فى دترويت واحترقت . ويقول برسكوت : « كان ذلك أسود الأيام التى مرت بنا » ، ولكن شركة التأمين غطت هذه الخسارة .

وقد أصابت شركة برسكوت وصحبه — ناشونال سكاى واى — نجاحاً باهراً . فطائراتها تعبر الولايات المتحدة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب كل يوم ، وتقف حيث تجد ما تنقله ، وتنقل البضائع بأجر لا يزيد على خمسة قروش عن الطن مسافة ميل . وليس لها برنامج محدد ، ولا طرق معينة ، بل تذهب كالسفن الجوابة حيث يقتضيها شحنها أن تذهب .

وأجل شأناً من كل ذلك أن برسكوت وصحبه يتولون لحسابهم أعمالا حذقوها وأحبوها . ولست تراهم مديرى الشركة وموظفيها وحسب ، بل هم أيضاً الذين يتولون أعمال القيادة والملاحة والإشارة والإصلاح الميكانيكى فيها . وهم يصيبون فى كل ذلك متعة عظيمة .

كان هنرى ولاس رائداً فى توليد الذرة الهجينة . وهذا ابنه هنرى براون ولاس، يجرى على مبادئه فى تطبيق مبادىء الوراثة ، فيولد دجاجاً جديداً عجيباً.

أمير الدواجن

.. دجاج "هاى-لاين"

پول دى كروف

مختصرة من مجلة "كنترى جنتلمان"

فناء دار ريفية فى قلب أمريكا ، كان مهداً لانقلاب عظيم فى إنتاج الطعام بالسيطرة على أسباب الوراثة سيطرة عملية. فهناك شقَّ هنرى أ. ولاس الطريق المؤدى إلى توليد بذرر الذرة الهجينة* ، التى تفوق الذرة التى ولّدت منها فى مقدار المحصول وجودته . وهناك أيضاً تجد ابنه هنرى براون ولاس ، قد أذكت حماسته روح التجربة الزراعيـة التى أسفرت اليوم عن فراخ هجينة ممتازة — وهى دواجن بلغ تفوّقها فى وضع البيض وفى خواصّ أخرى، مبلغاً حمل المزارعين على أن يبتاعوا منها نصف مليون أو أكثر فى السنة الماضية .

وفى سنة ١٩٢٧ يوم أنشأ هنرى ولاس شركة الذرة الهجينة ، ولد مشروع السيطرة على الوراثة فى الفراخ ، فى فناء دار ولاس الريفيـة بغير تقدير أو تدبير . كان ولاس قد حاول أن يوجّه عناية ابنـه ، وهو فى الثـانية عشرة من عمره ، إلى الذرة الهجينـة فأخفق . ثم أهدت مسز ولاس إلى أولادها اثنى عشر فرخاً من الدجاج ، فقررت هذه الهدية مصير ابنها هنرى براون فقـد اشتعلت حماسته اشتعالا . وفى السنة التالية صنع الأب لابنه بيتاً لتربية الدجاج فى فناء الدار ، وأعطاه مئة فرخ من صنف « هوايت روك » ليجرّب بها تجاربه .

بدأ هنرى براون ، يتدرب على التجربة العلمية بما عاناه من بوادر الإخفاق فى تربية الدواجن . فقد نزل المرض بكثير من فراخه لقلة تجربته فى تغذيتها وتدبير أمرها . فحاول أن يعالجها بما وهبه أبوه من أدوات طبية ، فصار خبيراً فى مراقبة بيوتها ، (وكانت أمه تحلُّ محلّه حين يذهب إلى المدرسة) ، وسجل فى دفاتره تسجيلا دقيقاً وجوه الفرق الخفيـة فى قدرة دجاجه على وضع

* انقلاب فى زراعة الذرة « المختار » نوفمبر سنة ١٩٤٥ ص ٢٧

البيض ، فكان فى عمله أدنى إلى العالم الكبير منه إلى الصبىّ الغرّ .

وشد الأب أزر ابنه ، فأضاف إلى سربه بعضاً من دجاج « أوسترالوربس » الأسود ، وستة من الديكة العريقة ثمن كلٍّ منها ٣٠ ريالا .

وقد لاح يومئذ أن ما تعلمه هنرى براون كان شيئاً لا جدوى منه ، فمهما يكن الدم الذى يدخله فى عروق الدجاج حرًّا كريماً ، فلا يلبث الدم العادىّ أن يغلبَ عليه ويسوده . وكانت قدرة الدجاج على وضع البيض ونشاطها العام يتفاوتان تفاوتاً كبيراً ، فاستعان بأبيه فبين له علة ذلك . ذلك أن الدجاج كالذرة لا يلد أبناء طبق الأصل إلا إذا ظفرتَ بسلالات نقية ، بأن تُزاوج بين الأقارب الأدنين ، ثم بتزويج ذكر وأنثى من سلالتين نقيتين .

فلما ذهب هنرى ولاس إلى وشنطن سنة ١٩٣٣ ليتولى وزارة الزراعة ، ذهب ابنه لطلب العلم فى الجامعة ، وغلب الظن يومئذ أن نجاح التجربة فى توليد الذرة الهجينة لن يتكرر فى توليد الفراخ الهجينة ، فقد جرب ذلك فريق من أشهر الذين يربون الفراخ فأخفقوا . وقد بدأوا مرة بعد مرة يحدوهم أمل عظيم ، فزاوجوا بين الذكر وأخته ، ولكن الأجيال التالية أخذت تضعف ضعفاً مطرداً ، وازداد معدَّل ما يموت من الفراخ ، وأصبح البيض أضعف من أن ينفلق عن فراخه . وما لبثت السلالات التى تولدت من مزاوجة الأقارب الأدنين حتى تلاشت .

وفى أثناء عطلة الصيف اشتغل هنرى براون مع فريق من الذين اشتهروا بتربية الدجاج ، فتعلم منهم كيف تحسَّن الفراخ التى تربى بالطريقة المعهودة ، فهم يختارون الإناث اختياراً دقيقاً لما تتصف به من نشاط وقوة ، أو تبكير فى البلوغ ، أو سرعة فى وضع بيض جيّد التفريخ . وقد استوقف اهتمامه تلك الإناث المتفوِّقة التى تضع الواحدة منها ٣٠٠ بيضة أو أكثر فى السنة ، وأسراب خاصة بلغ ما تضعه الأنثى منها ٢٠٠ بيضة على المعدَّل فى السنة . ولكنه عرف أيضاً أنه حين تنقل فراخ هذا الدجاج المتفوّق من بيوت الحضانة إلى مزارع الفلاحين ، يهبط عدد ما تضعه من البيض . ولذلك كان معدل وضع البيض فى أمريكا معدلا منخفضاً .

ولكن آل ولاس ثابروا . وإلى أن الريب كان يساور مربى الدجاج المرسين ، عمد ولاس الكبير فى سنة ١٩٣٥ إلى إنفاق ما تربحه شركة الذرة الهجينة على تربية الدجاج على مبدأ مزاوجة الأدنين . واشترك

في هـذه التجربة صديقه العالم بالوراثة « ريموند بيكر » .

وما كاد هنري براون يتخرج من الجامعة سنة ١٩٣٨ حتى انضم إلى هـذا المشروع الخيالي ، وما لبث حتى اصطدم بالعقبات . وكان تفاؤل الشاب قد حمله على أن يملي مذكرة ذكر فيهـا خطة باهرة غرضها أن تحدث انقلاباً في تربية الدواجن ، فقال : إن عليـك أن تبـدأ بخير ما تظفر به من دجاج « ليجهورن » الأبيض ، ودجاج « رود أيلند » الأحمر الشائع ، وليكن من السلالات التي تضع بيضاً كثيراً ، ثم زاوج بين الأخ وأخته من كل سلالة في أربعة أجيـال متوالية . وينبغي أن تنقى السلالة تنقيـة لا هوادة فيها ، وتنبـذ الضعيف من الفراخ ، والذي يتأخر بلوغه من الدجاج وما كان منها قليل البيض ، أو كان زغبه مبكراً في السقوط . ثم تزاوج مايتبقى لديك من ديكة « ليجهورن » ودجاجه ، وتحتفظ من نسلها بما كان أعظمها قوة ونشاطاً . وتجري على هـذه الوتيرة في مزاوجة ديكة « رود أيلنـد » الأحمر ودجاجه . ثم تزاوج ما تصطفيه من الصنفين فتظفر بفراخ متفوقة كل التفوق .

وقد تم ما توقعه ، على شدة ما لقي من المتاعب . فمزاوجة الأدنين في الذرة لعب وعبث إذا قيست بهـذا المشروع . ففي وسعك أن تخزن بذور الذرة التي تسفر عنها المزاوجة ، وأن تنسى أمرها حتى يحين زمن البذر . أما هذه الفراخ ، فيالله منها ! فمنـذ تولد ، تجد في رعاية ألوفها المؤلفة عناءً متصلا .

انظر إليها تتواثب في أقفاصها ، أو تعدو في الأرض الخلاء أو في بيوت التربية ، فإنه ينبغي لك أن تجمعها ، وأن تمتحن دمها ، وأن تصنفها أصنافاً ، وأن تطعمها ، وأن تسقيها ، وأن توقيها الخطر وعوادي الجو والمرض ، ثم ينبغي لك أن تراقب جميع خواصها العجيبة المحيرة التي تجعل للدجاج قيمة مالية ، وأن تمتحن هذه الخواص — وكل هذا ينبغي أن يسجل تسجيلا دقيقاً منتظما . أتستطيع أن تتصور مشقة حفظ هذه السجلات ؟

ولو كان سلوك هذه الدواجن الجديدة كسلوك الأصـناف الشائعة ، لـكان الأمر على جانب من اليسر ، ولـكن مزاوجة الأدنين أخرجت أغرب أسرار الوراثة . فهذه طيور قوية الجسم نشيطة ، ولـكنها فتاكة — فهي تنتاش بكل فرخ ضعيف يدنو منها . وهـذه طيور غريبة تغرد إذا أزعجتها ، وتلك طيور أخرى تأبى أن تخرج من بيوتها في طلب الطعام أو

الماء ، فهى خليقة أن تموت جوعاً .

ثم طغا المرض ، فتوالت الانفلونزا والفاش وجدرى الدجاج ، فقضت على نصف ما استولده هنرى براون من الدجاج الكريم العزيز .

ولكن عالم الوراثة ريموند بيكر بيّن للفتى ولاس أن هذه الجائحة نعمة فى ثوب نقمة ، فما قتله المرض من الطيور العاجزة بطبيعتها عن مقاومته ، ترك له الطيور القوية الشديدة الأسر . ومن ثمة أبى هنرى براون أن يداوى فراخه المريضة ، وتركها معرضة لجميع الأحوال والأمراض التى يحتمل أن يتعرض لها نسلها فى مزارع الفلاحين .

وبعد أن تطهرت هذه السلالات فى نار مزاوجة الأدنين ، ظفر ولاس بطير فذ فى التاريخ ، فأطلق عليه اسم « هاى لاين » . وهو دجاج وثيق التركيب ثقيل الوزن ، أبيض اللون لولا ريشات سود ، ومسحة من لون وردى على العنق فى الحين بعد الحين.

وقبل أن يعرض هنرى براون هذا الدجاج الفذ للبيع ، امتحنه أشد امتحان ، فقد ظل اثنان وتسعون سرباً منه أربع سنوات ، فى أربع وتسعين مزرعة مختلفة . وكان ينبغى لهذه الأسراب أن تنافس الدواجن الشائعة التى ولدت وتربت فى هذه المزارع فألفت أحوال المعيشة فيها . وظل ثمانية أشهر يقيد فى سجلات دقيقة ما يبيضه الفريقان .

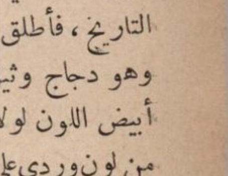

فأسفر ذلك عن نتيجة تذهل العقل ، فقد كان معدل البيض الذى باضته مئة من « هاى لاى » ٥٤ بيضة فى اليوم ، يقابلها معدل ٣٥ر٤ باضتها مئة من الأصناف الشائعة.

وقد ثبت أنها صلبة العود شديدة المقاومة لاختلاف أحوال الجو ، لا تعبأ شيئاً بالحرارة أو البرد ، وتمضى على وتيرة واحدة من وضع البيض . وقد بكرت إلى وضع البيض فزاد ما وضعته فى أكتوبر ٧٠ فى المئة عما وضعته دجاجات الأصناف الشائعة ، وكان البيض كبيراً من حجم واحد ، يبلغ وزن اثنتى عشرة بيضة منها خمساً وعشرين أوقية.

وفى سنة ١٩٤٤ — ١٩٤٥ أقام قسم الزراعة فى ولاية إلينوى مباراة بين الدجاج البيوض فى سنة كاملة ، فكان ما تم لدجاج « هاى لاين » صفحة جديدة فى تاريخ تربية الدواجن . فقد أخذت ثلاث حظائر من سرب يربى فى مزرعة كسائر المزارع فدخل دجاجها المباراة ، فتفوق على ٤٧ حظيرة من الدجاج الشائع . وقد كان السبق لدجاج هاى لاين منذ أول المباراة ، واحتفظ بقصبه طوال السنة ، وزاد معدل ما وضعه من البيض ٥٣ـ٧ فى المئة على معدل ما وضعه دجاج الحظائر الأخرى .

وأجريت مباراة فى سنة ١٩٤٤ بين دجاج هاى لاين ودجاج ليجهورن الأبيض فكان معدل ما وضعه دجاج هاى لاين ٢٠٠ بيضة ، مقابل ١٤٣ بيضة وضعها دجاج ليجهورن ، وكذلك يزيد ربح المربّى من دجاجة هاى لاين ٤٠ قرشاً ، على ما يربحه من دجاجة ليجهورن فى السنة .

وقد تحول هنرى براون ولاس الآن من عالم يجرى تجاربه فى فناء دار ريفية ، إلى مدير عمل يطرد نمواً وسعة . فقد أنتج فى سنة ١٩٤٥ خمسمئة وخمسين ألف دجاجة « هاى لاين » ، وسوف يبلغ ما ينتجه منها فى سنة ١٩٤٧ أربعة ملايين ، وكل ما ينتجه يباع قبل إنتاجه . وهو يعتقد أنه لن تنقضى عشر سنوات حتى يصير الذين يربون الدجاج البيوض لبيع بيضه يعتمدون على دجاج « هاى لاين » على الأكثر .

وهؤلاء المربون يشترون كل سنة فراخ «هاى لاين» ، لأنهم إذا ادخروها لتوليد دجاج منها ، هبطت مقدرتها العالية على وضع البيض . فالقدرة على وضع البيض تامة فى الجيل الأول من هذه الفراخ . وليس فى هذا ما ينتقص قيمة دجاج «هاى لاين» . فمربو الدجاج الهجين ومربو الذرة الهجينة ، يسرهم أن يعودوا كل سنة إلى المصدر الذى يزودهم بما يحتاجون إليه .

وسبب ذلك اقتصادى بحت ، فالفلاح الذى يشترى مئة فرخ صغير من الإناث ، خليق أن ينال خلال السنة ١٨٠٠٠ بيضة أو أكثر .

وقد تتبع الأب سير ابنه فى تربية الدواجن ، وهو يعتقد أن الأسلوب الجديد المتبع فى السيطرة على الوراثة ، خليق أن ينتشر حتى يعم تربية المواشى ، فيزداد المقدار المتاح من بروتين الحيوان زيادة عظيمة .

وقد بلغت قصة الأب وابنه غايتها اليوم ، فالأب يشترى من ابنه فراخاً لتجارب جديدة يعنى بها فى مزرعة له ولشقيقته قرب مدينة نيويورك . ومن يدرى ، فقد تسفر هذه التجارب عن طريقة لتوليد دواجن تستعصى على أشد الأمراض فتكاً . وعلى عظيم ما تم لهنرى ولاس وابنه من السيطرة على وراثة الذرة والدواجن ، فإنهما يعلمان حق العلم أن ما تم قليل من كثير .

لجدتى فلسفتها فى الحياة ، فهى تقول : « إنه ليسرنى أن أكون فى مأزق حرج ، إذ يسرنى أن أرى كيف أخرج منه » . [مسز ب . أ . ستيفنز]

ألوف من العمال والموظفين فى مكاتب أمريكا ومصانعها يجدون أنغام الموسيقى تجدى عليهم راحة الأعصاب وإحسان ما يعملون .

أجرّبت أن تعمل على أنغام الموسيقى ؟

مختصرة من مجلة "فوربز"

دورون ك . أنتريم

أسفرت الموسيقى يداً عظيمة إلى زيادة إنتاج الحرب فى المصانع ، لما كان لها من أثر فى تخفيف وطأة التعب عن العمال وتعزيز نشاطهم وهممهم . فلذلك تراها اليوم فى المصارف وشركات التأمين ودور النشر وغيرها من مكاتب الأعمال ، فيجد الذين يكدّون أذهانهم أنها تلين من توتر أعصابهم ، وتبعث الطلاقة والبشر فى نفوسهم .

وتجد بين المنشآت التى تعتمد على الموسيقى لهذا الغرض ، مصرف « ناشونال ستى » وشركة بل للتلفون فى مدينة نيويورك ، وهذه إحدى مكتباتها العامة ترسل فى حجرة البحث وحجرة المطالعة أنغام الموسيقى الخافتة من أسطوانة . وهذه إحدى الجامعات تجد فيها حجرة للطلاب يذاكرون فيها دروسهم على أنغام الموسيقى .

فقد ظلت شركة التأمين « برودنشال » ثلاثة أشهر تمتحن أثر الموسيقى فى كتابة كتبتها الذين يتولون تنظيم المحفوظات ، فتبين أن معدل سرعتهم فى العمل وإجادتهم إياه ودقتهم فيه ، قد زادت ١٩ فى المئة . وتساءل مديرو شركة الطباق الأمريكية : ترى أتضعف الموسيقى انتباه الكاتبات بالآلة الكاتبة ؟ وكان فى حجرة أربعمئة فتاة منهن ، فوجدت الأمر على نقيض ذلك إذ صار العمل يستغرق وقتاً أقل ، وصار ما يحلّ بالكاتبات من التعب فى المساء يهبط هبوطاً مذكوراً . وقد جرب مدير أحد البنوك مثل هذه التجربة فى موظفيه الذين يشتغلون بالآلات الحاسبة ، فأسفرت تجربته هذه عن مثل نتائج التجارب الأولى .

وقد وزعت شركة موزاك ، التى تتولى إرسال الموسيقى إلى مئات من مكاتب الأعمال ، أسئلة على العمال والموظفين فى تلك المكاتب ، فجاءتها ردود تدل على أن ١٫٦ فى المئة وحسب من الذين ردّوا قالوا إن الموسيقى تؤخرهم عن إنجاز عملهم . يقابل ذلك أن ٦٠ فى المئة قرروا أن الموسيقى تخفف من تعبهم ، وقرر ٨٣ فى المئة أنهم يجدون عملهم أبهج وأمتع .

ويقول ر. ل. كاردينل مهندس الصوت: «ينبغى أن تكون الموسيقى فى المكاتب ألطف وأرق منها فى المصانع ، ونحن ننفى من الموسيقى المذاعة كل العوامل التى تحمل الذهن على الشرود ، كتغير سرعة الإيقاع ، ورنين الصنوج النحاسية ، والغناء . ويغلب الانتفاع بتخوت الآلات الوترية والمزمار ، وأن تلتئم الأنغام مع طبيعة العمل وزخرف البناء ، كما تلتئم الألوان فى فراش حجرة أنيقة الأثاث . فالموسيقى لا ينبغى أن تشغل انتباه العامل أكثر مما تشغله الإضاءة المحكمة . والأنغام التى تؤثر فى عقله الباطن ، تنشىء شعوراً بالرضا والغبطة وتزيل الإحساس بالعناء والإجهاد » . والقاعدة المتبعة أن ترسل الموسيقى فى فترات قصيرة ، يبلغ مجموعها ساعتين أو ساعتين ونصف فى اليوم . أما إرسالها إرسالا مستمراً ، أو جعلها من ضرب واحد ، فعمل لا خير فيه .

وقد وجد رجال البحث أن النغم المنشط يشحذ الحواس . وقد ثبت فى عيادات دارتموث وغيرها من الكليات ، أن الموسيقى تزيد المرء فى القراءة سرعة وفهماً . وظهر من تجربة جربت فى جامعة دى پو أن موسيقى الفالس زادت سرعة الطلبة ودقتهم فى حل مسائل الحساب . ويجد بعض الممثلين أن استذكار أدوارهم أيسر عليهم إذا درسوها فى حجرة يتردد فيها نغم رقيق .

أما أن يكون فى وسع المرء أن يحصر ذهنه فى موضوع ما وهو يسمع أنغاماً مرسلة ، فأمر مرهون بطبيعة المرء نفسه . والذين تأصلت فيهم موهبة الموسيقى يؤكدون أن ذلك مستحيل عليهم — فالأنغام التى يحبونها تشغل بالهم كل الشغل ، وأما غيرها فيزعجهم . فامتحن نفسك ، واقرأ صفحة من كتاب على نغم فالس من تأليف ستراوس مثلا ، ثم اقرأ صفحة أخرى بغير نغم . فإذا زادك النغم سرعة ومتعة فى القراءة ، فعليك بالموسيقى حين تعمل ، ولكن لا تنس أن تجعل الصوت خافتاً رقيقاً .

ويقول الدكتور بريس مير رئيس مهندسى شركة موزاك : «لا نزال فى مستهل الانتفاع بالموسيقى فى أعمالنا العقلية . ومن الناس من يزعم أنه لا يطيق أن يحصر ذهنه فى موضوع ما ، إلا إذا ساد الصمت المطلق كل ما حوله ، فلو وضعت هؤلاء فى مكان يكاد يكون مفرغاً من الهواء حيث ينخفض الصوت إلى أقل درجة مستطاعة ، لكانوا خليقين أن تتمزق أعصابهم ثورة واهتياجاً . فنحن قد تعودنا الصوت والغناء ، ولكن حاجتنا اليوم إنما هى إلى ما يلطف كل ما يجهد الأعصاب . والموسيقى هى الحل » .

عجلات تدور فى رأسه

مختصرة من كتاب بقلم
م . م . موسلمان

كل من ركب طائرة مدين بشىء من راحته وأمنه للمخترع ا . ج . موسلمان الذى اخترع عجلة البالون المنبعجة ، والتى كان من المستحيل أن توجد الطائرة الحديثة بدونها . وبعد أن كاد عنقه تدق وهو يركب الدراجة فى الجبال ، اخترع الفرملة التى استعملت إلى الآن فى خمسة ملايين دراجة ، وقد أثرى على الأيام بفضل هذين الاختراعين وغيرهما . وقد كان غيره من المخترعين أشهر وأغنى ولم يفز منهم أحد بمثل ما فاز به من المتعة ، فإن تجاربه وبعضها بارع والبعض مضحك ، جعلت أصدقاءه وأهله فى حالة يختلط فيها الاهتياج بالضحك ، وهنا يصف أكبر بنيه كيف تكون الحياة مع عبقرى يرسل نفسه على السجية ، و « فى رأسه عجلات تدور » .

كنت وأنا فتى مراهق دائم الأسف لأن والدنا لم يحقق آماله : فقد كان ينبغى أن يكون بهلواناً ، ولقد كان خليقاً أن يكون بارعاً ، وكانت ثياب اللعب الحريرية المحبوكة والجلاجل خليقة أن تناسبه.

وقد بدأ هذا التمنى حين أخذت جدتى الصبية إلى ملعب صغير . وقد قضى أبونا بعد ذلك أسابيع حتى استطاع أن يقف على يديه ، ويدور عليهما ، وينقلب بظهره ، ثم كان صباح فسأل وهو يفطر ، وفى عينيه نظرة من يتفكر : « كيف يتعلم يا أمى هؤلاء البهلوانات أن يتقلبوا فى الهواء ؟ » .

فقالت جدتى : « لا أدرى ، ولكن إذا اجترأت أن تحاول أى عمل من هذه الأعمال الخرقاء فسأسلخ جلدك . فلست أريد أن أراك مُلقىً على فراشك مكسّر العظام وفى وقت الدِّراس أيضاً ! » .

وكان جديراً بها أن تكون أعلم بفتاها، فإنك لا تنهاه عن شىء إلا أغريته به . فخرج إلى ما وراء البيدر وعض على نواجذه ، ووثب فى الهواء ، وانطرح على ظهره ، وكادت تنقطع أنفاسه. وظل اليوم كله يفكر فى طريقة يتعلم بها التقلب ظهرياً وهو آمن. وأخيراً حل المسألة « باختراع » بسيط .

وكان حبل الغسيل الذى تتخذه جدتى يمتد بين بيت الخلاء وشجرة تفاح قديمة ، فأرخى والدى الحبل حتى صار خيطه يتدلى إلى الخصر ، وربط نفسه به وعالج الانقلاب ظهرياً ، وسره أنه نجح .

وبعد أن دأب على التدرّب عدة

أسابيع، أيقن أنه قادر على الأمر بغير حاجة إلى حزام السلامة ، ولكن أمضَّه أن أعصابه خانته ، فقد اعتاد هذا الحزام وأصبح عبداً له . وقد روى لى هذه القصة فيما بعد عدة مرات ، وكان فى كل مرة يشرح لى المغزى : « إن بعض الناس يسير فى الحياة وهو لابس حزام نجاة ، فلا يستطيعون أن يشدوا أعصابهم للمغامرة ، ويظلون فى عمل واحد طول حياتهم : يلبسون أحذية المطاط فى اليوم المطير ، ولا يقبلون سوى زوجاتهم ، ويعطون أصواتهم لحزب واحد بعينه كل مرة ، ثم يتبينون أن كل شىء قد انتهى ، وأنه لم تبق إلا الجنازة، وما نعموا بشىء فى الحياة » .

وصمم ذات يوم أن يتدرب مرة أخرى فقط على الانقلاب ، ثم يحاول ذلك بغير معونة الحزام وليكن ما يكون . فربط نفسه بقوة واندفع ينقلب وهو مطمئن واثق ، غير أنه لم يدر إلا نصف دورة لسبب ما ، وقد حمل الحبل ثقل جسمه وأنقذ عنقه ، ولكن بيت الخلاء العتيق لم يتحمل هذه الوطأة ، فتقوّض بناؤه . وفى اللحظة نفسها ندّت عن جدتى صرخة ، وظلت لحظة جامدة بين الأنقاض ، ثم تطاير الشرر من عينيها وأقبلت عليه . ولم يستطع فى هذه المرة أن ينجو من غضبها ، فقد كان فى وثاق من الحبل .

وكانت جدتى أرملة وقد ترك لها زوجها ضيعة تديرها ، وأربعة أولاد صغار تربيهم ، وكلهم به لَوْثة ، على ما كان يتهامس الجيران ، ولكن أبى كان شرهم .

وكان أبى وهو صبى مشغوفاً بالأشياء التى تدور وتدور ، وقد أوحت إليه أول اختراع له ، عجلة ضخمة من دراجة قديمة عالية أخذها من كوم نفايات ، فجعل لها محوراً طويلا وعمودين ، وركب على جانبيها مقعدين صنعهما بيديه .

وكانت هذه المركبة لا تصلح إلا إذا كان فى المقعدين اثنان من وزن متقارب ، وينبغى أن يثبا إلى المقعدين فى وقت واحد ليتسنى الاحتفاظ بتوازنها ، ويمسك أحد السائقين بالعنان الأيسر ، والآخر بالعنان الأيمن .

واختار هو وأخوه صباح يوم الأحد لتجربة هذه المركبة البديعة ، وكانا فى آنق ثيابهما ، فجاءا بالبغل « بيل » وجعلاه بين العمودين ، ثم وثبا إلى المقعدين ، وحثّا البغل على السير فى الطريق ، والتوارى عن عين جدتى بأسرع ما يمكن .

ولعلها كانت أغرب مركبة شوهدت فى شوارع كنساس ، ومن العجيب أن كل

شيء سار على ما يرام مسافة نصف ميل ، حتى صارا إلى مفرق ، فجذب والدى العنان يمنة ، وجذبه أخوه يسرة .

فأدار البغل رأسه ليرى ما هو جار ، وأقنعته نظرة واحدة أنه إنما يجر مركبة الشيطان نفسه ، فنفخ وانطلق بأقصى سرعة .

وألقى كل غلام ما بيده من اللجام ، وشد بيديه على مقعده ، فصار البغل بعد ذلك سيد نفسه وصاحب الرأى فيما يفعل ، فاجتاز حقل القمح ثم انثنى جنوباً ووثب من فوق حاجز من الأسلاك الشائكة وراءه حقل بطيخ . وعند هذا الحاجز وقع عمى عن مقعده ، وتعلق بحمالته .

وبسقوط عمى مالت المركبة إلى اليمين كالزورق فى ريح قوية ، فراح والدى يدور فى دوائر وهو متشبث بالحياة العزيزة ، ويتدحرج فوق البطيخ الأخضر . وفى مكان ما فى الرقعة المنبسطة وراء الحقل ، انحل رباط المقعد وانطرح والدى فى ألفاف من الكروم . أما البغل فاختفى فى الاتجاه المفضى إلى المحيط الهادى .

وكانت جدتى فى ثيابها وقبعتها السوداء جالسة فى الشرفة على كرسى هزاز ، وهى مقطبة حين أقبل الغلامان ، فألقت نظرة واحدة على ثيابهما الأنيقة المهلهلة ، ومدت يدها إلى عصاها وكانت من خشب الجوز .

والمخترعون يفيدون الغنى أحياناً ، ولكن الأغلب أنهم يفتقرون ويفلسون ، وقد ظل والدى سنوات عديدة ، يرقص بين الطرفين ، غير أنه فى النهاية أفلح حتى لتعجب كل امرىء مما نال .

ويبدو أن أنجح اختراعاته كان مستمداً من تلك العجلة الضخمة التى ألهمته أن يصنع مركبته ، فقد كانت كلها أشياء تدور وتدور ، واستحدثت العجلة المنفوخة التى اخترعها مبدأ جديداً فى صناعة العجلات ، فإن العجلة السمينة الخفيفة الضغط هى التى تمكن الطائرات من أن تهبط إلى الأرض الوعرة أو الموحلة ، وأن ترتفع عنها ، وتخفض تقلقلها حين تنزل على الأرض ، وتحول دون الارتطام بسبب عدم صلاح العجلات . ومن سوء الحظ أنه باع اختراعه قبل أن يستطيع أحد أن يتكهن بالإنتاج الهائل للطائرات فى الحرب العالمية الثانية .

وكان الاختراع الذى أفاده أعظم ربح مالى هو فرملة الدراجات . وما أكثر ما قال لى والدى : « خطرت لى فكرة الفرملة فى عام ١٨٩٨ بينما كنت أسير بسرعة تسعين ميلا فى الساعة ، منحدراً على جوانب الجبال بدراجة » .

وكانت القصة كما يلى : كانت له دكان دراجات ، ففتح بابها ذات صباح فوجد النافذة مفتوحة ، ثم لاحظ أن مفخرته ومبعث سروره قد اختفت ، وكانت دراجة حمراء بيضاء من طراز بيرلس ، وثمنها ١٢٥ ريالا .

وظهر من السؤال فى مركز الشرطة أن رجلا غريباً تسلل خارجاً من الفندق دون أن يؤدى ما عليه ، شوهد فى الليلة السابقة راكباً دراجة بيرلس ومتجهاً إلى هتشنسون . فخف أبى إلى البنك وسحب عشرين ريالا لنفقاته ، ثم امتطى دراجته « أريبل » وهى دراجة سباق .

وكان سريعاً فى سيره بالدراجة فى تلك الأيام — وكان من هواة السباق — ولكنه وجد أن خصمه سريع أيضاً ، فإنه لما وصل إلى « جريت بند » فى نحو الساعة التاسعة فى تلك الليلة ، كان الآخر قد وصل ورحل . وكان أبى مضطراً أن يقف عند كل مفرق ليسأل ، وظل الأثر باقياً .

وبعد بضعة أيام وصل والدى إلى كولورادو سبرنجز . فقال له شرطى هناك : « شاهدت هذا الصباح رجلا على دراجة ماضياً فى اتجاه كريبل كريك » .

فمضى أبى إلى كريبل كريك ، وكان المرتقى فى الأميال العشرة الأخيرة من الوعورة بحيث اضطر أن يترجل ويدفع الدراجة ، حتى إذا بلغ المكان لم يجد أحداً رأى سارق الدراجة .

وأدركه التعب وانهزم ، وهو على مسافة ٦٠٠ ميل من بيته . ولم يكن يغريه سوى أنه يستطيع أن يسير على الساحل إلى كولورادو سبرنجز .

وقبل أن يقطع نصف ميل خارج المدينة ألفى سرعته تزداد باطراد حتى صار ككلب صيد على ذيله جماعة نحل . وكان راكب الدراجة فى تلك الأيام إذا أراد أن يخفض من سرعتها ، يدخل مقدم حذائه تحت غطاء العجلة الأمامية ويضغط . فجرب أبى هذه الطريقة ، غير أن الاحتكاك جعل حذاءه أحرّ من النار ، فأخرج رجله من تحت الإطار ، وعادت الجاذبية تفعل فعلها وهى حرة . وآن أن يفكر فى وسيلة أخرى ، ولكن الشىء الوحيد الذى خطر له هو أن ينطرح عن الدراجة ، ففعل ووقع فى الوحل ، وذهب يتدحرج حتى اصطدم بجذع على مسافة خمسين قدماً على جانب الجبل .

واستعاد أنفاسه فجلس وشرع يفكر ، وما لبث أن اخترع أول فرملة ، فقطع عدة أغصان من شجر الصنوبر وربطها بحبل شد طرفه الآخر إلى مقعد الدراجة ، فكان

هــذا كافياً لضبط الأمر ، وذهب ينحدر ووراءه سحابة من الغبار لا يثيرها أقل من ثلاثين رأساً من الغنم . وقطع ستة أميال وهو فخور باختراعه ، ثم اعترضه شرطى ووقفه .

ذلك أن اختراعــه أدى إلى ارتكاب مخالفة للقانون ، وكان أصحاب مركبات النقل قد اهتدوا إلى مثل هذه الوسيلة قبله بسنوات ، وكان عيب هذه الوسيلة أنها تخرب الطرق الصالحة ، فسنت الولاية قانوناً يحظر ذلك . فاضطر أن يبرق إلى أهله طالباً مبلغاً من المال ليدفع الغرامة .

وكان بعد ذلك يقول : « وهــذا أحد الأسباب التى جعلتنى أفكر فى جعل الفرملة جزءاً من الدراجة » .

وقد مضى زمن طويل قبل أن تنضج الفكرة ، ولم يقدم طلباً لتسجيل اختراعه إلا بعــد ثلاثة عشر عاماً . ومنــذ ١٩٠٨ جهزت ٥٠٠٠٠٠٠ دراجة بهذه الأداة الكابحة ، حتى أن جدتى لم يسعها إلا أن تعترف بأن « إحدى اختراعاته السخيفة تبين أنها نافعة » .

وبعد أن جئت إلى هذه الدنيا بقليل ، ألهمت والدى اختراعاً من أغرب اختراعاته ، فقد أبت أمى أن تكون مسئولة عنى بين منتصف الليل والساعة السادسة صباحاً ، وقالت لأبى : « إنى أقضى ثمانى عشرة ساعة فى العناية بابنك كل يوم ، فعليك أن تعنى به فى الساعات الست الأخرى » .

ولكن أبى كان يحب أن يخلو نومه مما يزعج ، فأدى جلوســه وهو ينتفض من البرد ، ويهز مهدى وهو فى شبه غيبوبة ، إلى تحريك ذهنه المبدع .

وبعــد بضعة أيام أقبل على البيت ومعه أحدث اختراعاته ـ هزاز المهد الكهربائى ـ وهو محرك كهربائى صغير يحرك جهازاً للهز موصولاً بمهدى وأكد لأمى أن هذا الهزاز سيقضى قضاء مبرماً على الهز باليد . وقرأ فى الإعلانات التى أعدها « يمكن تسييره : على حسب طبيعة أى طفل ومزاجه بضبط يسير ، ومتى تم الضبط فإنه يهز المهد بدقة محكمة فى جميع الأوقات » .

وفى تلك الليلة ندّت عنى صرخة عظيمة ، فقام أبى ووصل الجهاز بالتيار الكهربائى ، وبدأ الهزاز يعمل ، وما هى إلا ثلاث دقائق حتى كنت غارقاً فى النوم .

وفى اليوم التــالى ذهب أبى إلى مكتب ڤيك ميردوك ، فى جريدة إيجل ، فأصغى إليه باهتمام زائد ، فإنه يؤخذ من آخر إحصاء أن الولايات المتحدة ينبغى أن تنجب فى العام ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ طفل .

فقال ڤيك « إن هذا عظيم ! فما : قولك فى تأليف شركة فوراً لصنع هذا الهزاز ؟ »

وقال أبى بلهجة الحماسة : « إذا بعنا الهزاز بعشرة دولارات، لأهل طفل واحد من كل عشرة أطفال ، فإن جملة الدخل تكون ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ ريال » .

وفى اليوم التالى نشرت جريدة الإيجل هذا العنوان : « اختراع لهز العالم » وصار هذا الهزاز بعد أيام حديث المدينة كلها . ودعا مدير البنك أبى إلى مكتبه ليحادثه ، حتى المحافظ وقف فى الشارع ليهنئه .

وبعد بضع ليال وقعت الواقعة . ذلك أنى أطلقت أول صرخاتى، فأدار أبى المحرك ، وبدأ المهد يهتز ، وانقطعت صرخاتى ، فتنهد مغتبطاً وراح يحلم بالملايين التى ستتدفق إليه .

وفى هذه اللحظة سمع صوت تحطم ، تلته صرخاتى العظيمة ، وذلك أن السير خرج عن عجلته ، فانطرح المهد وأنا فيه على الأرض ، وكادت عنقى تدق .

وفى اليوم التالى حمل والدى الهزاز الكهربائى إلى الدكان . فبقى هناك .

وكان له زميل اسمه سيد ، غادر المدينة ليشتغل بالتمثيل ، وعاد سيد فى الصيف بعد طواف مع فرقته . فأراه والدى أحدث ما ابتدعه عقله وأوصاه بالكتمان وقال : « أطبق فمك يافتى . فإنى لم أطلع حتى زوجتى على هذا ، والناس هنا كما تعلم لا يخلون من تكلف ، ولكنك طوفت وفى وسعك أن تدرك الاحتمالات التى ينطوى عليها اختراع كهذا » .

فحدق سيد فى النموذج التجريبى الذى صنعه أبى وهو دَهِش ومفتون وسأل : « هل هذا — أعنى هذه — هى ما أتصور؟ » .

فقال والدى بلهجة الزهو : « نعم وسأسميها (النهود الكاعبة) . أتظن أن الإقبال عليها فى نيويورك يكون عظيما ؟ » .

فقال سيد بلهجة التأكيد « كالفطير السخن . كيف تستخدم هذه الأشياء ؟ » .

« تنفخها بمنفاخ دراجة ، فتعطيك كل حجم ، من الثدى الناهد إلى الثدى الممتلىء » .

فهز سيد رأسه آسفاً وقال : « إنك خائن لجنسك فلن يكون رجل آمناً بعد اليوم . وما عليك إلا أن تتصور مبلغ خيبة الأمل التى يعانيها المخدوع بعد الزواج ، حين يتبين أن قوام عروسه الرشيق من صنعة منفاخ دراجة . قم بنا إلى الحانة ، ولننس هذا » .

وبعد زجاجتين من البيرة وافق أبى وهو آسف .

ومعظم أفكار أبى ثمرة ملاحظات بسيطة . وقد تعرض له الفكرة لأنه يحتاج إلى مثل هذه الأداة لنفسه . فمن ذلك أنه لما وجد أن المفتاح الشائع غير صالح لأعمال الإصلاح فى الدراجات ، صنع مفتاحاً له عدة فتحات تقبض على كل مسمار فى الدراجة ، وباع الواحد بربع ريال ، فبيع منه عدد كبير . وقد ربح كثير من اختراعاته، ولكن بعضها لم تفده شيئاً، مثل آلة لقشر البصل لا تدمع عين مستعملها ، وحوض حمام لا تزلق فيه القدم .

وكان بعض هذه الاختراعات يدور فى رأسه أسابيع قبل أن يبدأ العمل فيها ، أو يهملها لأنها غير صالحة .

وقد تغديت معه ذات يوم بعد أن قام لندبرج برحلته الجوية إلى باريس ، وكان من الجلى أن شيئاً يدور فى رأسه .

وقال فجأة : « إن الشكل الذى ينبغى أن تكون عليه عجلة الطائرة هو شكل الكرة إلا أنها منبعجة قليلا بحيث تبدو كأنها كعكة كبيرة » .

قلت : « إذن فلماذا لا يصنعونها على هذا الشكل ؟ » .

فقال : « يقولون إنه غير ممكن » .
وظل بقية الوقت يحدق فى الفضاء .
وكان معتزماً أن يلعب الجولف عصر ذلك اليوم ، ولكنه بدلا من ذلك عاد إلى البيت مباشرة، فسألته أمى وقد خشيت أن يكون مريضاً : « ماذا جرى ؟ »

« لا شىء . هل عندك قطعة قديمة من القماش ؟ »

« ماذا تحاول أن تصنع ؟ »

« عجلة » .

وصعد إلى فوق ، وخاطت أمى غرارة دقيق قديمة على حسب ما أمرها ، وكانت النتيجة كُمًّا طويلا له كفة واسعة عند الطرفين . وخرق خرقاً فى كل كفة ، وأدخل فى الخرقين حبلا فصار الكم أشبه بغرارة طباق (دخان) كبيرة ، والحبل فى كلا طرفيها لا فى طرف واحد .

ثم شرع يصنع أنبوبة داخلية لهذا الغلاف ، فقطع عدة قطع على شكل الوتد من عجلات قديمة وألصق بعضها ببعض بالمطاط . وظل فى هذا العمل الممل إلى نحو الساعة العاشرة ليلا ، وكانت الأنبوبة بعد تمامها قبيحة الشكل ، ولها صمام دراجة ناتىء من الجنب .

وحشا الكم بهذه الأنبوبة وأخرج الصمام من الثقب ، ثم لف العجلة على عجلة دراجة قديمة وربط الحبلين ، فصارت ثابتة تحت الغطاء ، فصار منظرها مضحكا .

وفى هذه اللحظة أقبلت أمى على السلم وقالت : « جاء وقت النوم » .

فقال أبى : « لقد انتهيت ، وأظننى وفقت » .

فسألته : « وفقت إلى أى شىء ؟ »

« فى صنع أول عجلة بالون حقيقية » .

فسألته : « وهل يحتاج البالون إلى عجلات ؟ »

فشرح لها مراده ، ثم ناولها منفاخ دراجة وصله بالصمام وقال لها : « انفخى وسترين » .

فنفخت ، واتخذت العجلة شيئاً فشيئاً هيئة الكعكة الكبيرة ، وشاع السرور فى وجه أبى .

وفى هذه اللحظة انفجرت العجلة فى وجهه ، فألقت أمى المنفاخ ونظرت إلى الحطام نظرة تقول : « كان هذا ما أتوقع » ولكنه لم يضطرب .

وقال : « لا شك أنها انفجرت ، ولكنها لن تنفجر حين أصنعها من النسيج الخاص بها ، وا كسوها بالمطاط ، وأقسّيه » .

وكان والدى مهتاج النفس فقد ، ابتكر طريقة لصنع العجلات عجزت عنها معامل الأبحاث الكبيرة الخاصة بذلك .

وقضى أسابيع يصنع نموذجاً للاختبار ، وكان قطره ٢٠ بوصة ومقطعه عشر بوصات . ودل الاختبار على أن عجلتين تستطيعان حمل طائرة ثقلها ٣٠٠٠ رطل ، بضغط هواء لا يتجاوز عشرة أرطال . وكانت العجلات المستعملة يومئذ قطرها ٣٠ بوصة ومقطعها خمس بوصات ، وكانت تحتاج إلى ضغط هواء مقداره ٥٠ رطلا .

وصار والدى كالطفل فاز بلعبة جديدة فكان يقول : « أليست تحفة ؟ ألا إنها تستحق أن تعلق فى معهد الفنون » .

وبعد أن كتب طلب التسجيل ، ذهب إلى شركة « جوديير تاير آندربر » ، ولم يكن يعرف أحداً ، ولكنه طلب أن يقابل مدير قسم الأبحاث . وبعد دقائق كان لفيف من المهندسين يفحصون العجلة بإعجاب جلى . وفى نفس الأسبوع وقع والدى ترخيصاً وعقداً بوصفه مهندس أبحاث موكلاً بالإشراف على صنع عجلته .

ولما عاد أبى إلى البيت وقال لأمى : « إن العجلة السخيفة التى صنعت من القماش قد ظهر أنها تساوى مالا كثيراً » ، اغتبطت ولكن الشك ظل يساورها .

وسألته : « كيف يستطيع هؤلاء الناس أن يكونوا على يقين من أن هذه العجلة ستصلح للطائرة ؟ »

فقال : « ألا تظنين أنها صالحة ؟ »

فقالت وهى تفكر : « أرجو ذلك ، ولكنى قلقة بسبب انفجار تلك العجلة الأولى » .

ثياب الإمبراطور الجديدة

مختصرة من كتاب
"حكايات خرافية" من تأليف هانس كريستيان أندرسن

حكاية للمؤلف الذى قال مرة : « تخطر لى خواطر تصلح للكبار ، ولكنى أرويها كأنى ألقيها إلى صغار ، دون أن أنسى أن الآباء والأمهات ينصتون إليها » .

كان يعيش فى سالف العصور إمبراطور جعل جلّ همّه أن يبدو أنيقاً غاية الأناقة فى الحلل الجديدة ، حتى أنه أنفق فيها كل ماله ، وكان له رداء لكل ساعة من ساعات النهار . وكما يقول الناس : « الملك فى مجلس العرش » كانوا يقولون عنه « الإمبراطور فى خزانة ثيابه » .

ووفد على المدينة ذات يوم رجلان محتالان ، وادّعيا أنهما من النساجين ، وزعما أن فى وسعهما أن ينسجا أجمل ثوب يتصوره خيال إنسان ، وليس جماله الخارق فى وَشيه وطرازه وحسب ، بل إن الثياب التى تصنع منه لها مزية عجيبة ، إذ يعجز عن رؤيتها كل من لا يصلح لمنصب يتولاه ، وكل أحمق ليس لحماقته دواء . فناجى الإمبراطور نفسه قائلا : « مثل هذه الثياب غنيمة لا تقدّر ، فإذا لبستها استطعت أن أتبيّن كل من لا يصلح لمنصبه من رجال مملكتى ، وأن أميز الذكى من الأحمق . إذن فليصنع لى هذا النسيج بلا إمهال » .

وأغدق من ماله على المحتالين حتى يتيسر لهما أن يبدآ العمل من فورهما ، فوضعا منوالين وأخذا يوهمان أنهما ينسجان ، ولكن لم يكن على المنوالين شىء . وقد طلبا أنخر الحرير وأغلى الذهب ، ولكنهما استأثرا به لأنفسهما ، وطفقا يصلان الليل بالنهار دائبين يعملان على المنوالين الفارغين .

وقال الإمبراطور يوماً لنفسه : « وددت لو أعرف مقدار ما تمّ من النسيج » ولكنه اضطرب حين تذكر أن مَنْ لا يصلح لمنصبه يعجز عن رؤيته . إنه لا يخشى شيئا يضيره ولا ريب ، ولكنه آثر أن يبعث رسولا من عنده ليرى إلى أين انتهى العمل . ولم يكن فى المدينة أحد يجهل مزية هذا النسيج ، وكلهم يتحرقون شوقاً إلى أن يعرفوا أىّ جيرانهم من لا يصلح لعمل ، وأيهم الأحمق . وحدّث الإمبراطور نفسه « سأبعث بوزيرى الشيخ الأمين فإنه خير من يميزه ، فهو رجل راجح العقل » .

ومضى الوزير الأمين إلى حيث جلس

المحتالان يعملان على المنوالين الفارغين . وحملق الوزير وهو يقول لنفسه : « ربّاه ! لستُ أرى شيئاً ! » ولكنه لم يجهر بما حدث به نفسه ، والتمس منه الرجلان أن يدنو منهما قليلا ، وسألاه هل رضى عن النسيج وألوانه ، وأشارا إلى النولين الفارغين . وظل الوزير يفتح عينيه ويغلقهما وهو لا يرى شيئاً ، إذ لم يكن هناك شيء يُرى . فناجى نفسه قائلا : « اللهم عونك ! هل بلغت حماقتى هذا المبلغ ؟ ينبغى أن لا يعلم هذا إنسان . أم ترانى لا أصلح لمنصبى ؟ كلا ! لن أقول إنى لم أرَ النسيج » ثم سأله أحدهما : « أما تقول شيئاً عما ترى ؟ » فأجابه الوزير الشيخ وهو يتفرس فيما أمامه : « إنه جميل ساحر . ما أبدع نسجه وما أبهى وشيه ! نعم . سأنبىء الإمبراطور بأنى راض عنه كل الرضى » . فشرع المحتالان يعددان له ألوان وشيه ، ويبينان له دقائق نسجه ، وأخذ الوزير ينصت إليهما ويصغى ، حتى يستطيع أن يعيد على الإمبراطور ما سمعه . وقد فعل .

فلم يلبث المحتالان أن طلبا زيادة من المال والحرير والذهب ، زعما أنهما فى حاجة إليها لإتمام النسيج . ووضعا كل ما أخذاه فى جيوبهما ولم يضعا خيطاً واحداً على المنوالين ، ولكنهما ظلا يعملان على المنوالين الفارغين . فما لبث الإمبراطور أن أوفد إليهما أحد رجال الدولة الأمناء ليرى أين بلغا ، وهل أوشك النسيج على التمام . فكان شأنه كشأن من سبقه ، فقد أخذ ينظر ثم ينظر إلى المنوالين الفارغين وهو لا يرى شيئاً . وسأله المحتالان : « أليس ثوباً جميلا ؟ » ونشرا ذلك الثوب الجميل الذى لا وجود له . وناجى الرجل نفسه قائلا : « لست بأحمق ! إذن لم يبق إلا أنى لا أصلح لمنصبى ، لاجرم أن أكتم هذا السر حتى لا ينكشف » . وأخذ يثنى على ثوب لا تراه عيناه ، ويقرظ ألوانه الفاتنة وخيوطه الجميلة . ودخل على الإمبراطور وقال : « إنه لثوب فتان » .

وسرعان ما انتشر فى المدينة خبر هذا الثوب الفاخر ، وأحب الإمبراطور أن يراه وهو فى منواله ، فذهب ومعه وزيراه السالفان وجمع غفير من خاصته . وقال له الوزيران : « إنه لثوب فاخر ! أما ترى يا مولاى روعة نسجه ووشيه ؟ » وأشارا إلى المنوالين الفارغين ، إذ ظنا أن جميع من حولهما قد رأوا الثوب رأى العين . وقال الإمبراطور لنفسه : « ما هذا ؟ إنى لا أرى شيئاً البتة . أأنا أحمق ؟ أم تُرانى لا أصلح لعرش الإمبراطورية ؟ ما أجل هذا الخطب الفادح ! » ثم رفع صوته وقال :

« نعم ! إنه جميل جداً ! وقد حاز منا أعظم الرضى » . وأخـذ يهز رأسه ويحدق فى المنوالين الفارغين ، إذ كان لا يستطيع أن يقول إنه لم ير شيئاً . وأخذت الحاشية تدقق النظر ولم تر شيئاً . ولكنهم فعلوا كما فعل الإمبراطور وقالوا : « نعم ! إنه جميل جداً » وأشاروا عليه بأن يرتدى هـذه الثياب الجديدة فى الموكب الحافل الذى سيخرج فيه بعـد أيام . وتألقت وجوه الحاضرين بشراً ، وأنعم على كلٍّ من المحتالين بلقب « نسّاج البلاط الإمبراطورى » .

فلما جاءت ليلة الموكب ، سهر المحتالان لينجزا ثياب الإمبراطور الجديدة ، ورآهما الناس منهمكين فى العمل ، يوهمان النـاس أنهما ينزعان الثوب من المنوالين ، وأخذا يقصان الهواء بمقص كبير ، ثم شرعا يحوكانه بإبر ليس فيها خيوط ، وأخيراً قالا : « لقد تمت ثياب الإمبراطور » .

وأقبـل الإمبراطور ومعه نبلاء حرسه ، ورفع المحتالان أيديهما كأنهما يحملان شيئاً وقالا : « أنظر ! هـذه هى السراويل ، وهذه هى السترة ، وهذا هو المعطف . إنها رقيقة كنسيج بيت العنكبوت . وقد يخيل للابسها أن ليس عليه شىء ، وهذا هو سر جمالها » . وقال النبلاء جميعاً : « نعم » ولـكنهم لم يروا شيئاً ، فليس هناك من شىء يرونه . وتقـدم المحتالان إلى الإمبراطور وقالا : « تفضل يا مولانا فاخلع رداءك لنلبسك هذه الثياب الجديدة أمام هذه المرآة الكبيرة » . فخلع الإمبراطور رداءه وأخذ المحتالان يوهمان الناس أنهما يلبسانه الثيـاب الجديدة — والإمبراطور أمام المرآة لا ينفك يدور ويدور ، وقال له الحاضرون جميعـاً : « ما أبدع انطباقهـا على قدك ! ما أجمـل صنعتها وما أبهى ألوانها ! إنها ثياب فاخرة » .

وقال رئيس التشريفات : « إن الأتباع ينتظرون ومعهم المظلة التى تظلل جلالتكم فى الموكب » فأجابهم الإمبراطور : « لقد فرغت . أترون الثوب يلائمنى ؟ » ثم استدار ونظر فى المرآة مرة أخرى كأنه يتملى من حسن زينته . وانحنى بعض رجال الحاشية وقد تظاهروا بأنهم يرفعون ذيل المعطف ، وخشى كل منهم أن تفلت منه حركة تدل الآخرين على أنه لا يرى شيئاً . وهكذا سار الإمبراطور فى الموكب الحافل تحت المظلة الفخمة ، ولم يبق أحد من النـاس على جوانب الطريق إلا هَتف : « لقد فاقت ثياب الإمبراطور الجديدة كل وصف ، وليس لها مثيـل . ما أفخم ذيل المعطف . وما أبدع انطباقها على قدّ الإمبراطور ! » وقد تحرز كل منهم أن تبدر منه بادرة تدل

على أنه لم ير شيئاً ، لئلا يكون ذلك دليلا على أنه غير صالح لمنصبه أو أنه من كبار الحمقى . ولم يلبس الإمبراطور قط ثياباً خلبت ألباب الناس كثيابه الجديدة هذه .

وأخيراً صاح صبي صغير : « ما تقولون ! إنه عريان ليس عليه شيء ! » وقال أبوه : « اسمعوا ما يقول هذا الصبي الطاهر البريء ! »

وتهامس الناس وردّدوا بينهم كلام الصبي . وما لبث الناس جميعاً أن صاحوا : « إنه عريان ليس عليه شيء ! » فانتبه الإمبراطور إذ رأى أنهم على حق ، ولكنه حدث نفسه وقال : « ليمش الموكب إلى نهايته » وزادت قبضة رجال الحاشية على أطراف المعطف بشدة ، وساروا يحملون ذيله الطويل الذى لم تره عين قط .

·0000··0000·

مبارزة عجيبة

فى أحد الأيام وجّه الطبيب العالم الألمانى المشهور الأستاذ رودلف فيركاو ، نقداً لاذعاً إلى البرنس بسمارك المستشار الألمانى ، فدعاه بسمارك إلى المبارزة . فلما جاء شاهداه إلى العالم قال : « لما كان المستشار قد دعانى إلى المبارزة . فلى الحقُّ فيما أرى أن اختار السلاح » . وأمسك بيده قطعتى سجق متماثلتين تماماً وقال : « إليكما سلاحى ! » .

فنظرا دهشين ، فقال : « إن أحدهما ممتلىء بجراثيم مرض قتال ، والآخر سليم من الجراثيم . فليشرفنى سمو البرنس بأن يختار أيهما يريد ، فيأكلها . وأنا آكل الأخرى » .

فلم يلبث بسمارك أن قرر وهو يضحك أن لا يبارز العالم بسلاحه .

[مجلة « كل إنسان »]

من جدّ وجد

لم يكد ينقضى على مارى زمن قصير فى الجامعة حتى أرسلت إلى أمها طلباً مستعجلا بأن تبعث إليها على جناح السرعة بقدر آخر من الملابس التحتية لأنها استنفدت ما كان عندها . فتلقت فى البريد التالى رزمة كبيرة ، وكلمة من أمها جاء فيها : « استعملى هذا تظفرى بكل ما تحتاجين إليه » ، وكانت **الرزمة** تحتوى على قطع من الصابون .

الشخصيات التي لا تنسى :

زوجة عبقري

أوستن استرونج
مؤلف "ثلاثة من عقلاء المجانين" و "السماء السابعة" وغيرهما

أستطيع أن أراها الآن — امرأة صغيرة الجسم فى ثوب أزرق جالسة حافية القدمين على سطح حجرة فى سفينة تجارية تمخر البحر فى جنوب المحيط الهادى، وعلى رأسها قبعة « بناما » مائلة تحجب محيا يبهر الأنفاس جماله ، وفى كل من يديها مسدس كبير محلى بالفضة تضرب بهما كلاب البحر بإحكام يصيب المقتل ، ثم يأخذها البحارة ويجرونها فوق الحاجز .

وقد كتب إلىّ حديثاً ، الروائى بوث تاركنجتون يقول : « دخلت معها ذات مرة ردهة فندق كليبول فى إنديانا بوليس ، فأقبل علىّ صاحب محل السجاير وهو مشدوه بعد أن أدخلتها فى المصعد ، وقال لى : « سامحنى يا مستر تاركنجتون . ولكن سبحان الله ، من تكون هذه؟» ومن الجلى أن هذا تأثير شخصيتها » ، والحقيقة أنها كانت ذات شخصية ، غير أنه قلّ من كان يعرفها لأنها كانت تجتنب الظهور .

وكانت بينة الأنوثة بالغة الرقة ، حريصة على الانزواء ، ولكنها على هذا كانت توقع فى الروع ان لها قوة خفية لا يستخف بها . ولما حملها زوجها الأسكتلندى إلى أدنبرة ليعرفها بوالديه أول مرة ، أنبأها أن أباه — وهو مهندس شهير ، يضع تصميم المنارات — رجل متزمّت متشدد فى الدين، يحكم بيته بيد من حديد . وكانت تعلم أن عليها أن تواجه موقفاً صعباً ،لأن أباه لم يكن راضياً عن زواجه بامرأة لا يقتصر أمرها على أنها أمريكية ، بل هى مطلقة أيضاً . فلما صارا وجهاً إلى وجه ، استحوذ جمالها على الأسكتلندى الصارم ،وأدهشه أن لها شخصية قوية كشخصيته .

وعلى العشاء فى ذلك المساء ،غضب الرجل لأن اللحم كان مبالغاً فى نضجه ، وانتهر الخادمات بصوت عال وهن يرجفن فى فوطهن المكوية . فنهضت كنّته (زوجة ابنه) عن كرسيها ووجهها ممتقع ، وعيناها تقذفان بالشرر ، فقد كان لا يثيرها شىء كالظلم ، وقالت له بصوت كالماء الجارى

تحت الثلج الهادئ : « إنك شيخ أفسده التدليل ، وإنك لتقسو على هؤلاء المسكينات اللواتى لا يستطعن أن يجبنك . وأنا أنذرك إذا رفعت صوتك مرة أخرى بانتهار هؤلاء النساء الوفيات ، أنى سأرحل عن هذا البيت فى الحال ولا أضع فيه قدمى ما عشت » .

فبهت الشيخ ونظر إليها معجباً ، وقال وهو يضحك : « اقعدى يا ابنتى . ألا وإنك كالجمرة المستعرة تحت الرماد » ، ومن ذلك الوقت ساد السلام ، وصار الرجل يتبعها كأنه أسد مروَّض مخلص .

وكان دمها غنياً بسَوْرة الشجاعة الموروثة من أجدادها الأشداء — تسعة أجيال من الرواد الأمريكيين من ناحيتى الآباء والأمهات . وكان أبوها يعقوب ينتمى إلى أسرة هولندية تحمل اسماً كريماً هو فان دى جريفت . فاستقر به المقام فى مدينة إنديانا بوليس ، وكانت يومئذ على طرف العمران ، وبنى بيته بيديه ، واتسع رزقه مع اتساع المدينة ، وصار تاجر خشب ثرياً ، وسمى بنته فرنسيز ماتيلدا .

وبعد أن أخفق زواجها الأول ، أحبت شاباً كاتباً غير معروف كان مصاباً بالتدرن الرئوى ، ثم تزوجته . وكانت تعرف بغريزتها أنه عبقرى ، وأنها خليقة أن تهدى إلى العالم اسماً خالداً إذا هى استطاعت أن تبقيه حياً ، فصارت حياتها عدة سنين ، معركة طويلة دارت بينها وبين السل حاصد الأرواح ، فاقتضاها ذلك أن تطوّف فى العالم باحثة عن جوّ يرد على زوجها العافية .

وقد خاضت معارك كثيرة خسرتها فى بلاد شتى ، حتى أشير عليها بأن تحمله على البحر الملح وتبقيه هناك . فتشجعت من فرط يأسها وأخذته إلى البحر وتحملت سنوات من النفى من المدينة ، وتبعة القيام على تمريضه بعيداً من كل عناية طبية وهما يجوبان البحار فى كل أنواع السفن فى المحيط الهادئ المتراحب الذى لم يكن قد رُسمت له خرائط . واجتازا الأرخبيل الخطر ، وجزر مارشال وماركيزة وجلبرت ، وقاوما العواصف والمستوحشين وتحطم السفن .

وهى امرأة مرهفة الحس ، ولكنها اضطرت مرة أن تعيش فى سفينة تجارية صغيرة مع خمسة عشر رجلا ، محتملة قسوة الحرمان من أن يكون لها مكان خاص ، فقد كانت تنام فى حجرة ينزُّ فيها الماء ، ومعها غيرها من الآدميين المبتلّين ، وتكافح الصراصير الكبيرة التى كانت تصر على أكل حاجبيها ، إذ تغتنم فرصة للرقاد فى الفترات بين العواصف التى كانت تنذر بأن تقلب السفينة الصغيرة .

وكانت تنام على الأرض بجانب مخدع

زوجها، لتكون مستعدة فى لحظة أن تقدم له الدواء من زجاجة صغيرة تضعها بين ثدييها. وكثيراً ما كان الطباخ الصينى يدوسها إذ يتطوّح فى الحجرة المرتجة ليقدم الصحون والمواعين المضطربة. وهطلت الأمطار الغزيرة التى لا تقلع ساعة ونزّ السقف عليهما، فرفعت فوق زوجها النائم مظلة، وما أكثر ما أُوقظت لتسعف بحاراً جريحاً، فتقص الشعر المتلبد عن رأسه الدامى، أو تلف ضمادة بليلة على يد محطمة.

ولم يزايلها الأمل على الرغم من كل هذه المتعبات، فقد كانت ترى أن المريض يعود فى بطء إلى حد من الصحة. وقد رآها بعضهم قاعدة على السطح الأمامى لسفينة شراعية ذات صباح جميل، ترقب زوجها وقد وقف حافياً على طرف المركب وهو يضحك من قلبه، إذ يحاول أن يطعن الأسماك المتواثبة على وجه الماء. فبعد سنوات من السهر الموحش فى غرف مظلمة، تراه الآن واقفاً على قدميه، وقد أصبح رجلا يعمل، فتحير الدمع فى عينيها. ألا لقد جاهدت فانتصرت!

ورأيتها على خير حال كأنها فى الفردوس، حين كان من حسن حظى أن أقاسمهما السنوات الأخيرة من حياتهما معاً. فقد عادا أخيراً من البحر، وانتهى بهما تطوافهما الموحش إلى جزيرة يوبولو الجميلة فى أرخبيل ساموا، حيث كان الجو العليل يقوى الأمل فى شفاء زوجها. وهناك عاشا بين أهل ساموا الكرام الذين كان يسميهم « خير ما خلق الله، وأعذب ما صنع ».

وابتنيا بيتاً كبيراً فى رحبة فى غابة طبيعية تحيط بها أشجار ضخمة وحولها السرخس والأركيذ، وقد تعطر الهواء بنفحات الليمون البرى، والأزهار الجميلة الأُنُف التى تخرج فى الأدغال، وهنا سكنا فى سفح جبل معشوشب تغرّد فيه الطيور، وتتأدى إلينا منه أنغام خمسة جداول جبلية تتحدر متسابقة إلى المحيط الهادى الذى كنا نراه على مسافة ثلاثة أميال تحتنا، من فوق رءوس أشجار بعضها دون بعض، فنرى إذ نرى ذلك كله زُرْقة لا نهاية لها ممتدة تحت السماء.

وجرى دم الرواد باسرع مما كان يجرى فى عروق فرنسيز، لما اشتريا ٤٠٠ فدان من أرض الغابات البكر الطيبة الهواء، على ارتفاع ستمئة قدم من بلدة أبيا الحارة على الشاطىء، وكان زوجها مشغولا بما يكتب، فكانت هى التى تولت الأمر كله: من تصميم البيت الجديد إلى الإشراف على البناء، فقد كانت مهندسة بالفطرة.

وكانت هذه أسعد أربع سنوات من حياتهما معاً، وكان مما يشرح الصدر،

والبيت يبنى، أن يراها المرء تصدر الاوامر إلى العمال، وترتقى السلالم العالية، وتقف على شعف الجدران المترنحة — امرأة دقيقة الجسم فى ثوب أزرق دائماً، وعلى رأسها قبعة بناما مائلة دائماً. وكان وجودها بمجرده يبعث النشاط فى عمالها المخلصين من أهل ساموا، ويحملهم على مضاعفة الجهد.

وكان منظر هؤلاء الشبان المرحين جميلا، فإنهم عمالقة نحاف ونصفهم عار، ولهم قدود أبطال الإغريق فى فتوتهم، وحول أعناقهم عقود من الزهر، وعلى رءوسهم الحليقة مسحوق أبيض من الجير. ويرفع رئيس منهم صوته فجأة بأغنية يرتجلها لها فيتبعه الآخرون، ويعملون بالمناشير والمطارق على توقيع الأنغام:

« فلنبن هذا القصر لمولاتنا السامية. أليست جميلة كالغمامة السابحة الصغيرة التي تدنو فى سيرها فوق أفق البحر فى الفجر؟ واعلموا يا من بهم كسل أن لها عينين فى رأسها الجميل، وأنها خُلقت لتطاع ». وكانت لا تفهم المدائح التي ينشدونها ويتغنون بها لها، لأنها لم تحذق قط لغتهم. وكانوا يعرفون هذا، ويعدونه فكاهة عظيمة، فتتجاوب الغابة بأصداء ضحكاتهم.

وكانا يعيشان أثناء العمل فى البناء، فى كوخ صغير أقيم بسرعة، عيشة غريبين وحيدين. وقد كتبت إلى صديقة لها تقول: « بين ثيابى تتدلى سيور اللجام، وعلى حقيبتى، وهى من خشب الكافور وتقوم عندى مقام منضدة الزينة، وبين المشط وفرشاة الأسنان، مجموعة من آلات النجارة وأدواتها. وعلى الجدران حربة منحوتة، ومسدس، وسموط من أسنان السمك، والحيوان، والإنسان، وعقود من الأصداف، ويبدو سريرى الصغير كأنما وضع فى مكانه خطأ ».

وصنعت خزاناً صغيراً حول نبع على جانبنا من الجبل، ومدت منه الأنابيب على انحداره مسافة ربع ميل إلى البيت، فأعفتنا من الاعتماد على ماء المطر الذى كنا نتلقاه فى المواعين من السقف المصنوع من الصاج المضلع. ومع أن أهل ساموا كانوا يقومون بالعمل لها، إلا أنها كانت تخيرهم نشاطاً وكداً. وأذكر أنها ذات مرة ضحكت إذ طلبت إلىّ أن أدلك لها أصابعها وأبسطها، فقد جمدت من الأسمنت الذى كانت تقيم به الجدار الحاجز للخزان.

وكانت فرنسيز امرأة كثيرة النقائض، من ذلك أنه كان بها حياء غريب حين تلقى الأغراب، ومع ذلك كانت تواجه الأخطار المروّعة فى شجاعة ورباطة جأش. وكانت تعوذ بك كأنما لا حول لها، ولكنها

أوتيت موهبــة القيادة . وكانت من ذلك الضرب الذى يتطلع إليه المرء فى الشدائد ، وتكون صارمة عنيفة إذا تطلب الأمر ذلك، ولكنها تتمثل دائماً بالحكمة القائلة : « من عرف كل شىء ، غفر كل شىء » . وكانت فارسة معلمة ، ورامية من الطراز الأول ، ومؤلفة ممتازة ، وبحارة ، وبستانية عالمة ، وطاهية ليس لها ند ، وممرضة نادرة المثال . وكان الوفاء مزيتها الوضّاءة، فكانت لا تتخلى عمن تحب فى السراء والضراء ، فلا عجب إذا كان ربان محنّك فى سنه وتجربته قد قال عنها : « إنها لسيد (جنتلمان) عظيم ! »

وكانت فيها فكاهة رائعة ، وكانت تحب المزاح حباً جماً ، وقلما كانت تقهقه ، ولكنها كانت تشترك فى المرح العام بضحكة فيها خفوت وهمهمة ، وإذا صح أن أخلاق المرء تعرف من أخلاق أصدقائه ، فإنها تكون لغزاً أشد تعقيداً من اللغز الصينى : فمن صيادى سمك ، ودوقات ، إلى ابن الشاعر شيللى، وصاحب محل حلاقة ، والملك الطيب كلا كادا ملك هوايى ، والكابتن سلوكام الذى طاف حول الأرض وحده فى سفينة صغيرة وخرج عن نهجه اثنين وسبعين يوماً ليزورها فى ساموا ، ومن الروائى هنرى جيمس إلى المثال أوغسطس رودان ، وجون سارجنت الذى رسم لها صورتها ، و ج. م. بارى الكاتب المسرحى الخجول ، الذى قلما كان يقول شيئاً لأحد ، وما أكثر ما كان يقوله لها ويحدثها به ، والملك تمبينوكا ملك أباماما الفتاك الذى أوسع المشاغبين من رعاياه قتلا ليحفظ النظام فى دولته ، والذى بكى بأربع لما انصرفت من زيارته . وقد لمحها مرة صحفى من سان فرنسسكو فى جمهور ولم يكن يعرفها من قبل ، فقال : « إنى أستطيع أن أعرفها فى ومضات البرق ، وإنها المرأة الوحيدة التى أستطيع أن أتخيل أن يكون رجل مستعداً أن يموت فى سبيلها » .

ويطيب لى أن أتذكر عشاء شكر، لما تم أخيراً بناء فايلما – كما كانا يسميان بيتهما – وكان الأثاث الجميل والأوانى الفضية قد جىء بها من أسكتلندة ، وما زلت أرى غرفة الجلوس الرحبة – ٦٠ قدماً فى ٣٠ قدماً – وجدرانها المكسوة بالخشب الأحمر المصقول وقد زينت بصور من ريشة سارجنت ، وهوجارث . ولم نكن ندرى أن هذا سيكون آخر احتفال نشترك فيه جميعاً . وكان يبدو لى أن هذا هو الأوج ، واللحظة التى تتوج حياة هذه المرأة الباسلة الحافلة بالتضحية والمغامرة والحب .

وكانت ترتدى ثوباً من المخمل الأسود محلى بالدنتلة النفيسة ، ولمعان حلها ينافس بريق السعادة الذى فى عينيها ، فكان منظرها

وضاء مشرقاً وهى جالسة إلى طرف المائدة التى تسطع عليها أنوار الشمعدانات الفضية والبلورية ، وتزدان بالأزاهير . وقد حقق الله حلمها ، فقد كانت ترى زوجها وقد علته سمرة الصحة وبدا طويلا ممشوقاً فى ثياب السهرة التى تتخذ فى المناطق الاستوائية — وهى سترة بيضاء ، وصدرية حمراء ، وسروال أسود — فهى خليط زاهٍ معجب.

وأشرقت وجوه الحافّين بالمائدة بنور الشموع ، وكانوا ضباطاً بحريين فى ثياب بيض ، والمأمورون ، والقناصل وزوجاتهم. وكان الخدم من أهل ساموا يرتدون مآزر إلى الخصور من صوف ذى ترابيع ، وأزهار الخبيزة وراء آذانهم ، وعقود الزهر حول أعناقهم ، وقد دهنوا أبدانهم السمراء بزيت الجوز وعطر الصندل ، فقاموا على خدمتنا فى وقار وسكينة .

فالحق أن هذا كان عشاء شكر لها . فقد أصبح زوجها فى أوج شهرته ، وقد نجح وسار ذكره إلى أبعد مما كان يحلمان به. وفى خمسة عشر عاماً من زواجهما أخرج مؤلف « جزيرة الكنز » و « الدكتور جيكل والمستر هايد » أكثر من ثلاثين كتاباً . وأهدى إليها آخر رواياته وأقر لها فى الإهداء بالفضل فى نجاحه : « خذى لك هذه الكتابة فإنها حقك ، إذ من غيرك الذى صقل السيف ، ونفخ فى الفحم الهامد ورفع الدرع ، وزهد فى الثناء وسخا بالرأى والنصيحة . . . من سواك ؟ »

وبعد بضعة أيام فلج زوجها الذى كان بادى الصحة كأنما ضربه الفالج فجأة فى ساعة صفو مجيدة ، ولم يمت بالمرض الذى كافحته زوجته بل بالفالج. وقد شد نعشه إلى فروع طويلة وحمله أهل ساموا المحزونون إلى قمة الجبل الذى كان يحبه ، وهناك دفن .

وبعد ذلك ببضع ليال ، اتفق أنى جئت إلى الشرفة ، فارتددت حين لمحتُ فرنسيز دى جريف ستيفنسون — جدتى ، وكانت واقفة فى ضوء القمر وعينها إلى الجبل الذى تغطيه الغابة والذى يرقد فيه زوجها ، كما أراد أن يدفن: « تحت السماء الواسعة الحالية بالنجوم ، وقد عاشا معاً أربعة عشر عاماً » .

وكان من الصواب أن يدفن روبرت لويس ستيفنسون فى قمة جبل ، وأن تلحق به زوجته هناك بعد نحو عشرين عاماً ، وعلى القبر المشترك تحيته الخالدة لها محفورة على البرونز :

« أنعم الله علىّ بعلمة وزميلة رقيقة الفؤاد ، وزوجة ، ورفيقة وفية فى رحلة الحياة كلها ، قلبها جميع ، وروحها حرّ » .

طلع علينا سحر العلم بحل لمشكلة نقص موارد البترول نقصاً مطرداً — صنع وقود للمحركات مستخرج من الغاز الطبيعي

بنزين جديد مركب بالكيمياء

ج . د . راتكليف
مختصرة من مجلة "كوليبرز"

لم يفتأ المنذرون يقولون منذ سنوات إن نفاد البترول أمر وشيك، ولكن العلم طلع علينا بكشف جديد يضيء ذلك الطريق المظلم. فسوف يصنع البنزين المركب بالكيمياء من الغاز الطبيعي، وسيكون من رخص الثمن بحيث ينافس البنزين المستقطر من البترول .

أما الرجل الذى فكر فى إنشاء المصنع لتركيب هذا البنزين ، فهو ب . س . كيث المهندس الكيميائى، وهو فى منتصف العقد الخامس من عمره . وقد كان كيث يبنى قبل الحرب مصنعاً لتقطير الزيت فى ألمانيا ، فزار طائفة من مصانعها التى تصنع البنزين بالتركيب الكيميائى على طريقة « فيشر تروبش » . وأساسها أن يعالج غاز الطبخ المستخرج من الفحم بطريقة تحوله إلى بنزين . وهذا البنزين غالٍ جداً يبلغ ثمن الجالون منه خمسة قروش وهو فى المصنع، وهو ردىء لا تزيد قوة الأوكتين فيه على ٤٠ درجة ، فمحركات السيارات الحديثة لا يمكن أن تسير بمثل هذا الوقود، فإذا ما أريد استعماله للدبابات وغيرها، لم يكن بد من أن يعالج معالجة كبيرة النفقة . ولكن كيث عاد مقتنعاً بأنه إذا صرف المهندسون براعتهم الفنية فى تحقيق ما كشف الألمان مبدأه العلمى الأصيل ، كان الناس خليقين أن يظفروا بمورد جديد رخيص للبنزين .

فنظم كيث شركته وعهد إلى عشرة أو نحوهم من أبرع المهندسين الكيميائيين بدراسة الموضوع . فقد أثبت الألمان أنك تستطيع أن تصنع البنزين من غازات الفحم وهو يحترق كأول أوكسيد الكربون والإيدروجين ، أفلا يكون الغاز الطبيعى مصدراً أرخص لتركيب البنزين ؟

يتركب الغاز الطبيعى من أربعة غازات : ميثين، وإيثين، وبروبين ، وبوتين. وأكثر الأربعة هو غاز الميثين الذى يبلغ ٩٠ فى المئة من الغاز الطبيعى كله . فإذا ما احترق غاز الميثين فى حجرة يملؤها الأكسجين النقى ، أسفر احتراقه عن أول أكسيد الكربون ، والإيدروجين ، وهذان الغازان هما المادتان الأصليتان اللتان يتركب منهما البنزين . غير أن وجود مقادير كبيرة رخيصة من الأكسجين ، أمر لازم لنجاح هذا العمل نجاحاً مالياً . والأكسجين المجهز للبيع يكلف ثلاثة ريالات لكل ألف قدم مكعبة .

وكانت ثمة عقبة أخرى: إن أسلوب تحويل

أول أوكسيد الكربون والإيدروجين إلى بنزين وماء، يولد مقادير عظيمة من الحرارة فكيف تتخلص منها ؟

وقد وجد كيث حل المشكلتين جميعاً : ذلك بأن تتخلل أنابيبُ الماءِ الحجرةَ التي يتم فيها التفاعل ، ويمتص ماء الأنابيب الحرارة فيتحول بخاراً يولد طاقة محركة . وهذه الحرارة تحرك آلات الضغط وغيرها من المعدات اللازمة لمصنع يستخرج الأكسجين من الهواء . فتمّ له أن يستعمل طاقة محركة لا ثمن لها ، فيولد بها أكسجيناً رخيصاً ، فلا يزيد ثمن ألف قدم مكعبة منه على ١٢ مليما أو نحوها بدلا من ٣ ريالات .

وأراد أن يمتحن أسلوبه ليرى هل يصلح عملا كما صلح علماً ونظراً . فأنشأ مصنعاً للتجربة ، فكان له ما أراد . فقد دخل الأكسجين والغاز الطبيعى من أحد طرفيه وتقطر البنزين من الطرف الآخر بمقدار عشرة جالونات فى اليوم . وقد تولدت مواد أخرى عدا البنزين : كحول ، وزيت الديزل ، وأسيتون ، وهو المادة المذيبة التى تصنع منها أفلام التصوير .

وما كاد يقيم الدليل على نجاح الأسلوب حتى عمد مهندسوه إلى بناء مصنع آخر للتجربة أكبر وأوسع ، فبلغ إنتاجه عشرة براميل فى اليوم. وحسبوا نفقات الإنتاج ، فثبت لهم أن البنزين الصناعى يستطيع أن ينافس البنزين المستقطر من البترول . فبدأ العمل فى تصميم مصنع يكلف ١٥ مليون ريال ، وستشترك فى الإنفاق عليه خمس أو ست من شركات الزيت . وسوف ينتج هذا المصنع ٥٠٠٠ برميل من البنزين الصناعى و١٠٠٠٠ برميل من زيت الديزل كل يوم . ومقدار الأوكتين فى البنزين سيزيد قليلا على ٨٠ درجة وسوف ينتج المصنع ٢٠٠ ألف رطل من ضروب الكحول الخام ، فتستعمل مواد مذيبة فى صناعة أصناف الطلاء والميناء وأفلام التصوير وعشرات من الأعمال الصناعية الأخرى .

أيفضى الاعتماد على الغاز الطبيعى فى صنع البنزين ، إلى نفاد الغاز الطبيعى على وجه السرعة ؟ ليس ذلك أمراً محتوماً ، فإن ما يكشف منه أكثر مما يستنفد . ويرى كيث أن الفحم يظل مصدراً لتركيب البنزين زمناً طويلا قبل أن ينفد الغاز الطبيعى . وفى الوسع أن يولد البنزين من الفحم اليوم ، فيكلف الجالون الواحد قرشين ونصف قرش . ولا بد من أن يهبط ثمنه على قدر ما ترتقى أساليب صناعته .

وتستطيع أن تصنع البنزين من أى شىء فيه كربون . ويقول كيث : « نستطيع أن نصنع البنزين من الدريس وكيزان الذرة ومن النّيلَوفر أيضاً إذا لم نعبأ بالنفقات » .

نستطيع الآن أن نروى كيف أبطلت الرقابة جهود الجواسيس فى زمن الحرب .

الحرب الخفية بين الرقباء والجواسيس

مارى لامار نايت

مختصرة من " ذى وشنطن بوست "

كنت من الرقباء أثناء الحرب — أى واحدة من ١٥٫٠٠٠ نفس ظلوا زهاء أربعة أعوام يتحسّسون أخبار الناس ، ويفتحون البريد ويسترقون السمع إلى محادثات التلفون ، ويتفحصون الأفلام والمطبوعات وبرامج الإذاعة .

كنا فى بادىء الأمر نشعر بخزى تخزى الآثم ، فقد كنا نتولى عملا بغيضاً إلى أكثرنا ، إذ كنا نقحم أنفسنا فى شئون الناس ، غير أننا سرعان ما أدركنا ضرورة الرقابة ، وقد تجلى لنا ذلك حتى قبل أن تخمد النيران المشتعلة فى أنقاض برل هاربر ، فلم يكد عمل الرقابة يبدأ فى هونولولو حتى عثرنا فى أوائل الرسائل التى فضضناها على وصف دقيق لنتائج الغارة ، وكانت الرسالة مرسلة إلى اليابان بطريق ملتوية .

إن الرقابة سلاح ذو حدين ، فهى لا تحول دون وصول المعلومات إلى العدو وحسب ، ولكنها أيضاً تمدّنا بمعلومات عن العدو عظيمة الخطر . فهذا أحد الرقباء مثلا يأخذ فقرة من رسالة تجارية وفقرة من رسالة أخرى وهكذا ، حتى جمع معلومات دقيقة عن طريق تسلكها سفن اليابان التجارية ، فأعانت الأسطول الأمريكى على أن يترصد لها ويغرق منها سبع سفن .

وقد علمنا من محادثة تلفونية استرقنا إليها السمع ، أين يخفى تجار السوق السوداء مقادير من الكينا كانت البلاد فى أمسّ الحاجة إليها ، كما كشفت برقية ضبطتها الرقابة جاسوساً ألمانياً فى هافانا يتظاهر بأنه تاجر ملابس ، وكان يتلقى المال بطريقة غامضة من عدة مصارف ، فقبض عليه وحوكم ، ثم أدين ، وقتل رمياً بالرصاص .

كانت مارى لامار نايت مراسلة فى باريس والصين ، ثم ألفت كتابها الرائع « كنت وحدى » عن الحوادث التى شاهدتها فى تلك البلاد ، ثم عادت إلى الولايات المتحدة وعينت فى منصب كبير بمكتب الرقابة ، وقد عهد إليها اليوم بكتابة التاريخ الرسمى لذلك المكتب .

وقد قبض على ١٨٩ جاسوساً على حدود الولايات المتحدة ، وأدانتهم المحاكم ، وكان للرقابة شأن عظيم فى معظم هذه القضايا .

وأغلب الرقباء خبراء فى بعض الشئون ، فقد كنا فى حاجة إلى من يفكون الرموز ، ومن يجيدون الترجمة ، وإلى خبراء فى الصناعة والقانون والشئون المالية ، بل كنا فى حاجة إلى خبراء فى طوابع البريد . فقد وجدنا مثلا فى رسالة مرسلة من أحد هواة جمع الطوابع إلى هاو آخر ، صحيفة من الطوابع مرتبة بدهاء ترتيباً رمزياً ، يدل على أن البارجة « أيوا » ستبحر من ميناء معين فى تاريخ محدد إلى غاية معلومة . وكان بيننا أستاذ فى الجامعة ، يعرف تسع لغات منها السنسكريتية ، ويستطيع أن يميز من سائر اللغات ٩٥ لغة أخرى . ومن بين اللغات التى عثرنا عليها رطانة أهل جزر هايتى التى تجمع أشتاتاً من الإنجليزية والإسبانية والفرنسية وغيرها ، ولغة الهندستان مكتوبة بحروف العميان ، ولغة مختلطة من اليابانية والرومانية والبرتغالية (فقد ذهب رهبان من البرتغال إلى اليابان فى القرن السابع عشر وكتبوا اليابانية ، بالحروف الرومانية، وهى اللغة التى تستعملها جماعات من اليابانيين اليوم فى البرازيل) [illegible]ة أهل جزيرة كوراساو ، وهى خليط من الهولندية والبرتغالية والإنجليزية، انتقلت إليهم من البحارة . وكان لدينا بعض علماء اللغة ممن يستطيعون أن يقرأوا الكتابة المختزلة فى ٣٠٠ لغة .

وكانت تعرض علينا كل يوم مليون رسالة من البريد الصادر والوارد ، وكان من المحتوم أن لا يلبث البريد الجوى عندنا أكثر من ٢٤ ساعة، أما بريد السفن فلا يبقى اكثر من ٤٨ ساعة . وأما الرسائل التى يتبادلها رؤساء حكومة الولايات المتحدة ، والحكومات المتحالفة فكانت لا تفتح ، ولكن كان علينا أن نفحص ظروفها أدق فحص، لأن جواسيس الأعداء كانوا يزيفون ظروف وزارة الخارجية والبيت الأبيض ، وكانت جميع الرسائل تراجع على قائمة المراقَبين وهى تشمل أسماء المعروفين بأنهم من الأعداء ، وأسماء من نشتبه فى أمرهم ، وكان فى هذه القائمة ما بين ٧٥ ألف إلى ١٠٠ ألف اسم ، فكنا نتبع فى فحص رسائلهم نهجاً خاصاً .

أما الرسائل الأخرى فكانت تطرح على مائدة المراجعة ، وكان كل رقيب يستعين بمجلد ضخم سجلت فيه الموضوعات التى تريد هيئات الحكومة أن تظفر عنها بمعلومات . فوزارة المالية تريد معلومات عن الصفقات المالية ، ووزارة التجارة عن الأعمال

التجارية ، ووزارة العمل عن شؤون العمال وأحوال العمل . وكان لدى الرقباء قائمة أخرى للسلع تتضمن أسماء أصناف شتى كالبلاتين وأحذية المطر والكراكات وصوف الماشية ومعدن الأورانيوم .

وكان فى الرسائل المضبوطة ما يعين لنا موضع مخازن المطاط والصفيح . وقد تمكن الأسطول ، بإرشاد أحد الرقباء ، أن يتعقب سفينة محملة بالزنك وهى فى طريقها إلى الأرجنتين ، فردّها وهى فى عرض المحيط . وكشفت إحدى الرسائل خطة ألمانية لبيع مليون زجاجة من الشمبانيا فى إسبانيا ، فتضيف بذلك ألمانيا إلى رصيدها فى الخارج مبلغ ٦ ملايين ريال .

وكتبت أم ألمانية إلى ابنها فى أمريكا تنبئه أنه سيتمكن حين يعود إلى وطنه من أن ينتقل راكباً إلى عمله ، فكشف ذلك عن إنشاء سكة حديدية جديدة ، سرعان ما دمرتها الطائرات . وكذلك كان مصير مصنع خفىّ كبير للأسلحة فى منطقة درسدن اهتدى إليه على خريطة ضبطتها الرقابة .

وكنا نقوم على الحدود بمراقبة الأوراق التى تنقل بالطائرات وقطارات الركاب . وقد ضبطنا سيدة كانت تخفى فى سلة أزهار رسالة تحدد تاريخ رحيل سفينة عظيمة الخطر من سفننا . وضبطنا رسالة بالحبر الخفى من جاسوس ألمانى يشكو شدة الرقابة على المسافرين ، وكيف شلت نشاطه حتى عجز عن تخطى الحدود .

وكانت ريبتنا تزداد حدّة كلما عثرنا على حيلة جديدة ، كمحاولة تهريب الماس فى قطع الشكولاتة . وقد عثرنا على علب من اللحم مزدوجة القعر ، فيها تقرير سوى عن أعمال شركة فاربن الألمانية الكيميائية الضخمة ، فى الشق الغربى من كرة الأرض ، وقد كانت فروعها مباءة للجاسوسية النازية أيضاً .

وكان أكثر ما يشغل بالنا تلك الرسائل المكتوبة بالرموز وبالحبر الخفى ، فكنا نمعن النظر فى كل رسالة بحثاً عن استعمال الأرقام أو الرموز استعمالا غير مألوف ، أو عن عبارات نابية فى مكانها ، أو عن أوراق يظهر أنها جففت بالنار أو كشط بعض كلامها . وقد وجدنا أن بعض الكشط الذى لا لون له يدل على أن حبراً خفياً قد هزّ ألياف الورق من مكانها . وكنا نرسل إلى « قسم التحليل الفنى » كل رسالة تحوم حولها مثل هذه الشبهات أو غيرها ، وكل رسالة مرسلة إلى الأشخاص المذكورين فى قائمة المراقبين وكل رسالة واردة إليهم .

و « قسم التحليل الفنى » هو الاسم الغا

الذى تعمدنا إطلاقه على المعمل الذى يفك الرموز والأرقام ويكشف الحبر الخفى، وهو معمل فى حى ناء من وشنطن العاصمة ليس له نوافذ ولا يدخله سوى عدد يسير من رجال ونساء، وهناك تمسح كل رسالة بإسفنجة مشبعة بمواد كيميائية تظهر الحبر الخفى، ثم تفحص بالأشعة فوق البنفسجية.

ولما أوشكت الحرب أن تنتهى، عثرنا على حيلة ألمانية تمكن الألمان من أن يطبعوا الرموز بالآلة الكاتبة على صفحة كاملة ثم يصغروها بالتصوير، فلا تزيد مساحتها على نقطة صغيرة، ثم تدس فى حافة الظرف أو فى جوف حرف مكتوب بالآلة الكاتبة كحرف «ح» مثلا وارد فى رسالة تبدو بريئة من كل شبهة. وقد تعلمت معاملنا كيف تفحص هذه الرسائل الميكروسكوبية وتظهرها مكبرة.

وقد فحصنا آلافاً من أساليب استعمال الرموز والأرقام، فاصطفينا منها ٤٦٠٠ مجموعة خليقة بأن تهتم بأمرها أقلام المخابرات أيضاً. وكانت الرموز «مفتوحة» و«مغلقة»، فالمفتوحة تبعث فى رسالة تبدو بريئة من الشبهة لتخفى خبراً شديد الخطر: «ستصل والدتى إلى بلباو فى السابع من الشهر»، عبارة تبدو بريئة، ولكن ربما كان المقصود بالأم فيها قافلة من السفن، وبمدينة بلباو جبل طارق. أما الرموز المغلقة فتضع الأحرف والأرقام والرموز موضع الألفاظ، وهى أقل خطراً من الرموز المفتوحة، لأنها تدل بذاتها على أنها رسائل خفية.

أما مراقبة المخاطبات التلفونية الدولية فينبغى أن يكون رقباؤها من أشد الناس يقظة، فالرقيب يضع على أذنيه سماعتين ويمسك بإحدى يديه قلماً، ويضع الأخرى على لوحة التلفونات ليتمكن من أن يقطع المحادثة فوراً. وكان الرقيب يلقى عنتاً شديداً أثناء محادثة كبار المسئولين، ولا سيما فى أيام الأزمات. فقد حدث بعد مؤتمر طهران أن ذكر ياور أحد القواد الأمريكيين أسماء ركاب إحدى طائرات النقل وذكر رتبهم، وكان بينهم نفر من أكبر الرجال المسئولين فكان كمن يدعو العدوّ إلى الترصد لهذ الطائرة.

وكان لنا إثنا عشر مكتباً يتولى أمر البرقيات، فكل برقية يراد إرسالها من الولايات المتحدة تحوّل إلى أقرب مكتب من هذه المكاتب. فإذا فهمنا معناها فهماً واضحاً وثبت لنا أن لا ضرر فيها، سمحنا بإرسالها، وإذا ساورنا الشك فحصناها مرة بعد أخرى. ولم نكن نسمح للجندى أن يرسل إلى حبيبته برقية يقول فيها: «هذه أربعة ريالات لشراء الزنبق»،

بل نعدلها فتصير : « هــذه أربع ريالات لشراء أزهار » . فقد تكون أسماء الأزهار رموزاً مقصودة . وقد استبدل أحد الرقباء عبارة : «مات أبى » بعبارة « توفى أبى » فجاء الرد من المُرسِل يستفسر : « أمات أم توفى » ، ففضح السر بسؤاله .

ومجمل القول هو أن الرقابة قد ضبطت ما يقرب من ٤٠٠ رسالة خطيرة من رسائل الجواســـيس . وقد دهش الذين كانوا يستهينون بمراقبة رسائل الجواسيس ، حين ضبطت رسالة لا يدل ظاهرها على خطر ما، وكانت واردة من أوربا إلى سـيدة مقيمة فى فندق نيويورك ، فظهر بعــد فحصها أن فى ذيلها رسالة طويلة مكتوبة بالحبر الخفى كان مطلعها : « اكتبى أو اذهبى إلى تريزة ، فهى تأخذ مالا من مستر ميلر ..» .

وكانت السـيدة التى تلقت الرسالة هى جريس بوكان دينين ،وكانت قد مرّت منذ ثلاثة أشهر على مركز مراقبة المسافرين فى جزيرة برمودة قادمة إلى نيويورك . وعلى أنها لم تطأ أرض أمريكا قبل ذلك ، فقــد كانت تحمل معها عناوين شتى لأشخاص فى أمريكا . فأدرج اسمها فوراً فى قائمة لمراقبين ، وقد قرر أحد المراجعين أنه قد عرفها من قبل فى لندن ، ولم تكن يهودية لاجئة كما زعمت ، بل كانت مسيحية هنغارية.

ولم يُقبض عليها يومئذ، بل مضينا نفحص بريدها . وقد أتاحت لنا وهى لاتدرى أن نعرف خمسة من شركائها ، فأدينوا جميعاً وصدرت عليهم أحكام قاسية .

وهذه جاسوسة أخرى كانت لها خطة محكمة فى الاتصال بالعدو ، ولكنها أفسدتها بغبائها . فقد أنشأت مؤسسة لتجارة واسعة لبيع العرائس فى جميع أنحاء العالم ، وقد أتاحت لها مكاتباتها الخاصة فى عملها وسيلة محكمة لدسّ أنباء كانت ترسلها إلى اليابان عن مواقع سفن الحلفاء وقوّتها ، إذ كانت تقف على ذلك فيما يقتضيه عملها من رحلة إلى شاطىء المحيط الهادى . ولقد كتبت مرة : « لقــد تركت عرائسى الإنجليزية الثلاث فى مستشفى العروس ، وسيتم إصلاحها بعد بضعة أشهر » ومعنى ذلك ثلاث سفن بريطانية ترمَّم ، وكانت تعنى بقولها : « العروسان التوأمان الملتصقان » سفينة تتولى حمل الطائرات والحراسة معاً .

وقد كانت هذه العبارات خليقة أن تمر دون أن يشتبه فيها ، لو لم توقع على بعض رسائلها بأسماء تجار آخرين ، ثم أرسلتها إلى عنوان فى الأرجنتين أخذته من اليابانيين ، ولكنها نقلته خطأ ، فأعيدت الرسائل إلى الأسماء التى زيفتها، فأخبر أصحابها قلم المخابرات فأخبرنا بذلك . فجعلنا نتقصى كل الرسائل

الموقعة باسم فلفالى ديكنسون ، أو أى اسم آخر ما دام موضوعها الدمى والعرائس .

وقد استخلصنا من سيل هذه الرسائل دليلا كافياً للقبض عليها ، وانتهى بها الأمر إلى الاعتراف بما فعلت، فحكم عليها بغرامة قدرها ١٠٫٠٠٠ ريال ، وبالسجن عشر سنوات .

وقد ضبطت رسالة مرسلة إلى شخص يدعى هيرزل بسويسرا ، وكان اسمه مدرجاً فى قائمة المراقَبين، وفيها إشارة إلى « إغلاق الدار » . وبعد بحث شاق وجد قلم المخابرات أن الدار فى حىّ بمدينة نيويورك حيث كان « فرد لميتز »* يستضيف رجال الأسطول . وكان « فرد » هذا يعمل فى مطعم للبحارة ، فتسنى له بهاتين الوسيلتين أن يجمع معلومات عن إبحار السفن ، فقبض عليه ثم اعترف بجرمه .

على أن الألمان كانوا لا يزالون يجهلون أننا نفحص الرسائل المرسلة إلى هيرزل ، فضبطنا رسالة أخرى موقعة باسم ر . و . جرسون . وكانت رسالة لا تدعو إلى ريبة ولكنها كانت تخفى رسالة مكتوبة بحبر خفى جديد عما تنتجه الولايات المتحدة من المواد المتفجرة . فهذه إذن رسائل خطيرة الشأن، وقد دلت رسائل جرسون فيما بعد على أنه خائف مذعور ، فقد كتب فى إحدى رسائله : « قد ألوذ بالفرار » ، وتوسل إلى رؤسائه أن يكفوا عن الكتابة ، وأن حبره الجيد أوشك أن ينفد ، وأنه ولا شك سيكتب فى المرة التالية ببوله ويوقع باسم « بيل » . وقد فعل ، وضمن رسالته بعض معلومات عسكرية ،فقبض عليه قلم المخابرات، فلما فوجىء بالأدلة اعترف بأنه جاسوس ألمانى اسمه كونت فون راوتر، وأنه متجنس بالجنسية الأمريكية .

وقد اكتشفنا من الرسائل المراقبة آثار ثلاثة جواسيس تمتد أعمالهم إلى قواعدنا الجديدة فى ألاسكا : أحدهم امرأة يابانية تنوى الذهاب إلى ألاسكا متنكرة فى زى هندية ، والثانى جاسوس مهمته أن ينشىء محطة للإذاعة فى جوف الغابات ، والثالث يطلب من رؤسائه حبراً خفياً .

وقد لبثنا ٢٩ شهراً نعمل على إخفاء سر الفاجأة التى انقضت على هيروشيما ، فكان المراجعون يبعثون بتقاريرهم إلينا عن كل ما يذكر عن معدن الأورانيوم ، وقد طلب الرقيب العام فى أول أبريل ١٩٤٣ ، من جميع الصحف والمجلات ومذيعى الراديو أن لا يذكروا شيئاً عن تحطيم الذرة أو عن الأورانيوم أو عن أى شىء يمت إليهما بصلة،

* انظر « مطاردة جاسوس » : مختار ديسمبر ١٩٤٥ ص ٥٤

وكان علينا أن نراقب أخبار الصحف والمقالات الفكاهية والنقد المسرحى أيضاً ، وقد عرضت علينا قصة خيالية عن غزو اليابان بالذرة فمنعنا نشرها فى أوانه .

وكان أعظم نجاح توّجنا به عملنا بفضل معاونة محطات الإذاعة والصحف ، هو أننا منعنا عن اليابانيين كل خبر عن أثر قنابلهم الطائرة ، وكان ذلك السلاح منطاداً من الورق يحمل فى جوفه قنبلة ويطلق فى الهواء حين تهبُّ الرياح متجهة إلى الغابات الأمريكية فى الشمال الغربى . وكان اليابانيون يرجون من استعماله أن يشعلوا النيران الآكلة فى الغابات، ويدخلوا الرعب فى قلوب الشعب ويحطموا عزيمته . وقد عثر طلاب خرجوا يتنزهون على قنبلة قتلت سيدة وخمسة أطفال ، وجمع حرس الغابات ٣٣٤ قنبلة مثلها ، فبلغ من دقة كتمان هذه الأخبار أن ظن اليابانيون أن قنابلهم لا تبلغ غايتها فأهملوا مشروعهم ، بعد أن أطلقوا ٠٠٠ر١٠ منطاد، مثقلة بهذه القنابل.

وقد نجحت الرقابة بجميع فروعها نجاحاً يدعو إلى الدهشة، فقد ضبطنا مليون رسالة وبرقية ذات شأن خطير ، ووقفنا على شئ كثير من أخلاق الناس وغرائب طباعهم .

يعرف ما يريد

سأل مدير الموظفين فى شركة كبيرة ،رجلا كان ملازماً فى الجيش عمّا له من تجربة سابقة فى أعمال التجارة ، فقال : « لا تجربة لى ، فلم أكد أتخرج من الجامعة حتى نشبت الحرب وجنّدت »

فقال المدير : « وأى عمل تستطيع أن تنهض به ؟ » .

فقال الضابط : « أى عمل إدارى — قل وكيلا لرئيس الشركة » .

ففكر المدير فى الأمر ، وقال : « أحسب أن ذلك يجرّدنا من وظائفنا ، فنحن الآن إثنا عشر وكيلا للرئيس» .

فقال الضابط مشيراً بيده كمن لا يبالى : « إن ذلك لا يهولنى ، فلست ممن يعبأ بالخرافات ! »

امتحن زوّار دارك

١ — لغز السلسلة

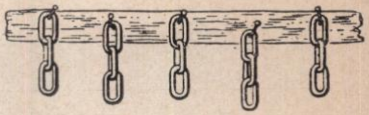

أن تكسر إحدى هذه الحلقات ، يكلفك قرشاً واحداً ، وأن تلحمها بعد كسرها يكلفك قرشين . فما هو أقل مبلغ تتكلفه لكى تجعل هذه القطع الخمس سلسلة واحدة متصلة الحلقات ؟

اثنا عشر قرشاً ! أعد نظرك فيما قلت — فالمبلغ الصحيح أقل من ذلك .

حكمة اللغز : الحل البين ليس دائماً أقل الحلول نفقة .

٢ — لغز الأكواب

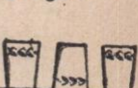

ضَعْ ثلاثة أكواب فى صف على أن يكون الكوب الوسط مقلوباً كما ترى فى الصورة . ثم احمل فى كل يد كوباً واقلب الكوبين . وكرّر هذه الحركة ثلاث مرات ، بشرط أن لا تقلب نفس الكوبين مرتين متتابعتين ، حتى تصير الأكواب الثلاثة كلها مقلوبة — هل تستطيع ؟

٣ — لغز الكأس وقطع السكر

اقبض على جذع كأس بثلاث أصابع ، بالخنصر والبنصر والوسطى ، ثم أمسك بين السبابة والإبهام قطعتين من السكر إحداهما فوق الأخرى ، ثم حاول أن تضع القطعتين فى جوف الكأس دون أن تستعمل يدك الأخرى . (يسهل أن تقذف فى الهواء القطعة الأولى من السكر وأن تلتقطها بالكأس ، ولكن إذا حاولت أن تقذف الثانية ، طارت الأولى من الكأس) . فكيف تفعل ؟

٤ — لغز الكأس والقرش

ضع بطاقة زيارة على رأس كأس ، وضع على البطاقة قرشاً ثم انفخ البطاقة بحيث يسقط القرش فى جوف الكأس . أتستطيع أن تفعل ذلك ؟

٥ — لغز الفوطة

أمسك بيديك فوطة مائدة من زاويتين متقابلتين واعقدها دون أن تفلت إحدى الزاويتين من يديك . جرّب .

[الإجابات الصحيحة صفحة ١٢٩]

سياسى كبير يقيم الحجة على أن تمهيد الطريق لنجاح هيئة الأمم المتحدة خير من إلغائها كما يريد بعض أصحاب المثل العليا .

الطريق الوحيد إلى انشاء حكومة عالمية

سمنر ويلز
وكيل وزارة الخارجية الأمريكية سابقاً

مختصرة من مجلة "أتلانتيك الشهرية"

أفضى إطلاق الطاقة الذرية وحصر أسرار صناعتها بين ثلاث حكومات دون غيرها ، فيما يقولون ، إلى نشر سحابة كثيفة من سموم الريبة والخوف والهلع فوق أرجاء العالم ، فقوى إيمان أنصار العزلة بأن الخطة الوحيدة التى يجدر بهم اتباعها هى التفوق فى السلاح والتوسع الاستعمارى ، واندفع أصحاب المثل العليا يقولون إن جميع الأعمال النافعة التى يمثلها اتفاق إحدى وخمسين دولة على إنشاء هيئة الأمم المتحدة ، ينبغى أن تلغى فى الحال ، فهم مقتنعون بأن العالم ينبغى أن يبادر إلى انتهاج طريق جديدة . وأصحاب المثل العليا يؤثرون دائماً أن يتجنبوا مشقة السير فى طريق وعر ، ويسلكوا طريقاً جديدة تبلغ بهم غايتهم .

وقد بسط لنا أينشتين فى عدد نوفمبر من مجلة « أتلانتيك الشهرية »* ما يقترحه من علاج حاسم ناجع لهذه المشكلة . ويؤسفنى أن أرانى مضطراً إلى معارضة بعض مقترحاته ، ولكن ينبغى أن أفعل ، لأننى أعتقد أن كثيراً من الناس الذين يعرفون لأينشتين منزلته فى علم الطبيعة ، سيسارعون إلى الاقتناع بأنه حجة فى عالم السياسة الدولية أيضاً .

واقتبس من مقاله الفقرة التالية ففيها ، خلاصة مقترحاته :

« إن سر القنبلة الذرية ينبغى أن يوكل إلى حكومة عالمية — تؤسسها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا العظمى ، وهى الدول الثلاث الوحيدة التى لها قوة عسكرية كبيرة .

ولما كانت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى تملكان سر القنبلة الذرية دون روسيا ، فإن عليهما أن تدعوا روسيا إلى أن تعد المشروع الأول لدستور الحكومة العالمية المقترحة .

وبعد أن تقرر الدول الكبرى دستوراً ، تدعى الأمم الصغيرة إلى الانضمام إلى الحكومة العالمية — ولكن الدول الثلاث هى التى يجب أن تنظم الحكومة العالمية ، سواء أنضمت إليها الأمم الصغيرة أم لم تنضم » .

* القنبلة الذرية : مختار فبراير ١٩٤٦ ص ١

فالعلاج إذن هين سهل فيما يرى أينشتين، ولكنى أعتقد أن بلوغ هذا الهدف لن يتأتى لنا أبداً فى الوقت الحاضر. فرأيه قائم على فرض أن حكومة السوفيت توافق على تأسيس حكومة عالمية تهيمن على المسائل العسكرية كافة على شريطة أن تعدّ حكومة السوفيت تصميم دستور تلك الحكومة.

ترى كيف تكون نصوص دستور تتولى وضعه حكومة السوفيت؟ وإنى لأظن أن حكومة السوفيت تقبل الانضمام إلى حكومة عالمية إذا قرر دستورها إنشاء اتحاد عالمى لجمهوريات اشتراكية تكون موسكو عاصمته، ولكنى لا أتصور أن يقبل الاتحاد السوفيتى أن ينضم إلى حكومة عالمية على غير هذا الأساس.

فما من حكومة عالمية كالتى اقترحها أينشتين، تستطيع مباشرة عملها إلا بشرط أن يكون لها الإشراف المطلق على سلاح كل دولة منضمة إليها، وبشرط أن ترضى كل أمة أن يكون كل شبر من أرضها ومن معاملها ومصانعها مباحاً، لتكون كلها خاضعة لرقابة دولية مستمرة، وعلى شريطة أن تقبل كل دولة منضمة أن تخضع أيضاً للرقابة كل أعمال الحكومة — بما فى ذلك سياستها الخارجية والداخلية والمالية.

ومثل هذا الطلب يهدم النظام السوفيتى الراهن من أساسه. ولا شك أن الاتحاد السوفيتى لن يقبل الانضمام إلى أية حكومة عالمية إلا إذا ألفت على وضع يجعل إضعاف سيطرته على سياسة روسيا الخارجية والداخلية أمراً مستحيلا. ومن الوهم أيضاً أن نفترض أن الشعب البريطانى يقبل الانضمام إلى اتحاد عالمى يكون فيه القضاء المبرم على حرية الفرد، وهى من مبادئه العزيزة عليه.

وأكبر وَهَن فى منطق أينشتين هو فى قوله: « وليس من الضرورى عند إقامة حكومة عالمية تنفرد بالسلطة العسكرية أن يحدث تغيير فى الكيان الداخلى للدول الكبرى الثلاث ». وإذا أرادت هذه الدول تحقيق ما يقترحه فالرأى عندى أنه يستحيل عليها كل الاستحالة أن تنجح « فى ابتكار الوسائل التى تجعل النظم الثلاثة المختلفة تلتئم فى سبيل التعاون ».

ويقرر الأستاذ أن الحكومة العالمية التى يقترحها يجب أن يكون لها « سلطة التدخل فى البلاد التى تضطهد الأقلية فيها الأكثرية، وبذلك تخلق هذا النوع من الاضطراب الذى يفضى إلى الحرب » ويعترف بأن الأقلية هى التى تتولى الحكم فى الاتحاد السوفيتى، ولكنه يؤكد أنه لو كان روسى المولد لاستطاع أن يوفق بين شخصيته والأحوال المحيطة به ».

فمعنى نظريته — إذا لم أكن أخطأت فى فهمها — أن حكم الأقلية يعتبر ظلماً فى كل أمة غير الاتحاد السوفيتى . فمعنى ذلك أن الحكومة العالميـة التى يقترحها تخوّل حق التدخل فى شؤون كل دولة من أجل أن تقيم فيها حكومة على الشكل الذى ترضاه الدول الكبرى المسيطرة على الحكومة العالمية — اللهم إلا روسيا .

وهذه القضية تثير اليوم أكبر مشكلة تواجهها الشعوب المحبة للحرية . فهل تقبل شعوب الديمقراطيات الغربية نظاماً عالمياً — مهما كانت صورته — يُوكل فيه أمرهم إلى دولة أجنبية مسيطرة ، تعين لهم كيف ينبغى أن تكون حكومتهم ، وإلى أى حد تقيد حرياتهم الفردية ، وإلى أى حـد يتاح للأكثرية أو الأقلية المعارضة أن تبين عن رأيها ؟ فهذا التدخل الذى يقترحه أينشتين يخضع أمم العـالم لسيطرة الدول الثلاث الـكبرى ، بحيث تصبح بقية الشعوب فى حكم الرقيق المستعبد . وهيهات أن يقوم عالم حر على مثل هـذا الأساس ! فنحن لم نحارب إلا من أجل الحيـلولة دون إقامة مثل هذا العالم .

ولو كانت سلطة ردّ العدوان على حرية الفرد موكولة فى هيئة الأمم المتحـدة إلى الجمعية العمومية وحدها (والأغلبية العظمى فيها للدول الصغيرة) ولم توكل إلى مجلس الأمن الذى تسيطر عليه الدول الـكبرى ، لأمكن تفادى الخطر المفضى إلى أن يكون هـذا التدخل وقفاً على الدول الـكبرى الثلاث وحدها دون غيرها ، تصرّفه فى مصالحها هى .

وكل من كان له نصيب فى إقرار ميثاق الأمم المتحدة ، يرى أن تأسيس هيئة الأمم المتحدة هو من قبيل المعجزة فى العصر الحاضر . ألا ترى كيف يجتمع خمسون شعباً فتتصادم ضغائنهم ومطامعهم وأنانيتهم بل كثيراً ما تصادمت شكوكهم وريبهم ؟ ولـكن الأمر انتهى إلى التوفيق بين الآراء المتضاربة ، وتم أخيراً إنشاء الهيئة الدولية .

وستقوى هذه الهيئة على العمل مهما حدث من تطور فى ميدان العلم — إذا عقدت شعوب العـالم عزمها على صيانتها من الإخفاق .

ما من حكومة رضيت عن الميثاق كل الرضى ، وقل من الناس من رضى عنه ، ولـكن الأكثرية تؤمل أعظم الأمل أن يتم تحسين الميثاق على التدريج ، بحيث تصبح هيئة الأمم المتحدة أقرب شىء إلى حكومة عالميـــة متحدة ، وتتحقق هيمنتها على الديمقراطية الغربية ، إذا ما أمكنت المحافظة على السلم فى السـنوات الخمس القادمة ،

وهى فترة الانتقال بعد الحرب الأخيرة .

وأنا أؤمن إيماناً قوياً بأن الهدف الذى يجب أن ترمى إليه الأمم هو ان تصل فى النهاية بمعونة هيئة الأمم المتحدة إلى إقامة حكومة اتحادية عالمية تقوم على القانون ، وتتجلى فيها المبادئ الحقة للديمقراطية الدولية.

وإذا التمسنا أسلم الطرق وأسرعها إلى الهدف ، فلن نجده فى مقترحات أينشتين بل فى نصائح هاتش عضو الشيوخ الأمريكى فهو يقول : « إن بين أيدينا هيئة منظمة، فيجب أن نستعين بها ، وندخل عليها ما نستطيعه من تحسين كلما خطونا نحو غايتنا ألا وهى خضوع العالم كله لحكم القانون لا لحكم القوة » .

ويقول أينشتين : « وأنا أدرك أن هناك قوماً يوافقون على أن الحكومة العالمية هى الهدف الأخير ، ولكنهم يؤثرون الوصول إليها تدريجاً ، ولكن آفة الخطو الوئيد هو أن الأمم التى تملك القنبلة تظل فى أثناء ذلك محتفظة بسريتها ، دون أن تقنع من لا يملكونها بما سوغ كتمان السر . وهذا وحده يخلق المخاوف والشكوك ، وتكون العاقبة أن تسوء العلاقات بين الدول المتنافسة إلى حد خطر . فبينما يظن الذين لا يخطون إلا خطواً وئيداً أنهم يدنون من السلام العالمى ، يكون الواقع أنهم يساعدون على إثارة الحرب التالية » .

وماغفل عنه أينشتين هو استحالة القيام بأى عمل سوى الخطو الوئيد حتى تنتهى المخاوف والريب القائمة اليوم . وكيف تنتهى دون أن تتعاون الدول كلها ، ولا سيما الدول الكبرى ، وهى تعمل معاً فى هيئة الأمم المتحدة ، وبذلك يتجلى لها رويداً رويداً وبالبينة والبرهان ، أن ليس هناك ما يدعو إلى مخاوفها وريبتها .

لقد فسدت العلاقات الدولية منذ كان يوم النصر ، وأهم سبب هو افتقار العالم إلى هيئة منظمة تستطيع شعوبه وحكوماته أن تستعين بها حتى تعمل كلها معاً . ولو أنشئت هيئة الأمم المتحدة قبل يوم النصر ، وباشرت عملها من يومئذ ، لتجنبنا هذا الفساد ولا ريب . وليس للإنسانية اليوم من أمل إلا فى هيئة الأمم المتحدة ، وفى رضى الحكومات ومقدرتها على المبادرة إلى تهيئتها للعمل . وقد أثبتت سنوات الحرب أن الحكومات حين لا تجد مفراً من أن تعمل معاً وإلا هلكت ، تستطيع أن تتفق فيما بينها وتتعاون .

وتستطيع هيئة الأمم المتحدة أن تضع الأسس التى تكفل تعمير العالم وتقدم الإنسانية وتوطيد السلم بين الأمم ، إذا أحسنت

الأمم المشتركة فيهـا تطبيق مبادئها . وإذا تخلينا عنها دون أن نجربها فكأنما نرفض عمداً أن نستعين بالأداة الوحيدة القائمة بين أيدينا اليوم ، والتى نستطيع بواسطتها بلوغ تلك الأهداف . ومع ذلك فهاهو أينشتين يشير علينا بأن نطرح ميثاق هيئة الأمم المتحدة جانباً ، على جـلالة قدره ، وينصح حكومات العالم ان تحاول الظفر برضى ٥١ أمة حتى تقيم نوعاً من حكومة عالميـة لايداخلنا أقل شك فى أن شعوب الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والاتحادالسوفيتى لن تتفق عليها .

فلو تخلت شعوب الأرض اليوم عن هيئة الأمم المتحدة ، لما جنت إلا الفوضى الشاملة بغير أمل ، وهيهات أن ينبثق من حمأة الفوضى أمل جديد .

يا عابر الطريق

« قصيدة طبعت على لوحات وعلقت على أشجار الغابات فى البرتغال »

يامن يمرّ بى وتحدثه نفسه بأن يمدّ يده إلىّ ، أصغ إلىّ قبل أن تمسّنى بأذى :
أنا نار موقدك فى ليالى الشـتاء الباردة ، والظلّ الذى يحنو عليك ويردّ عنك شمس الصيف ، وثمارى هى شرابك المنعش الذى يطفىء أُوامك وأنت ماض فى طريقك .
أنا العارضة التى تمسك جدران دارك ، واللوح الذى تصنع منه مائدتك ، والسرير الذى تنام عليه ، والخشب الذى تبنى به زورقك .
أنا نِصاب محراثك ، وباب بيتك ، وخشب مهدك ، وأعواد نعشك .
أنا ظلال الرقة ، وزهرة الجمال .
فيامن يمرّ بى ! استمع إلى دعائى ، ولا تمسنى بأذى . [رودسايد بوليتن]

كان بين تلاميذى فى فصل الكيمياء ، فتى يميل به طبعه إلى الاستئثار بالحديث فى كل مناقشة ، فعزمت على أن أنبه والديه إلى هـذه الخصلة البغيضة . فكتبت فى ذيل البيان المدرسى عن درجاته : « طالب ذكى مجتهد ، ولـكنه ثرثار » . وبعد أيام أعيـد إلى فوجدت فى أسفله كلمة كتبها أبوه ، وهى : « صبراً حتى تلقى أمه » . [هارولد مورر]

إذا تعبت ـ فكُلْ

ألبرت إدورد ويجام
مؤلف كتاب "سمات الرجل المثقف" و"ثمار شجرة الأسرة" وغيرهما
مختصرة من مجلة "ريفيو أوف ريفيوز"

أينتابك الشعور بالتعب فى الحين بعد الحين ؟ أترى نفسك مهتاجاً سريع التأثر فى ساعة الضحى وساعة الأصيل ؟ أم ترى نفسك عندئذ عرضة للخطأ فيما تعمل ؟

إن كنت كذلك ، فسيدهشك أن تعلم أنك قد لا تكون « متعباً » ، وأن الراحة لن « تنعشك » ، وأن الجوع وحده هو سرّ تعبك ، وأن ما تحتاج إليه إنما هو الطعام لا الراحة .

لقد تجلى سداد هذه الأقوال من الأبحاث التى قام بها عالمان ممتازان من علماء وظائف الأعضاء ، هما الدكتور هوارد هاجارد والدكتور ليون جرينبرج من أساتذة جامعة ييل . فقد طفقا يدرسان « كلال العمال » وعلاقته بأصول التغذية ، ولم يكن بحثهما مصروفا إلى « ماذا » ينبغى للمرء أن يأكل ، أو « كم » ينبغى له أن يأكل ، بل « متى » ينبغى أن يأكل .

أسفر بحثهما عن أنك إذا كنت صحيحاً معافىً لا يعتلج فى نفسك اضطراب أو همّ من الهموم ، وأنك مع ذلك عرضة لنوبات من الشعور بالكلال تختلف عليك ، فخير علاج هو أن تأكل خمس أكلات فى اليوم على الأقل أو ست أكلات .

ولعلك كنت خليقاً أن تدرك هذه الحقيقة وحدك ، لو لم تستبدّ بك ثلاث عقائد تكاد تكون شائعة بين الناس جميعاً الأولى : أن لا تأكل إلا حين تجوع ، والثانية : أن من عمل معدتك وشهيتك أن تشعراك بأنك قد جعت . والثالثة : أنه ينبغى لك أن تريح معدتك فى الحين بعد الحين . ويلوح أن هذين الباحثين قد طعنا هذه العقائد الثلاث طعنة قاتلة .

قاس هذان العالمان ما فى العضلات من قوة وكفاية ، وما يصيبها من زيادة ونقصان فى كل ساعة من ساعات النهار ، فى جماعة عدتها ٢١٣ شخصاً تتراوح أعمارهم بين ٤ سنوات وأربعين سنة . فوجدا أن مستوى الكفاية فى اليوم كله ، يكون أقل ما يكون قبل ساعة الفطور . ووجدا أن كفاية العضلات تزداد ازدياداً سريعاً بعد أن تصيب من طعام منوّع فيه زلال وبروتين ودهن ، وتظل تفعل ذلك ساعة

بعد الطعام . ثم تظل تهبط شيئاً فشيئاً فى الساعات الخمس التاليـة حتى تبلغ مستواها الذى كانت فيه قبل الفطور .

وهـذه النتائج تدل دلالة قوية على أن كفاية العضلات ترتبط أوثق ارتباط بمقدار الزمن الذى ينقضى بعـد آخر وجبة من الطعام . وكانت الخطوة الثانية أن يفحصا عن عادات تلك الجمـاعة فى أكلها ، ثم يقارناها بما يختلف على كفاية العضل من الزيادة والنقصان .

وكانت هذه الجمـاعة مؤلفة من خمسة أطفال صغار ، و ٥٨ تلميذاً ، و ٢٠ طالباً فى الجامعة ، وخمسة من الخدم ، وعشرة من كتاب الاختزال ، وأربعة من الـكتبة ، و ٨ معلمين ، و ٨٨ من عمـال المصانع يتولون أعمالا سهلة ، و ١٥ يتولون أعمالا شاقة . وكان منهم ٢٣ يأكلون أكلتين فى اليوم عادة ، و١٣٥ يأكلون ثلاث أكلات ، و ٣٨ يأكلون أربعا ، و ١٧ يأكلون خمس أكلات .

وظلوا فى أيام فحصهم يعيشون على مألوف عاداتهم ، اللهم إلا دقائق قلائل من كل يوم تقاس لهم فيها نسبة التنفس (وهى مقياس كفاية العضلات) ، وذلك بأن يركب كل منهم دراجة مثبتة فى الأرض ويحرك ساقيه كراكب الدراجة .

ولما قورنت كفاية العضلات بعاداتهم فى الطعام ، اتضح أن كفاية من يأكلون أكلتين فى اليوم ولا يفطرون تظل ضئيلة حتى يكون الغـداء ، فترتفع على عجل ، ثم تعود فتنخفض شيئاً فشيئاً حتى تحين ساعة الانصراف عن العمل . أما أصحاب الأكلتين الذين كانوا يفطرون ولا يتغدَّون ، فقـد كانوا يبدأون عملهم بنشاط ، ثم تنحدر هـذه الـكفاية بالتدريج حتى تصل إلى مستواها المنخفض قبيل الإفطار ، وتظل كذلك طوال ما بعـد الظهر . أما الذين كانوا يأكلون ثلاث أكلات ، وهم ١٣٥ ، فكانت كفايتهم تزداد ازدياداً سريعاً بعد الإفطار وبعد الغداء ، ثم تنخفض بالتدريج فى كلتا الحالتين . وأما الذين كانوا يأكلون أربع أكلات ، وعددهم ٣٨ ، فكان بعضهم يأكل الأكلة الرابعة فى ساعة الضحى ، وبعضهم يأكلها فى ساعة الأصيل ، فكانت كفاية العضلات فى كلتـا الطائفتين تزداد ازدياداً سريعاً عقب هذه الأكلة ، ثم تعود فتسير سيرها المألوف . ومن العجيب أن نتائج أكلة العصر كانت أفضل بعض الشىء من نتائج أكلة الضحى . أما أصحاب الأكلات الخمس ، وعددهم ١٧ ، فكانت نتائج اختبارهم مدهشة ، لارتفـاع مستوى كفايتهم على طول النهار .

ثم خطت التجربة خطوة أخرى نقلتها من المعمل إلى المصنع ، واختير للفحص عمال يشتغلون فى خياطة أحذية التنس ، وكان إنتاجهم يقل فيما بين الضحى والظهر دون استثناء ، فكانت قلة إنتاجهم تُردّ إلى ما يصيب العامل من كلال . وبدا من سجلات الإنتاج لأول وهلة أن أصحاب الأكلتين كانوا ينتجون الأحذية بمعدل ١٧٢ حذاء فى الساعة ، وأصحاب الأكلات الثلاث بمعدل ١٨٣ ، وأصحاب الخمس بمعدل ١٩١ . وكان إنتاج أصحاب الأكلتين ، وكانوا جميعاً لا يفطرون ، ضئيلا طول الصباح ، فهم يبدأون بإنتاج ١٧٤ حذاء فى الساعة ثم ينحدرون إلى ١٥٦ ، فإذا تغدوا ارتفع معدل إنتاجهم بسرعة إلى ١٩٥ ، ثم يعود فيهبط إلى ١٧٢ فى آخر ساعات العمل .

واستطرد الباحثان إلى تجربة جديدة ، فقسموا أربعين عاملا قسمين متساويين ، واستمر فحصهم عشرة أسابيع . فأما القسم الأول فكانوا يأكلون ثلاث وجبات فى اليوم ، وكان معدل إنتاجهم ١٨٣ حذاء فى الساعة . وأما القسم الثانى فكانوا يعطون أكلتين أخريين ، فيها كوب من اللبن وست أوقيات من الكعك فى الضحى والعصر ، فزاد معدل إنتاجهم الذى لم يكن يتجاوز ١٧٠ فى الساعة إلى ١٩٣ بعد الأكلتين الأخريين

وفضلا عن ذلك ، فقد ذكر عمال القسم الثانى أنهم حين كانوا يأكلون خمس وجبات فى اليوم ، كانوا يشعرون أنهم أحسن حالا وأشد حماسة فى العمل ، وأهدأ أعصاباً فى ساعات الضحى والأصيل . ودلت سجلاتهم أيضاً على أن أخطاءهم صارت أقل .

وكذلك أقام الباحثان حجة قوية على أن برنامج طعامنا يمكن تحسينه تحسيناً كبيراً بحيث يصبح أبعث على البهجة والنشاط . لقد كان نظام الوجبات الثلاث فى اليوم عادة فرضها نظام العمل فى المصانع ، فلما طال إلف الناس لها أنزلوها منزلة الصواب ، ولكن هذا فرض باطل .

وإذا أكلت خمس أكلات ، أو ستًّا إذا سهرت ، فلا يقتضيك ذلك أن تزيد مقدار الطعام الذى تأكله الآن فى يومك كله ، فقد يقل المقدار وقد يزيد ، ولكن الواجب أن يكون شعارنا تعديل نظام أكلاتنا الحاضر .

وثمة مشكلة أخرى فى نظام الأكل كما يصفها الدكتور هاجارد ، وهى عودة الأطفال من المدارس جياعاً وإعطاؤهم قطعة من البسكوت أو الخبز والمربى يتبلّغون بها حتى يأتى وقت العشاء ، فإذا حان وقته

لم يشتهوا الطعام ، ثم يأوون إلى الفراش فتنبو بهم مضاجعهم . وخير لهم فى رأيه أن يأكلوا عقب عودتهم من المدرسة أكلة متوسطة المقدار وافية العناصر ، تتبعها أخرى قبيل النوم من ألوان الطعام الوافية الملائمة .

ويقترح الدكتور هاجارد أن يتبلغ الإنسان بين كل أكلتين بشىء من الطعام ، وخير ذلك كوب من اللبن وموزة ، يستبدل بهما أحياناً شىء من الفاكهة أو الخضر . وأخذ اللبن مع الطعام يجعل فائدته أطول مدة ، ويجعل هبوط الكفاية أبطأ سيراً .

ومن رأى الدكتور هاجارد أن إنشاء المقاصف فى المصانع والمتاجر لإمداد عمالها بأكلات فى ساعات الضحى والأصيل ، كفيل بحل هذه المشكلة ، وخليق أن يزيد كفاية العمال ونشاطهم ومرح نفوسهم . وخلاصة هذا البحث هى ما يلى :

لا تجعل معدتك هى الدليل الذى يدلك على أنك قد جعت ، فإنها قد تفعل وقد لا تفعل .

لا تجتنب الطعام لكى تهىء لمعدتك « بعض الراحة » ، فإن المعدة وهى فارغة أنشط عملا مما تكون وفيها بعض الطعام .

العلاج المعترف به الآن لما يصيب المعدة من أسقام ، هو إكثار الوجبات الخفيفة من الطعام

فإذا أحسست بشىء من التعب ، أو بخثور فى النفس ، أو بإعياء يصدّ نفسك عن الطعام ، فالتمس عندئذ شيئاً تأكله . ولكن عليك أن لا تجعل هذا الشىء زيادة تزيدها على طعام يومك ، بل أخرج مثل مقداره من مجموع طعام يومك .

ذهبت سيدة أنيقة إلى مخزن ولتر فلوريل الذى يصنع القبعات لكواكب السنما وسيدات الطبقة الراقية ، وقالت إنها تريد فى الحال قبعة ترتديها فى حفلة دعيت إليها . فأخذ ولتر مترين من شريط ولفهما على شعرها وقال : « إليك القبعة يا سيدتى » . فنظرت فى المرآة فأعجبت بما رأت وصاحت : « إنها مدهشة » .

فقال ولتر : « خمسة وعشرون ريالا » .

فقالت مبهورة : « ولكن هذا ثمن باهظ لمترين من الشريط ! »

فحل ولتر الشريط عن رأسها ، ووضعه بين يديها وقال : « أما الشريط يا سيدتى فإنى أقدمه إليك بلا ثمن » .

مجاهد فى سبيل الله

جون ا. أوبريان
رئيس قسم الفلسفة فى جامعة نوتردام

أراد أن يجاهد فى سبيل الله ، فعليه أن يصرف وجهه عن متاع الحياة الدنيا وينفق عمره فى بذل الخير وصنع المعروف لبنى جنسه . . وهكذا ظل ألبرت شوايتزر أربعين سنة مجاهداً يبذل للناس من ذات نفسه ويده .

وقد بدأ ذلك يوم وقف شوايتزر فى رحبة السوق بمدينة كولمار فى الألزاس العليا شاخصَ البصر إلى تمثال زنجىّ عارٍ فى هيئة الذليل الضارع ، وكان هذا التمثال منحوتاً على قاعدة نصُبٍ أقيم لأمير البحر بروات ، يمثل سطوة الاستعمار الألمانى فى إفريقية . فدار فى خلد شوايتزر أن هذا النصب رمز يدل على ظلم الإنسان لأخيه الإنسان .

وأخذ شوايتزر يفكر : « أحق ما سمعت من أننا نسخر هؤلاء الزنوج ، ثم نضنّ عليهم بالأطباء والعقاقير ؟ » .

فلما انقلب راجعاً إلى بيته فى استراسبورج ظل هذا الشبح الأسود ينغص عليه سكينة قلبه طول الطريق .

بيد أنه أخذ يسائل نفسه : « ولكن لمَ يعذبنى ضميرى ، وما أنا غير أستاذ فى جامعة ؟ » . وكان فى وسعه أن يقول لنفسه أيضاً إنه نال فى الثلاثين من عمره شهرة واسعة فى ثلاثة ميادين ، فقد كان عالماً مشهوراً من علماء الدين ، وكان عازفاً على الأرغن نال حظوة عند جمهور كبير من الإنجليز والأوروبيين ، وكتب ترجمة فذة لحياة باخ الموسيقى .

ثم شاء الله أن يطلع شوايتزر على مقال عن الكونغو فى إحدى المجلات جاء فيه : « بينا ترى رجالنا يقفون بين هؤلاء الوثنيين ليهدوهم إلى عبادة الله ، إذا هم يسقطون تحت أعينهم صرعى المرض ثم يتخطفهم الموت . وليس لرجالنا حول ولا قوة فى دفع ذلك عنهم » .

وقد سجل شوايتزر فيما بعد ما أحسّ به يومئذ فقال : « لقد حُمِّلنا وزراً ثقيلا بما فعله البيض من جميع الأمم فى أولئك الزنوج . فإذا أسدينا إليهم خيراً ، فليس

ذلك إحساناً منـا ولا صدقة ، وإنما هو تكفير عما اقترفنا » .

وآلى هذا العالم الموسيقى على نفسه أن يقضى ما بقى من عمره بين زنوج الأدغال مكفراً عن هذا الإثم . وعارضه أصدقاؤه قائلين : إذا كان زنوج إفريقية فى حاجة إلى عون ، فليحاول شوايتزر أن يجمع المال لهم ، وليس عليه أن يتولى علاجهم بنفسه .

فرد عليهم شوايتزر مردداً قول جوته : « إنما هو العمل لا الكلام » .

فكان أول ما عمـل أن التحق بكلية الطب ، وبعد نحو خمس سنوات يوم أوشك أن يتخرج طبيباً وجراحاً ، ألفى نفسه فى مأزق ضنك قد يحول بينه وبين ما أراد . فقد وقع الرجل ذو الهدف العظيم فى شراك الحبّ ، فتهلل أصـدقاؤه فرحاً واطمأنوا إلى أن الزواج سيقضى على مشروعه العقيم .

ولكن هيلين برسلاو ، وهى ابنة أحد المؤرخين فى جامعة استراسبورج ، كانت تعرف خططه من أول يوم ، فقد تقدم إليها يخطبها وقال لها بصراحة :

« إنى أدرس اليوم لأصبح طبيباً يداوى الزنوج ، فهل تقضين معى بقيـة عمرك فى الأدغال ؟ »

فأجابته : « سأكون ممرضة مدربة ، أفتتركنى وتذهب وحدك إلى الأدغال ؟ »

وكان كلاهما يعلم أن إجازة الطب لا تكفى فى أدغال المناطق الحارة ، إن لم تظاهرها الأدوية والضمادات وآلات الجراحة . فأخذ شوايتزر يحاضر ويكتب ويجهـد نفسه فى جمع المال لهذه البعثة .

وفى إبريل سنة ١٩١٣ أبحر هو وعروسه إلى رأس لوبيز فى إفريقيـة الاستوائية الفرنسية ، حيث لاقيا « يوسف » أول صديق لهما من أهل إفريقية ، وكان قد اشتغل يوماً ما طباخاً عند أسرة من البيض . وقام يوسف مقام الدليل للطبيب وعروسـه فى رحلة بالزوارق استغرقت ثلاثة أيام فى نهر أوجودى إلى دار بلدة لامبرينيه . فهذا هو قلب المنطقة الوبيئة التى قرأ عنهـا ، حيث يزداد معدل الوفيات عاماً بعد عام . كانت دنيا تزخر بالبلايين من ذباب « تسى تسى » وبالنمل والأرَض والبعوض المثقل بجراثيم الأمراض .

فلما ألقى شوايتزر عصا تسياره فى بلدة لامبرينيه ، نظر إلى زوجتـه نظرة جزع وإشفاق . فقد وُعد أن يكون لهما دار ، ومستشفى ذو غرفتين من الصاج المضلع ، فلم يجدا داراً ولا كوخاً يستقرّان فيه . فأين يختزنان آلات الجراحة الدقيقة التى يسرع إليها الصدأ فى المناطق الحارة ، وأين يضعان الأدوية التى تردّ العافية إلى مرضاهم .

نصبا خيمتهما على عجل ، وطليا آلات الجراحة بالشحم ليصوناها من الصدأ ، ودفنا قوارير الأدوية فى الأرض على مقربة من مياه الينابيع الباردة ليقياها من التلف . وكان هذا النشاط العجيب يثير ريب الزنوج على الدوام . وأخذ أولئك الزنوج العراة الذين يشبهون أخاهم الذى يُرَى فى نصب كولمار يتجمعون حول نيران المخيم ، وأخذت تفد من قلب الأحراج البعيدة وفود الأقزام ، ثم جاءت وفود قبائل « فان وزندة » الذين كانوا يبردون أسنانهم بالمبارد لتصبح حادة كالنصال ليقووا بها على أكل لحم البشر .

وأكد لهم يوسف أن هذا الحشد نذير سوء ، فقد كان سحرة القبائل يبذرون بذور الشك ، والبغضاء لهؤلاء الدخلاء ، ولكن شوايتزر الذى كان يرقبهم من بعيد ، رأى كثيراً من الزنوج قد نهكت أبدانهم عدة أمراض كالملاريا ومرض النوم ومئات سواها من علل المناطق الحارة .

ونادى الطبيب يوسف : « هيا إلى العمل . إيتنى ببعض المرضى » .

كان اليأس قد بلغ من شوايتزر مبلغاً ، فعمد إلى بيت مهجور من بيوت الدجاج واتخذه مستشفى ، وجعل مائدة الجراحة سريراً قديماً من أسرة المخيم ، وطلى السرير القذر والجدران بطلاء من الجير .

وأخذ الزنوج يتجمعون حوله وقد ادّهنوا بالزيت ، وبدت على أبدانهم الوشوم براقة الألوان . وكان الرجال مدججين بالحراب والسكاكين ذات النصال العريضة ، وانتضى بعضهم قسيًّا من الأبنوس سقيت سهامها بالسم ، وأمام هذا الجمهور المتوعّد لاقى شوايتزر مرضاه الأول — أولئك البواسل الذين تطوعوا لامتحان سحر الرجل الأبيض .

وكان رجل منهم يشكو ألماً فى خاصرته اليمنى فرضى أن يستلقى على السرير ، واسدل ستر حول غرفة الجراحة . وبينما كان الطبيب يستأصل له الزائدة الدودية كانت مئات من العيون البراقة ترمقه من فجوات واسعة فى السقف .

هب أن المريض مات ، ترى ماذا يصنع رجال القبائل ؟

انتهت الجراحة ولله الحمد ، وأنّ المريض وفتح عينيه .

ورأى الزنوج هذه الجراحة فعدوها معجزة خارقة . أو لم يروا بأعينهم هذا الساحر الأبيض يقتل واحداً منهم ، ويبقر بطنه ثم يردّه إلى الحياة ؟ فأقبلوا يعينونه على بناء المستشفى ، وسرعان ما أقيمت ثلاث غرف على سفح الأكمة لتكون بمنجاة من

طغيان الفيضـان ، وكانت إحـداها للفحص ، والثانية عنبراً للمرضى ، والثالثة للجراحات .

ولما ذاعت شهرة الساحر الأبيض فى الأدغال ، أخذ الزنوج يفدون عليه من كل فج عميق يريدون أن يقتـلوا ثم يردوا إلى الحياة . وكان شوايتزر يقوم بجراحات الدمامل والفتـــوق والأورام والقرح الشرقية التى تصيب الأقدام العارية (قرح تنشأ من عدوى تنقلها ذبابة الرمل) . وكان علاج هذه القروح يستغرق أسابيع وشهوراً أحياناً ، والمرضى خـلال ذلك ينزلون فيقيمون عنـد أبواب المستشفى . وكانت تغذيتهم مشكلة . لقد كان بعض أقارب المرضى يهدون إليه من الدجاج والبيض أو الموز شكراً واعترافاً بالجميل . أما بعضهم الآخر فكان يتوقع أن يهدى إليهم الطبيب شيئاً من الهدايا. وكثيراً ما كان يرى الزنوج - إذا استساغوا مذاق دواء - يسرقون قارورته ويعبُّون كل ما فيها عبًّا .

وأراد شوايتزر أن يكفل الطعام لأهله ولمرضاه فأزال الشجر من بقعـة فى الغابة واتخذها حديقة زرعها فاكهة ونخلا ، وأخذ يقايض على الأقمشة والخرز بالموز وغـيره . وكان الاكتفاء بما تنتجه الأرض وحده شيئاً محالا ، إذ لا بد له من أن يستورد الأرز واللحم والزبد والبطاطس من أوربا ، وإن كان ذلك يكلفه نفقات فادحة .

وعلى الرغم من هذه الصعاب المتعددة أخذت قلوب رجال القبائل تميل بمودّتها إلى هذا الطبيب الخيّر . ولم يمت فى السنة الأولى مريض واحد ، ونجت ألوف من تباريح الآلام ، وأخـذ شوايتزر يتوغل مسافراً على قدميه فى جوف الأدغال ليأسو بطبه مرضى القبائل النائية .

فإن يكن عجيبـاً أن لا تقصم ظهر شوايتزر تلك الجهود المضنية ، فمردّه إلى شىء أعجب منه إذا رأيته فى جوف الأدغال. إنه بيانٌ (بيانو) مبطن بالزنك وقاية له من جو المناطق الحارة، أهدته إليه جماعة باخ الموسيقية فى باريس . فكان إذا جنّ الليل وانتهى عمل الطبيب ، عمد الموسـيقى الخبير بألحان باخ إلى أصابع العاج ، وإذا أنامله تعزف ألحـاناً قوية نغمة ، حتى إذا ما استغرق فى نشوة الأنغام أحس بيد زوجته

على كتفه تلفت نظره إلى النافذة المفتوحة ، حيث تبدو أشباح تزحف على الأرض ميممة شطر عنبر المرضى ، فيزمجر الطبيب غضباً . هؤلاء أكلة لحوم البشر من قبيلة زندة . تبّاً لهم ، إنهم يحاولون أن يختطفوا مريضاً عاجزاً لا حول له ، ويفروا به ليتخذوه وليمة فى غدهم .

ويأخذ الطبيب بندقيته ويطلق رصاصة فى الهواء يفزع قصفها أكلة البشر ، فيفرون هاربين .

وفى أغسطس سنة ١٩١٤ وقف بباب الدكتور شوايتزر رهط من الضباط الفرنسيين فأخذوه أسيراً .

قالوا له : « لقد نشبت الحرب فى أوروبة وأنتم ألمان » قال : « كلا . نحن من الألزاس . ونحن إنما نعمل هنا لنرفع عن الناس آثار بغى الألمان » .

ولكن الانقياد الأعمى للأوامر فعل ما أراد ، وأعيد شوايتزر وزوجته إلى أوروبة فسيقوا إلى المعتقل . فلما وضعت الحرب أوزارها كان المرض قد برّح بهما ونصحهما الأطباء بأن لا يعودا إلى إفريقية أبداً .

وبعد أن استجمّا ثلاث سنوات أحس شوايتزر أنه من القوة بحيث يستطيع التجوال فى أوروبة والجزر البريطانية عازفاً على الأرغن ، أو محاضراً ليجمع من المال ما يعينه على العودة إلى جهاده فى الأدغال . وكان يسافر فى الدرجة الثالثة ، ويقيم فى فنادق رخيصة ، ويدّخر كل درهم يستطيع ادخاره . فلما كانت سنة ١٩٢٤ كان معه من المال ما يكفيه ، ولكن هيلين كانت لا تزال من السقم بحيث لا تستطيع أن تسافر معه ، فاتفقا على أن تتبعه عندما تجد من نفسها القدرة على ذلك .

وفى هذه السنوات كان القيظ والأرَض قد التهما كل ما بناه شوايتزر فى لامبرينيه ، وكان عليه أن يبدأ من جديد . فاضطر أن يكون طبيباً فى الصباح وبنّاء فى المساء ، كما اضطر أن يروض نفسه على الوحدة وعلى هذا القيظ الخانق الذى يخطف البصر ، ولكن الزنوج الشاكرين عادوا فاجتمعوا يساعدونه على إعادة البناء كما كان .

وما أسرع ما استطاع شوايتزر أن يكتب لمؤيديه فى أوروبة أن عدد الوفيات فى الأدغال قد أخذ يقلّ ، ولم يمض إلا قليل حتى استطاع أن يخبرهم بأن الجذام قد خفت وطأته ، فلم يبق من مرضاه سوى خمسين ألفاً ، أى مريض واحد بين كل ستين من السكان ! وكانت صرخته الدائمة : « أرسلوا الدواء ، أرسلوا الطعام » .

وفى النهاية ، وبعد سنوات طويلة ، لحقت

هيلين بزوجها ، وبسمت لهما الآمال فأصبح لديهما مستشفى به ٣٠٠ سرير ومستوصف وغرفة جراحة حديثة ، ومعمل ، وعنبر للمرضى ، وملجأ للأطفال .

وكان آخر ما دخل على مستشفاه من التحسين ، الكهرباء (التى وصل الطبيب أسلاكها بيده) وعنابر جديدة للمجانين . لقد كان أولئك المجانين المنكودون يغرقون فى النهر بأمر السحرة ، فبدأ شوايتزر يعالجهم مستعيناً بمبادىء الطب النفسانى ، فأصاب بعضهم الشفاء بهذا العلاج .

ثم عادت الحرب فنشبت مرة ثانية فى أوروبة ، فنشأت مشكلة معقدة ، فاستشار الدكتور شوايتزر زوجته فكان جوابها حاضراً كعادتها :

« ينبغى أن لا نفرّ ، فإن الزنوج المرضى المساكين يعتمدون علينا ، فبقاؤنا واجب » .

ولكن لم يزعجهما أحد فى هذه المرة .

وتدل الرسائل الواردة منهما اليوم على مقدار ما أصابهما من جهد وتعب . فالأوربى إذا أراد أن يحتمل هذه النار الموقدة فى المناطق الاستوائية ، كان لا بد له من أن يعود إلى وطنه مرة كل سنتين ، ومع ذلك فإن شوايتزر لم يفارق مستشفاه منذ سنة ١٩٣٩ . وقد كتب فى ديسمبر من السنة الماضية يقول : إنه محالٌ أن يترك مكانه الآن فأمامه عمل كثير يعمله ، قال : « كان ينبعى أن أكون فى الثلاثين من عمرى لا فى السبعين ، ولكن لا يزال فى بدنى بحمد الله شىء من قوة » .

ويحاول أصدقاء شوايتزر أن يغروه بالرحيل عن إفريقية حيناً من الزمن ليستجم قليلا ، ولكنه يتردد . وفى السنوات الست الماضية وجد من فسحة الوقت ما أعانه على تأليف مجلدين ضخمين فى الفلسفة وفى نيته أن يتم الثالث .

ترى ما فلسفة هذا الرجل ؟ إنه على الرغم من غزارة علمه يؤمن بأبسط الأشياء .

وقد كتب يقول : « إن للشخصية البشرية حرمة ينبغى أن ترعى ، مهما يكن الجنس أو اللون أو المنزلة فى الحياة . فإذا أهملنا هذا المثل الأعلى تقوضت حياة الإنسان المفكر ، وذهبت ريح الثقافة ، وتمزقت الإنسانية شر ممزق » .

إذا أحسست يوماً أن كبر السن يغلّ يدك عن فعل شىء ما ، فافعله لساعتك .

[مرجريت ديلاند]

لواذع هوليـــوود

في أثناء حملة لبيع سندات الحرب وقف الممثل لون شانى نجل لون شانى الشهير فى حفل كبير ، وأخرج من جيبه رزمة من الورق وقال : « فى يدى خطبة طويلة أرادتنى وزارة المالية على أن أقرأها لكم . أفتريدون أن تسمعوها ؟ »

فصاح الجمهور : لا .

فقال لون شانى : « إذن — خير لكم أن تشتروا كل ما تستطيعون من السندات . فإن لم تفعلوا عدت إليكم وتلوتها عليكم » .

قال كاس ديلى : « أعلم أن الزواج أخذٌ وإعطاء ، أى مبادلة بين الزوجين ، ولكننى لم أعثر بعد على أحد يقبل أن يأخذ منى ما عندى » .

يقول فرد ألن المذيع الهزلى : « إن أصحاب شركة هيرشى للشوكولاتة يبذلون غاية جهدهم حتى أظل ممثلا سينمائياً ، وذلك لأننى حين أمثل فى فلم ، يزداد عدد الذين يبرحون دار العرض ، وينتظرون فى البهو حتى ينتهى ، فيزداد ما يشترونه من الشوكولاته خلال ذلك » .

سئل المخرج هارى رابف عن فلم جديد فقال معرّضاً : « إنه لفلم عظيم ، إذا كنت ممن يحبون الأفلام السخيفة » .

دخل المخرج بل توماس أحد ملاهى الليل فوجده غاصاً بالناس ، فحاول أن يدس ورقة بعشرين ريالا فى يد رئيس النُّدُل حتى يجد له مائدة يجلس إليها .

فقال رئيس الندل بلهجة الوقار : « احتفظ بها يا سيدى ، فإن أخذتها منك تعقدت مشكلتى حيال مصلحة الضرائب » .

روى آرثر مرى خبر مناقشة حادة دارت بين نجمين متزوجين من نجوم السنما . قال : « لقد قال الزوج لزوجته بعد تفكر : إنى تدبرت الأمر فرأيت أن أوافقك على رأيك » . فردّت عليه زوجته : « ذلك لا يجدى عليك لأننى غيرت رأيى ! »

مشت الممثلة هيلين ووكر إلى خشبة المسرح فى قميص رقيق يكاد يشف عما تحته لكى تمثل مشهداً من مشاهد فلم « كلونى براون » مع شارل بوايه . ودور بوايه فى هذا المشهد دور رجل يرعاها ، لا دور رجل يهيم بها حباً ، فلما رآها فى ذلك القميص قال : « لقد بدأت أرتاب فى حقيقة الشعور الذى يفرضه علىّ دورى فى هذا الفلم » .

حول الرياضة البدنية

ترى ماذا يكون لو جمعت طائفة من الأصدقاء وطرحت عليهم موضوعاً للبحث ، ثم سجلت آراءهم التى تأتى على البديهة ؟ وقد دعت « ريدرز دايجست » خمسة من المشهورين لكى يتسامروا فى موضوع الرياضة البدنية ، فجلسوا يتجاذبون أطراف الحديث ، وإليك مختصر ما قاله منقولا عن شريط مسجل .

وهذه أسماء الذين اشتركوا فى هذه التجربة الطريفة :

كورنيليا أوتيس سكنر : ممثلة ومؤلفة .

جين تنى : بطل الملاكمة العالمى السابق فى الوزن الثقيل .

ستيوارت كلويت : روائى ومؤرخ .

آندرو سولتر : عالم سيكولوجى مشهور .

هنرى مورتون روبنسن : محرر جوال فى ريدرز دايجست .

روبنسن : أصدقائى فيما أرى طائفتان : أما الأولى فقوم يستعينون بذكائهم ومواهبهم على الرزق ، وأما الثانية فقوم يمارسون الألعاب الرياضية . ورأيى فى الرياضة يمكن تلخيصه فى كلمة فيلسوف صينى قالها لإنجليزيين رآهما يلعبان التنس فى يوم قائظ : « إنى أعلم أنكما لستما من كبار الموسرين ، ولكن أصدقانى القول ، أليس فى وسعكما أن تستأجرا غلامين يتوليان عنكما هذا العمل الثقيل ؟ » .

كلويت : هؤلاء الشرقيون يعرفون قيمة النشاط معرفة صادقة ، فإذا أنت بددته فى لعب التنس عجزت عن الاستمتاع به وأنت تكتب . أما أنا فكلما اشتد تعبى جادت كتابتى . ففى الأسبوعين الماضيين كتبت شيئاً كثيراً ، ولكن الرياضة الوحيدة التى مارستها كانت هى صب القهوة لنفسى بيد ترتعش .

سكنر : وأما أنا فرأيى فى الرياضة العنيفة شبيه برأى أوسكار وايلد . فقد سئل :

« أمغرم أنت بالرياضة فى الخلاء ؟ » فقال : « نعم ، أحب لعب النَّرْد فى مقهى على قارعة الطريق » .

سولتر : لو سمعه مارك توين لكان خليقاً أن يعجب به . فقد كان توين يزعم ، كما تعلمون ، أن رياضته الوحيدة هى تشييع جنازة أصدقائه الذين يمارسون الرياضة بانتظام .

تنى : كان مما يجمل بمارك توين أن يتريث حتى يشيع جنازة برنارد شو . فقد أشرف شو اليوم على التسعين ، ولكنه لم ين يوماً ما عن الرياضة طول حياته . وكثيراً ما مشينا معاً عشرة أميال أو اثنى عشر ميلا ، وما فتىء حتى اليوم قوياً لا يدركه التعب فى آخر الشوط .

سكنر : ولكن الشمس تلفح جلدى فيدو كأنه سَرْج قديم . وما عرفت امرأة قط تمارس الرياضة إلا ورأيت وجهها أعجَفَ كالحاً . وأراهنكم على أن مارى أنطوانيت أو غيرها من فواتن التاريخ ، كانت تأبى أن تتريض — إلا فى خِدْرها طبعاً .

سولتر : أما وقد ذكرتم ضوء الشمس ، أفلا تعلمون أن المادة الحمراء فى الدم ، والمادة الخضراء فى الزهر ، متشابهتان فى تركيبهما الكيميائى ؟ .

روبنسن : إذن فأنت تنصحنى بأن أعرض بدنى الأبيض الغضّ كالزهر لضوء الشمس ؟

سولتر : نعم ، وإن شئت فانظر إلى هذا الزنبق يغمره ضوء الشمس ، فماذا ضرّه ؟

تنى : على رِسْلكم ، فقد جرتم على الرياضة ، فدعونا نطلق عليها اسماً آخر ، ولنسمها « العافية » . ولنقارن بين جسم معافًى وآخر معتلٍّ . من ذا الذى ينكر مزية الجسم المعافى ؟ إن دورة دمه أصحّ ، وعمل قلبه ورئتيه أحسن ، وقدرته على مقاومة المرض أعظم ، وعضلاته أقوى .

روبنسن : من أغرب الأمور عن العضلات أنها لا تكاد تذكر حتى يذكر الناس عضلة الساعد . وإنى أتحدى من شاء أن يذكر أسماء ثلاث عضلات سوى عضلة الساعد .

سولتر : (مسرعاً) عضلة العضد ، رمانة الكتف ، العضلة المربعة المنحرفة بين العنق والذراع وجانب الظهر . ولا تنسوا القلب فإنه أهم عضلة فى الجسم .

سكنر : وأيضاً الحجاب الحاجز — فهو عضلة خطيرة الشأن ، ولها أثر عظيم فى حياة الممثلين والخطباء .

روبنسن : ليتك تزيدنى علماً يا جين بما أشرت إليه من حالة الجسم المعافى ، ولا تقصر كلامك على أثرها فى بطل ملاكمة من أبطال الوزن الثقيل ، بل اجعله على أثرها فى رجل من أوساط الناس .

تنى : دعنى أفرغه فى العبارة التالية : تجدى الرياضة جدواها إذا كانت من النوع الموافق وبالقدر المطلوب . فإذا قلت عن القدر المطلوب ، عجزت عن إمداد الجسم بذخيرة من القوة اللازمة للنهوض بالعمل نهوضاً وافياً ، ولمقاومة الكلال . وإذا زادت عن القدر المطلوب ، أحدثت توتراً فى الأعصاب ، وألماً وخمولا فى العضلات. فالرياضة المتزنة هى سبيل المرء إلى العافية ، والقلب لا يؤدى عمله على خير وجه ، ولا يسرع إلى الاستجمام من تعب ، إلا إذا كان الجسد معافىً . وأنت تعلم أن القلب يدفع ٤٣٥٠ لتراً من الدم كلّ يوم تقريباً . وقد أصاب المستر سولتر كبد الحقيقة حين قال : إن القلب أهم عضلة فى الجسم ، إنه يمثل الحركة الدائمة التى لا تنقطع .

سكنر : لعلك تعنى العاطفة المشبوبة .

روبنسن : يوم كتبت يا جين مقالتك المشهورة عن الرياضة لريدرز دايجست ، تلقينا رسائل من أطباء ومدربين رياضيين يقولون فيها إن الرئتين تمدّان الجسم فى أثناء عمله كل يوم بكل ما يلزمه من الأكسجين لتنقية الدم ، فلا حاجة بنا إلى زيادة ما نستنشقه من الأكسجين وإلى رفع معدل هذه التنقية .

تنى : إذا صح ذلك وتيسر لنا ما يلزمنا من الأكسجين ، فلم ينبغى لنا أن ننتجع الريف أو شاطىء البحر ؟ ولم لا نقيم فى المدن حيث تكثر أبخرة أول أكسيد الكربون ؟

روبنسن : إن كاويت لا يفارق المدينة أبداً ، فالأكسجين يؤذيه !

تنى : ولكنه يبدو سقيا .

سولتر : لقد أصاب تنى — أعنى أصاب فيما قاله عن عادة التنفس العميق ، لا فيما قاله عن سقم كاويت ، فالتنفس العميق يزيد حتما مقدار الأكسجين فى الدم . والمشكلة الجوهرية فى الرياضة هى أن معظم الناس الذين يقبلون عليها ، يحاولون أن يقوّموا فى أبدانهم ما لا سبيل إلى تقويمه . فتركيب بدنهم لا يمكنهم من أن يجنوا من الرياضة ما يريدون . فتحريك اهتمامهم بالرياضة يفضى بهم إلى شعورهم بالضعف والنقص . وأرى أن مبالغة المدارس فى عنايتها بالرياضة تثير هذا الشعور فى كثير من الأطفال .

سكنر : أما وقد كنت لاعبة فى فريق كرة السلة ، فإنى أعرف هذا حق المعرفة .

روبنسن : تدل سجلاتنا العسكرية على أن المجندين الأمريكيين ، لم يكونوا على حظ عظيم من العافية وسلامة البدن .

تنى : لقد رُدَّ ثلثهم لأسباب طبية — ضعف القلب ، أو ضعف البدن ، أو ضعف العقل .

كلويت : وما قولكم فى الحركة النازية التى عنوانها : « القوة عن طريق البهجة » فقد كانت مثلا طيباً على صحة أمة وقوتها .

سولتر : ولكنهم خسروا الحرب ، أليس كذلك ؟

سكنر : حين ذكرت برنارد شو ، يا تنى تذكرت والدى أوتيس سكنر ، فقد توفى فى الخامسة والثمانين ، ولكن بنيته كانت بنية رجل فى الستين ، ولم يمارس فى حياته رياضة ما على نحو منظم ، ولكنه كان يمشى مسافات طويلة ، إلا أنه كان صخاباً شديد الحماسة ، فأتاح ذلك تمريناً عظيما لحجابه الحاجز ، وأظنه كان مثالا كاملا للقوة المركبة فى الجسم .

روبنسن : لعل غدته النخامية كانت قوية ، فهى رأس الغدد التى تسيطر على ضروب النشاط فى البدن . فإذا كنتِ ممن أنعم الله عليهم بغدة نخامية قوية ، بلغتِ الخامسة والثمانين وأنتِ موفورة القوة والعافية . أما إذا كانت غدتك ضعيفة ، هلكتِ فى الستين .

كلويت : وهى تلعب الجولف !

روبنسن : أتوافقين يا مس سكنر ، الكاتبة دوروثى باركر حيث تقول : إن الألعاب الرياضية تستنفد خير دم القلب ؟

سكنر : يشقُّ علىَّ أن أجيب دون أن أصور لكم خاتى تصويراً غير صادق . ولست أدرى كيف أعرب عما أريد ، فقد قال أحدهم إن اللاتينيين عشاق ضعاف القلوب ، وأظن — وكلامى نظرىٌّ محض — أن أكثر الرياضيين كذلك . ويسرنى أن يبين لى مستر تنى أنى مخطئة (ضحك) .

تنى : إذا كان لى أن أجيب عن اتهام مس سكنر للرياضيين ، فكل ما أقوله هو أنها لم تسمع — على ما يلوح لى — باسم « هارى جريب » ، فقد كان ملاكما عظيما وعاشقاً عظيما أيضاً . فثلاث من الغوانى كن ينتظرنه دائماً عقب كل حفلة .

كلويت : لو لم يفرط الناس فى الأكل لما اشتدت حاجتهم إلى الرياضة .

روبنسن : قال لى طبيب ذات مرة ، إن خير رياضة للنجاة من البدانة ، هى أن تضع يديك على حافة المائدة وتدفع كرسيك إلى الوراء ، وتقوم عن طعامك قبل أن تشبع .

سكنر : ليس ذلك رياضة ، إنمـا هو خلق متين .

روبنسن : ما رأيك يا جين فيما أسـند إلى هتشنز رئيس جامعة شيكاغو من قوله : « حين أحس بميـل إلى الرياضة ، أستلق على الفراش حتى يذهب عنى ذلك الإحساس » .

تنى : إن هتشنز يعبر عن رأى ٢٥ إلى ٥٠ فى المئة من الكبار الذين يمنعهم الكسل عن الرياضة .

سكنر : كثيرون ينزعون إلى الرياضة ، لأنهم يظنون أنها تنفعهم ، وطلب النفع هو أضعف البواعث على عمل ما . وأنا لا أصاب بعسر الهضم إلا حين آكل ما يسـمونه « الأطعمة الصحية » من أجل أنها تنفعنى . وأنا أمشى لأنى أحب المشى لا لأنه يفيدنى ، وإن كنت أتمنى فى سرى أن يفضى المشى إلى تخفيف لحم أردافى .

روبنسن : هذا غرض محمود فى ذاته .

سكنر : شكراً يا مستر روبنسن .

كلويت : ترى هل أثبت أحد من الناس أن هناك صلة بين الرياضة وطول العمر ؟

سولتر : لقد حاول ذلك عشاق الرياضة والمدمنون عليها ، ولـكن الناقد المسرحى نيثن ينكر عليهم مزاعمهم ويقول : « انظر إلى الحيوان ، فأكثره لا يمارس رياضة ما ، وأما النوع الذى يمارسها فأقصر الحيوان عمراً . فهذه السلحفاة ، أبلد حيوان على سطح الأرض ، وهى أطول الحيوان عمراً — تعمر من ٢٠٠ سنة إلى ٣٠٠ سنة ، والفيل الكسول يعمر من ١٥٠ سنة إلى ٢٠٠ ، أما الإوَزّ العراقىّ الذى يتهادى تهـادى المترفين فيعمَّر إلى المئة ، وأما الكلب الذى لا ينى عن الرياضة فيموت فى الخامسة عشرة ، والأرنب البرية تموت فى الثامنة .

تنى : ولـكن ذلك لا ينطبق على الناس ، فقـد أسفر بحث خمس آلاف من الذين اشتهروا بالرياضة أيام طلب العلم فى الجامعات أنهم كانوا أطول أعماراً وأصح أبداناً من زملائهم الذين لم يمارسوا لعبـة رياضية ما ، وأما الذين تفوقوا فى أكثر من لعبة واحدة فكانوا أصحهم بدناً وأطولهم عمراً ، فلنتلع عن المغالطة . وكلنـا يعلم أن الخصر الرقيق أدل على الصـحة من الكرش الـكبيرة ، وكلنا يعلم أن القد المشوق السـوىّ خير

من الأكتاف المقوّسة والظهر المنحنى، وأنه خير للمرء أن يجيد هضم طعامه من أن يستعين على الهضم بحبوب، وأن النوم ملء الجفون خير من الأرق، وهى جميعاً غايات تفضى إليها الرياضة المتزنة.

روبنسن: وهل لك يا تنى أن تقول لنا أية رياضة تؤثرها على جميع ضروب الرياضة؟

تنى: المشى مسافات طويلة. وإنى أنصح بأن يكون المشى فى أرض غير مستوية. صعّدوا فى الآكام واهبطوا فى الأودية، وامشو فوق الصخور واعبروا الوهاد، لأن ذلك يمرّن العضلات التى لا تنتفعون بها حين تمشون فى الأديم المنبسط.

كلويت: وكيف تجنى من الرياضة أكبر نفع فى أقصر زمن؟

تنى: العب تنس، أو اعمد إلى السباحة.

الجميع (فى صوت واحد مرح): نعم السباحة.

روبنسن: يلوح لى أن سولتر يتحرق شوقاً إلى الفراغ من المناقشة.

سولتر: وخلاصة القول هو ما أثبته ريموند برل الأستاذ فى جامعة جونز هبكنز، من أن لطول عمرك وسلامة بدنك، أوثق صلة بعمر أسلافك وصحتهم.

تنى: ثم إياكم والتدخين!

روبنسن: الأمر أكبر من هذا. فكل ضروب الرياضة والغذاء وصحة الأسلاف لا تجدى عليك ذلك الاتزان النفسى المقترن بالبشاشة، فهو خير درع توقيك عوادى الأمراض والأسقام.

مهمة فادحة!

كتب الأستاذ ولتر بتكين ذيلا لكتاب «أثر السلم والحرب» فجاءت فيه العبارة التالية: «بينما كان مؤلفو هذا الكتاب يصححون تجاربه فى مارس ١٩٤٥ عين الجنرال ديجول لجنة مؤلفة من ثمانية أعضاء ليضيفوا اثنى عشر مليون طفل إلى سكان فرنسا فى السنوات العشر التالية».

انتفع بتجاربى

لا تتردد

ستيفان زفايج

كان بين الطلاب فى جامعتنا بفينا شاب وسيم فى السادسة عشرة ، ذكى مجتهد طموح دمث الأخلاق ، فكان أرجى الطلاب جميعاً لمستقبل باهر . فأطلقنا عليه اسم «مترنيخ» السياسى النمسوى العظيم ، لاقتناعنا بأن أمام هذا الفتى حياة حافلة بالمجد . وما كان يسوءنا منه سوى أناقته ، فقد كان يدخل الجامعة دائماً فى حلة حسنة الكى وربطة متقنة العقدة . وإذا كان الجو ماطراً جاء به سوّاق أبيه فى سيارة فخمة . ومع ذلك كان فتى رضى الخلق لا كبر فيه ولا غطرسة ، فأحببناه جميعاً .

وذات صباح ظل مقعده فى الفصل خالياً ، فلما آن وقت الغداء عرفنا السر . ففى الليلة السابقة ألقى القبض على والده ، فقد كان مدير عمل مالى كبير قام على الاحتيال ، فانفضح أمره وخسر ألوف من الناس ما ثمّروه فيه من مال قليل ادّخروه . ونشرت الصحف أخبار الفضيحة بحروف ضخمة ، وصور المجرم وصور أسرته أيضاً .

فأدركنا لمَ امتنع صديقنا المسكين عن الحضور إلى الجامعة ، فقد منعه الخزى .

وظلت الصحف أسبوعين كاملين تنشر تفصيل احتيال أبيه ، وظلّ مقعد مترنيخ خالياً .

وفى صباح يوم من الأسبوع الثالث تسال مترنيخ إلى الحجرة واتخذ مقعده وفتح كتابه ، وظل ساعتين مُشيحاً بوجهه عن بقية أصحابه .

فلما دق جرس الاستراحة القصيرة ، خرجنا كدأبنا إلى الرواق ، ومضى مترنيخ إلى آخره ووقف وحده وقد ولى الطلاب ظهره ، وجعل ينظر من النافذة كأن فى الشارع شيئاً يستأثر بعنايته . وقد فهمنا أن الفتى المسكين إنما فعل ذلك ليجتنب وقوع عينيه فى عيوننا ، وأنه يحس وهو واقف هناك بوحشة عظيمة .

وما كدنا ندرك الألم الذى يقطع نياط قلبه من جراء عزلة فرضها على نفسه ، حتى خمدت سوْرة ثرثرتنا وضحكنا . فمن الواضح أنه كان ينتظر يداً تمدّ إليه بالصداقة والود . ولكننا ترددنا لأننا لم نعرف كيف نفعل ذلك دون أن نذلّ عزة نفسه . ولم يجرؤ أحدنا على أن يخطو الخطوة الأولى .

وبعد دقائق كانت كأنها دهر طويل ، دعانا الجرس إلى العودة إلى الفصل ، وإذا « مترنيخ » ينقلب عائداً إلى مكانه دون أن يرمقنا بنظرة . كان الدم قد ذهب من شفتيه المزمومتين حين جلس فى مقعده

وفتح كتابه وهو يرتجف . وقد ترك الفصل فجأة بعد فترة الصباح ، فلم يره أحد منا ، ولا أتيح لأحدٍ أن يحدّثه .

وشعرنا بقبح ما ارتكبنا ، فجعلنا نتدبر كيف نستطيع أن نصلح ما فسد ، ولكن الفرصة كانت قد سنحت لنا فلم نغتنمها . ففى الصباح التالى كان مقعده خالياً ، فسألنا عنه فى داره فعلمنا أنه حين عاد من المدرسة أمس ، قال فجأة لأمه إنه قد عزم أن لا يمضى فى دراسته . وقد غادر ڤينا من فوره ليعمل فى مستوصف فى بلدة صغيرة . ولم نره بعد ذلك .

ولو استطاع أن يتم دراسته لكان خليقاً أن يتفوق علينا جميعاً فى ميدان الحياة . وليس ثمة ريب فى أن ترددنا فى مواساته ومجاملته ، كان له أثر عظيم فى انهيار حياته . ولو قلنا كلمة واحدة ، أو لو كنا مددنا إليه سبباً من المودة ، لكان ذلك خليقاً أن يقوى عزمه على احتمال ما أصابه .

لم يكن يعوزنا الإدراك أو الاهتمام أو حسن النية يوم تخلينا عنه فى الساعة الحرجة ، بل كانت تعوزنا الشجاعة . وإذا أعوزتك الشجاعة سُلبت القدرة على أن تقول الكلمة المجدية حين تكون الحاجة إليها أعظم ما تكون . وأنا أدرك أنه يشق على المرء أن يدنو من امرىء تتقطع نفسه حسرات من خيبة أصابته ، أو خزى أذلّ نفسه ، ولكننى تعلمت من هذه التجربة الأولى أنه لا ينبغى للمرء أن يتردد فى أن يطيع الهاتف الأول الذى يهتف به ، لأن الكلمة أو العمل الذى يدل على العطف إنما ينفع أصدق نفع فى ساعة العُسْرة والضيق .

وما فتئت منذ ذلك اليوم أذكر « مترنيخ » كلما لقيت امرءاً يستبد به شعور الخزى أو اليأس ، فأتمثله واقفاً أمام النافذة يتوق إلى إشارة من أصحابه تنطق بالود ، ولكنه ينتظر بغير جدوى ، فيعيننى ذلك على أن أغلب التردد الذى يخامرنى ، فأتقدم بما فى طاقتى من عطف ومواساة قبل أن تفلت الفرصة وتفوت .

● من سمات الرجل المهذب قدرته على أن يتعظ بتجارب غيره لا بتجاربه هو وحده .
[ستيفان زڤايج]

جريمة كادت تكون تامة الإحكام ، لولا ...

شيء لم يكن في الحسبان

صموئيل هوبكنز أدمز

مختصرة من مجلة "ليبرتي"

وضع باسيل أمامه نص الخطة مكتوباً بخطه الدقيق المحكم . وقد تعود في أثناء دراسته العلمية أن يرسم الرسوم لكي يكون على بينة ويتجنب الخطأ . وكان على ثقة بأن رجال الشرطة سيواجهون الأمور التالية في غد :

حقائق ثابتة : في الساعة ٩ من صباح الأحد وُجد الأستاذ أدريان جول ، العالم الكيميائي ميتاً في معمله الخاص الملحق ببيته في نتلي بولاية نيوجرسي . سبب الموت ، الاختناق بالكلوروفورم . زمن الهجوم عليه ، الساعة ٩٫٦:٤ كما تدل ساعته التي انكسرت حين وقع . عبثت يدٌ بخزانة أوراقه ، ولكن لم يفقد شيء منها . أما سيارته المحفوظة في حظيرتها تحت المعمل فقد اختفت . وقد كان جول يعمل في معمله طوال الليل أيام السبت ، وكان يحظر على أيٍّ كان أن يقطع عليه عمله . وقد وجد الجثة خادمه الذي ذهب يدعوه إلى الفطور.

عواقب محتملة : قد توجد السيارة المفقودة فارغة فيما بعد في قعر نهر الهدسون قرب مصنع مهجور في ضاحية ينكرز ، ويكون الماء الجاري قد أزال كل أثر يدل على مرتكب الجريمة .

ولعلَّ باسيل حدَّث نفسهُ فقال : قد يكون من دواعي المتعة الذهنية في المستقبل أن تقارن الخطة خطوة خطوة ، بما تم فعلا. وقد يكون احتمال إخفاقها واحداً في مليون، ولكنه كفيل بأن يتغلب عليه ، فقد كان باسيل موقناً بأنه رجل قادر لا مثيل له في كل مليون من الناس

ومع ذلك فقد طرده جول الشيخ بعد سنوات قضاها في خدمته . ترى ماذا يفعل لو وجدت بعض صيغ جول الكيميائية في أوراقه ؟ ليس في وسع رجال الشرطة والنيابة أن يقيموا الدليل على تهمة توجه إليه.

ففي هذه الأوراق التي «استعارها» من العالم الشيخ كنز مدفون ، وهي تحتوي على كل ما يريد — تقريباً . أما الحلقة المفقودة فلا يمكن أن تكون إلا في معمل الشيخ الخاص . ومتى ظفر بالصيغة الكاملة

وبأسلوب العمل ، استطاع أن يبيعهما لأية شركة من شركات المطاط بمال وفير . وقد عقد باسيل عزمه على أن يظفر بهذا المال .

الساعة الخامسة من مساء السبت . لقد حان الوقت ليخطو خطوته الأولى .

ذهب إلى عيادة الطبيب دورمان التى تحت شقته ، ووصف له كيف أخذه الدوار وضيق النفس فجأة ، فشخص الطبيب حالته بعسر هضم سببه توتر الأعصاب ، ووصف له دواء .

فشكر الطبيب وقال : « خشيت أن تكون العلة فى قلبى » (وقال فى ذات نفسه : « التدبير رائع ») ثم اتخذ مقعداً فى مقدمة سيارة عامة ، فحين بلغ طرف جسر الهدسون من ناحية نيوجرسى ، رأى العمال يمدون حبال المصابيح الملونة .

وسمع باسيل سائق السيارة يقول « الليلة » فرد عليه بائع التذاكر : « الليلة طبعاً » .

وخرج باسيل من السيارة فى نيويورك ، وركب قطاراً إلى باسايك . وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل حين وصل إلى مقر جول سائراً على قدميه . كان المعمل مضاء ، وكان باب حظيرة السيارة مفتوحاً . هذا من محاسن الاتفاق ، فليس عليه بعد ارتكاب الجريمة إلا أن يدفع السيارة دفعاً هيناً فلا تحدث صوتاً ، ثم ينحدر بها ولا يدير محركها إلا بعد أن يبعد عن كل أذن يُخشى أن تسمعه .

فصعد السلم وقرع الباب وقال :

« أنا باسيل يا أستاذ » .

ففتح الشيخ الباب وقال : « ماجاء بك ؟ »

فقال باسيل : « أنا الآن بلا عمل ، أفلا تتيح لى فرصة أخرى ؟ »

فصاح به جول : « أفى مثل هذه الساعة ؟ أصبحت بخير » .

وولى الشيخ راجعاً إلى عمله ، فهوت الضربة عليه .

لبس باسيل قفازيه ، وغمس قطعة من القماش وعصب بها أنف الرجل المطروح وفمه . ثم أخذ يبحث متلهفاً عن صيغة التركيب حتى وجدها واستنسخها . ثم أخرج ساعة الشيخ الميت وضبطها على الساعة ٦٫٤٩ ثم حطم زجاجتها .

ثم أجال بصره فى المكان ، ثم أوصد بابه على الجريمة الغامضة التى أحكم تدبيرها .

ودرجت السيارة حين دفعها ، ثم عاج بها فى الطريق العام . كان قد قدر فى نفسه أن يبلغ بها الجسر ، فإذا عبره اتجه شمالا إلى نيويورك حتى يبلغ مصنعاً مهجوراً ، ثم يدع السيارة تنزلق حتى تغيب فى جوف

النهر، ثم يمم شطر بيته، فإذا كانت الساعة السابعة استدعى الطبيب بالتلفون:

« قلبي يا دكتور. لقد ساءت الحالة. أرجوك أن تحضر من فورك ».

ثم قال لنفسه: الساعة السابعة. أنا في بيتي وقد مضى على الجريمة ١١ دقيقة، وبيني وبينها ٢٦ ميلا، كما سيرى رجال الشرطة عند المعاينة. دليل نفي رائع!

وتلألأت أمامه أنوار الجسر الساطعة، ورأى أضواء مختلفة الألوان ترسل أشعتها على طائفة من الناس احتشدت عن مدخل الجسر، تبين منهم حارس الجسر، وجندياً وجماعة من أهل البلاد. فخفف من سرعته ومد يده ليدفع رسم العبور، وإذا يد تأخذ يده وتهزها مسلمة، وعلا الهتاف والتصفيق، وسطعت بارقة من الضوء لتصويره كادت تعشى عينيه، ثم أخرى، ثم ثالثة.

« ما اسمك؟ وما عنوانك؟ » هكذا سأله رجل على ثغره ابتسامة، كان هو الموظف الذي سجل رقم السيارة. « ما معنى هذا كله؟ وماذا يمكن أن يكون معناه؟ » أو هذا الصوت الأجش الذي سمعه يسأل، هو صوته هو؟

وجاءته أصوات مهنئة من كل ناحية فيها جواب ما سأل عنه، فزادت ذهنه المكدود اضطراباً. وجعل يردد: المليون؟ ما المليون؟ وما شأني أنا بهذا المليون؟ فبين له الموظف جلية الأمر، فتذكرة العبور التي أخذها هي التذكرة المليون، وغداً يحتفل بتقديم الهدية إليه، وهي ساعة من الذهب.

غداً ستظهر صورته في جميع الصحف، صورة القاتل في سيارة القتيل، والسيارة المليون، واحتمال إخفاته واحداً في المليون!

وقد وجدت سيارة الأستاذ جول غارقة في جوف نهر هدسون كما دبر باسيل. ولم يدخل على الخطة سوى تعديل طفيف: هو أن باسيل نفسه كان في جوفها.

سرعة خاطر

كتب ويلسون مزنر مرة رواية مسرحية، وظفر في إخراجها بمعونة من غنية عجوز، وفي أثناء التجربة سألها دون أن يتروّى، عن عمرها، فجاءه الرد بارداً كالنصل اللامع: « ولماذا تريد أن تعلم؟ ». فأدرك ويلسون على الفور هول ما فعل، وأنجده خاطره السريع فقال: « يا سيدتي العزيزة، إنما أردت أن أعرف العمر الذي تكون فيه المرأة في أوج فتنتها ».

الحيوان أخو البشر ...

إن لطائر البطريق أسلوباً فى الغزل لا يحيد عنه . فإذا أراد أن يتودّد إلى حبيبته ، اختار حصاة وتقدم إليها بزهو وحنان ووضعها تحت قدميها . فإذا التقطتها فقد رضيت به زوجاً لها ، فإذا لم تعبأ به تركت الحصاة ولم تمسسها . وعندئذ يعود هو فيلتقطها وينصرف ويمضى بها إلى أخرى .
وقد حدث ذات يوم فى المنطقة المتجمدة الجنوبية أن جاء بطريقٌ عجوز إلى الدكتور روبرت مرفى أحد علماء متحف التاريخ الطبيعى فى أمريكا ، وألقى تحت أقدامه غطاء علبة من الصفيح ، فرفعها الدكتور وانحنى بخشوع للبطريق ، ثم افترقا على عهد من الصداقة والودّ .

[روى تشابمان آندروز فى كتابه « هذا السيار العجيب »]

تبعت ذات صباح كلب صيد كان عندى فى مسيره فى مستنقع على ساحل البحر ، فرأيته يمرُق منطلقاً فى أثر راكون عجوز ، فدخل الراكون بركة صغيرة ، وسبح الكلب وراءه يطارده . فما كاد الراكون يبلغ منتصف البركة حتى اعترضتهُ خشبة يغمرها الماء ، فوقف عليها لحظة ، ثم تلفت تلفُّت الحذِر ، واستقبل الكلب بوجهه رابط الجأش . فلما دنا منه مطارِدهُ ، مدّ الراكون يديه الدقيقتين السوداوين ، ووضعهما برفق على رأس الكلب ، ثم أغرق رأسه تحت الماء ، وظل ممسكا به وهو على هذه الحال .

فارتفعت قوائم الكلب الخلفية وذيله فوق الماء ، وجعل يتضرّب حتى تملص منه ونجا ، وعاد إلى الشاطئ زائغ البصر مبهور الأنفاس يكاد يختنق .

[أرشيبولد رتلدج فى كتابه « حياة الحيوان فى الجنوب »]

فى حديقة الحيوان بمدينة سانت لويس بَعَام صغير (شمبانزى) قد بدأت تسقط رواضعه (أسنان اللبن)، فتخلخل أحدها وآلمه ألماً شديداً وخاف البَعَام الصغير أن يختلعه. فأحاط به أترابه وهم يتوجعون لبلواه كما يتوجع الأطفال الصغار، وحاولت طائفة منهم أن تخلع له سنه، ولكنها عجزت عن أن تقبض عليها. وأخيراً جاء أحد مراقبى الحديقة بكلاّبة وقدمها لأحدهم. فلم يلبث بعد قليل من التجربة حتى عرف كيف يستعملها. وسواء أصدقت أم لم تصدق، فقد نجح الصغير فى خلع السن بها. فأقبلت جماعة البعام كلها على السن تفحصها، وكانت هذه السن فيما ترى جماعة البعام، هى التى جرّت على أخيهم آلامه، فصاحوا بها غضاباً وأخذوا يعضونها ويدوسونها بأقدامهم. ولقى المراقب عنتاً شديداً حتى استخلصها من بين أيديهم.

[حديقة الحيوان فى سانت لويس]

إحدى دور الصنعة بالهند أنثى فيل كانت تجرّ جذْعاً عظيما من الخشب، وإلى جوارها صغيرها يماشيها. وكان الجذع مشدوداً إلى خطافين معلقين بسلسلتين مربوطتين فى طوق على عنق أنثى الفيل. فلما بلغت منحدراً جعلت تصعد فيه جامعة كل قواها لتجر الجذع، وإذا صغيرها يفك أحد الخطافين، فانكبت أمه على وجهها، ففرّ مذعوراً إلى غابة قريبة بأسرع ما يستطيع. فلما استجمعت الأم شتات نفسها انطلقت ووراءه شائلة بخرطومها فلحقته. ولم يلبث رجال دار الصنعة أن سمعوا عويل الصغير وقد أهوت عليه الأم بخرطومها تضربه مرة بعد مرة، وأخيراً عاد وهو يمشى وراءها ذليلا منكسراً ممسكا ذيلها بخرطومه.

[صمويل دريه فى «ذى أمريكان مجازين»]

مغامرات مسلية
لمعلن أمريكي في الصين

أربعمئة مليون زبون

كارل كرو

ذهب كارل كرو إلى الصين منذ ربع قرن مراسلا للصحافة المتحدة ، وبقى هناك ليدير وكالة إعلانات خاصة به . وقد شاهد الطبيعة البشرية الشرقية فى صور كثيرة ممتعة ، من الفتيات الحديثات العهد بالظهور فى المجتمع إلى كناسى الشوارع ، بل لقد عرف ما يمنع الصينيين أدبهم أن يقولوه عن خصائص الأخلاق الغربية .

وهذا الكتاب « أربعمئة مليون زبون » درس ممتع للطبيعة البشرية ، قالت عنه التيمس اللندنية : « كتاب فذ ، لأن كثيراً مما فيه حصيف عملى ، وكثيراً منه فكاهة رائقة . والقارىء الذى يبغى الاستنارة والمتعة ، يخسر إذا أهمله » .

آنسة الصين تستكشف ساقها

لما قضى تطور الأزياء النسوية بعد الحرب ، برفع كفة الثياب ، برزت نساء المستعمرة الأوربية فى شنجهاى فى مجاول لا تتجاوز الركبة . وأتيح للفتيات الصينيات أول فرصة لرؤية هؤلاء النسوة الأجنبيات وكيف يبدون من الركبة فنازلا ، وشاهدن سيقان الفرنسيات الحسنة ، وسيقان الإنجليزيات والأمريكيات ، وهى على العموم أقل فتنة ، وسيقان الألمانيات والإسكندناويات الغليظة ، وسيقان اليابانيات الدميمة الفظيعة ، وأدركن فجأة أن سيقانهن الجميلة جداً قد طال إهمالها .

وكانت شركتى التى أنشأتها فى شنجهاى للإعلان ، تحث فى ذلك الوقت على اقتناء نوع إنجليزى جيد من الدبلان ، فخطر لنا أن الفتيات الصينيات قد يقصرن ثيابهن فيقل ما يشترين من الدبلان تبعاً لذلك . ولم يسرنا هذا الخاطر ، غير أنه حدث لحسن حظنا أن مبتكرى الأزياء فى شنجهاى اهتدوا إلى حل وسط ، فاحتفظوا بالمجاول الطويلة المحبوكة المألوفة ، ولكنهم شقوا الجانب الأيسر إلى ما فوق الركبة ، فصارت الخطوة بعد الخطوة تبدى حسن الساق ، وقد أقام الآباء والأزواج الغيورون القيامة على هذا الزى الفاضح ، ولكن الفتيات بلغ من رضاهن عنه أنهن فى الموسم التالى شققن المجاول من الجانبين ، وظل هذا هو الطراز المألوف منذ ذلك الحين .

وبادرنا لمصلحة زبوننا الإنجليزى إلى نشر أول كتاب للأزياء رأته الصين ، وأظهرنا مبلغ فتنة هذا الطراز الذى ابتدعته شنجهاى للثياب المتخذة من الدبلان ، ونجح الكتاب أيما نجاح ، وطبعنا منه عدة طبعات سنوية ، لا لمدن الصين وحدها بل للجاليات الصينية أيضاً فى جاوة وسيام . وحرصنا دائماً على تصوير المجول المشقوق ، وإنى لفخور بأننا بهذه الوسيلة أدينا واجبنا فى إظهار أجمل ساق فى العالم .

وكانت شركتى أيضاً أول شركة أعلنت عن أحمر الشفاه والقَشور (دهان يصفو به الوجه) فى الصحف الصينية قبل نحو خمسة عشر عاماً . وسرعان ما تبينا أن المتزوجات لا الفتيات خير زبائن الأدهان . وقد تبينت الزوجات الصينيات منذ عدة قرون أنهن إذا تزين وتجملن ، فإن أزواجهن لا يأبون أن يجيئوا بالخدم لأعمال الطهى والتنظيف . وكانت نتيجة ذلك أن صارت كل امرأة ،

غنية أو فقيرة ، لها أدوات زينتها ، حتى العامل الذى يجر « الركشا » ترى لزوجته العَوان شيئاً من القشور والأحمر . وتنفق الصينيات على الأدهان وما إليها من دخل الأسرة أكثر مما تنفقه أى جماعة أخرى. ومما يزيد فى غرابة هذا الأمر ، هذا الفقر المدقع الذى تتمرّغ فى حمأته الجماهير ،وهذا الجهاد الدائم فى سبيل العيش بأضأل الموارد .

كل شىء له فائدة

وفى كل مدينــة فى الصين ، يجد المرء أصغر دكان للتجزئة على وجه الأرض ، وأقلها بضاعة . والبضاعة تعرض عادة على حصير مربع من أعواد الخيزران ، ويخيل إليك أنها أقل ما يمكن تصوره نفعاً ، فمن مسامير ملتوية إلى بزَال صدىء ، ومن أزرار غير صالحة ، إلى أطباق مكسورة . فكأنها « دكان لعب » للأطفال ، سوى أن اللاعبين هنا شيوخ هرمون .

وفى كل صباح جميل يدلف هؤلاء التجــار العتيقون إلى أركانهم المألوفة ، ويجلسون فى الشمس طول النهار يرقبون الجماهير،ويثرثرون مع منافسيهم من التجار. ويتفق مرة بعد فترة طويلة أن يبيعوا شيئاً ، فقد يجد بعضهم أن به حاجة إلى إحــدى هــذه النفايات المعروضــة ! فيتاح للشيخ التاجر أن يتحرك ويصنع شيئاً ، كما ترى فى بلاد أخرى من العــالم شيوخاً يلعبون الجولف ، أو يذهبون إلى مكاتب لم تعد بها حاجة إليهم .

أما فى الدكاكين المنتظمة ، فإن الغلمان الذين يعملون فيها مساعدين قلما يتناولون أجوراً ثابتة ، ولـكن هذا ليس معناه أنهم يعملون بغــير أجر ، فإن العادات المقررة تقضى بأن كل ما يدخل فى الدكان غير البضاعة نفسها ، يعــد رزقاً للمساعدين . وهذا يشمل الصناديق والبراميل والأقفاص، وغيرها من مواد التعبئة ونماذج البضائع ، وكل ما هو مجعول للإعلان . وصناديق التعبئة هى أنفس الذخائر ، فتنزع المسامير بعناية ، وترتب الأجزاء وتباع . ولما كان كل هــذا مستورداً ، فإن له ثمناً طيباً . ويرى الصينى الذى يعيش فى الداخل أن من السخافة أن يكسر صندوق تعبئة ليوقد به ناراً ، كما أن الذين يعيشون فى أرض يكثر فيهــا الخشب يكون من السخافة أن يكسروا قطع الأثاث . وقد وجد كثيرون من رجال الصناعة الذين حاولوا أن يقتصدوا فى صناديق التعبئة ، أن هذه التجربة غالية ، فإنه إذا كان فى الدكان نوعان من السردين أحدهما فى علبة قيمتها ٧ قروش ، والآخر فى علبة قيمتها ٣ قروش ، فإنه لا خلاف على

أى النوعين يفوز بمجهود العمال جميعاً فى الدكان لبيعه .

والصينيون بفضـل حصافتهم المستفادة من الحاجة إلى استنقاذ كل مليم، لا يستطيعون أن يفهموا كيف يستغنى الإنسان عن أى شىء ولو كان نموذجاً للإعلان . وأتذكر حادثة محزنة ، خلاصتها أن أحد عملائنا ، وهو يصنع القَشور والعطور الرخيصة ، استخدم فى شنجهاى الأساليب التى استخدمها لترويج بضاعته فى أمريكا . وكانت الطريقة أن يدعو كل قراء الإعلان إلى الحضور بالبطاقة المنزوعة من الإعلان ، فيعطى كل واحـد نماذج صغيرة من القشور والعطر والصابون ومعجون الأسنان . وقد أصر على الرغم من نصحى له ، على الإعلان عن هذه الهدية ، غير أنى تعمدت أن أنشر الإعلان فى أقل الصحف المحلية انتشاراً . ومع ذلك ، وقبل أن يفتح عميلنا دكانه فى صباح اليوم التالى ، احتشد جمهور كبير ، وبعد ساعة سدّ الشارع ، ولم يستطع العمال أن يوزعوا النماذج بسرعة كافيـة ، فساد الهرج ، وقذف بعضهم زجاج نافذة بحجر ، ودعى الشرطة لإخلاء الشارع ، وأخيراً قدم مدير المحل إلى المحكمة فقضت عليـه بغرامة لأنه عطل المرور .

ومن المستحيل أن يتصور المرء شيئاً ليست له فى الصين قيمة تجارية ، وأسخف ورَقة حساب يمكن أن ينتفع بهـا على نحو لم يكن يخطر على البال ، واللف أكثر ما تستعمل له ، وقد تلصق بغيرها فتصبح قَرْشَـةً للحذاء . وهناك قصـة قديمة فحواها أن هذا هو السبب فى سعة انتشار المطبوعات التى توزعها الجمعيات الدينيـة ! فإذا كانت النشرة مطبوعة على وجه واحد، فإنها تكون صالحة للكتابة عليها ، أو يتخذ منها ظرف حسن . والعلامات المعدنية نفيسة جـداً ، ولا سيما تلك المطلية بالميناء التى يستعملها المعلنون البريطانيون فى سيارات الركاب بلندن ، ويفرضون من أجل ذلك أنها صالحة للاستعمال فى أية ناحية أخرى من العالم . وهذه تصنع منها مواقد صغيرة جيدة ، وما زال دكان فى سوشو يبيع منذ سنين ، مواقد من هذا النوع مصنوعة من لوحات إعلانات الوسكى الأسكتلندى .

ومعظم الأجانب يرمون السيجارة وقد بقى منها نصف بوصة ، ولـكن الصين لا تسمح بهذا التبذير ، فترى عيون الشيوخ على الفضلات المطروحة على الرصيف.. ، وفى أيديهم عصى فى طرفها سن يلتقطون به الأعقاب النفيسة ويضعونها فى علبة ، فإذا جاءت أيام المطر ، وتعطلت أعمـال الاستنقاذ

هذه ، قطع الشيوخ الأطراف المحروقة من السجاير ، وأخرجوا الطباق (الدخان) من الورق الملفوف عليه ، وصنعوا بأيديهم لفافات لها سوق رائجة . وتعد هذه — إذا اعتبرنا الدخل الصافى — أربح تجارة للسجاير فى العالم ، ومن مزاياها أنها تنظف الشوارع لنا أيضاً .

وكل بيت أجنبى يزود خادمه بعدد وفير من المطروحات . وقلما تكون الثياب القديمة أقدم من أن تصلح للبيع ، فإذا كانت كذلك فإن الثوب تفتق شقاته التى يتألف منها ويعاد لفقه ليتخذ منه أى شىء ، من قميص إلى معطف . وقلوع كثير من السفن التى تعمل على نهر يانجتسى مصنوعة من غرارات الدقيق . ولبعض العلب قيمتها فى ذاتها ، وبعضها يذاب لحامه ، ويتخذ من جوانبه ألواح مستطيلة نافعة يمكن استعمالها لتسقيف البيت . وحتى قطع الزجاج المكسور لها قيمة ، فإن النجارين يستخدمون هذه القطع فى صقل الخشب .

وخادم بيتنا يفحص سلة المهملات كل يوم باحثاً عن صفحات قديمة رميتها فيه ، فإذا كنت قد كتبت على وجه واحد منها ، فإن الورق يباع للطلبة . والأرجح أن أعقاب أقلام الرصاص تلقى رواجاً فى هذه السوق نفسها . وتباع أوراق اللعب الملوثة للعمال الذين يجرون « الركشا » فيشطرونها شطرين ، لتكون لهم من كل رزمة رزمتان ، يتسع لها جيب السترة الصينية . ولعلك لاحظت أن كل ورقة من أوراق اللعب يمكن أن تقطع نصفين دون أن تفقد شيئاً من فائدتها .

وفى أثناء الهجوم اليابانى على شنجهاى سنة ١٩٣٣ ، صدر الأمر إلى العمال الذين يكنسون شوارع هنج كو التى كانت تضرب بالمدافع بأن يتركوا الأماكن المهددة ويؤدوا واجباتهم فى مكان آمن ، ولكنهم ثبتوا فى مراكزهم القديمة ، وكلما سكتت المدافع اليابانية فترة ، خرجوا زرافات ومعهم المقشات والسلات لجمع الغلافات النحاسية الفارغة وغيرها مما تخلفه الحرب الحديثة ، وبعد انتهاء القتال ببضع ساعات خرجت جماعات إلى منطقة الحرب تبغى الحصول على شىء من هذه التحف ، فلم تجد ولا قلامة ظفر ، فكانت الحرب فى شنجهاى من هذه الوجهة أنظف حرب دارت على الأرجح .

وميناء شنجهاى من أشد الموانى ازدحاماً وحركة ، ولكنه أيضاً من أنظفها ، فلا تجد على سطح الماء شيئاً مما يطفو أو يطرحه البحر فى الموانىء الأخرى ، ولا ترى أقفاص فاكهة محطمة ، أو برتقالات عفنة أو غير ذلك من النفايات . فإن كل هذه النفائس

تلقطها من الميناء الزوارق التى تعمل فيه ، ونواتى كل زورق هم صاحبه وامرأته والأطفال الصغار الذين لا يستطاع الانتفاع بهم على البر . وتتجه همة الأسرة كلها إلى إنقاذ المطروحات فى البحر ، وهم يتقنون عملهم إلى حد جعل ميناء شنجهاى يخلو من طيور البحر التى تسمن على شواطىء أسكتلندة ولكنها تموت جوعاً هنا .

ولا تكاد سفينة تجارية أو حربية تلقى مراسيها فى شنجهاى حتى تجد زورقاً أو أكثر متربصاً فى مكان صالح متهيئاً لالتقاط كل ما تطرحه السفينة . ومن المعتاد فى الأسطولين البريطانى والأمريكى أن يؤجل تنظيف المخازن يوما أو يومين قبل الوصول إلى شنجهاى ، فيؤدى هذا إلى بقاء مقدار مدهش من الزجاجات الفارغة والعلب والطعام الفاسد ، ويحتفظ البحارة بثيابهم القديمة ليضيفوها إلى هذه الهبات ، وبذلك يدخرون ثروات لهذه الطيور الآدمية فى شنجهاى .

ويرقب بحارة السفن الحربية السباق إلى سفنهم باهتمام شديد ، ويكافئون الفائز بأنفس الذخائر ، بإعطائه خير الفضلات التى يستغنى عنها ، ولكنهم لا يسمحون له بالاستئثار بكل شىء ، فبعد أن يطرح مُلقى الفضلات فى البحر مقداراً عادلا كافياً منها ، يؤمر بأن يذهب ليتيح لسواه فرصة ، وتظل السفينة من ساعة وصولها إلى ساعة خروجها محاطة بهذه الزوارق الصغيرة ، فلا يفوتها شىء . والزجاجات والعلب تباع بسرعة ، وفضلات الطعام تأتى للخنازير والدجاج لتسمن ، فكل شىء فى الصين له قيمة ، ويمكن تحويله إلى نقد .

كرامة "ماء الوجه"

وأنا أكتب هذا ، وخادم البيت يصقل النوافذ ، وهناك عدد من النوافذ يستطيع أن يشتغل بتنظيفها ، ولكنه اختار نافذة فى ركن الشرفة الطويلة لأراه كلما رفعت رأسى . فإذا خرجت أتمشى فإنه يترك النوافذ ، لا ليتسكع ، فإنه يجب أن يظل مشغولا من الصباح إلى وقت النوم وأحياناً إلى ساعة متأخرة من الليل ، بل ليلتمس لنفسه عملا آخر كمسح بلاط المطبخ ، حتى إذا عدت شرع ينظف النوافذ مرة أخرى ، أو ينفض التراب عن أثاث الشرفة الذى نظف تنظيفاً جيداً فى هذا الصباح . وإذا استحال عليه أن يجد عملا أراه وهو يقوم به ، فإنه يقطع أجذال الحطب بصوت عال .

وهو ليس بخادم جديد تحت الاختبار ، فقد طال مقامه معنا ، حتى ليتعذر علينا أن نستغنى عنه ، وهو يدرك هذا كما ندركه ،

ولكن أجداده تعلموا أن أجر العامل يؤدَّى بارتياح أعظم إذا قام به العامل فى حيث يراه صاحب العمل .

وكل من يدخل مكتبى يستطيع ، متى فتح الباب ، أن يعرف هل نحن مشغولون بإرسال إعلانات بالبريد أو لا ، فإذا كنا نفعل ذلك ، فإن النشرات تكون مكدسة ومعروضة فى حجرة الاستقبال . وإذا كنا قد تلقينا حديثاً صندوق ألواح الإعلان من لندن أو نيويورك ، فإن الصندوق يفتح بعض الفتح ، وبعض محتوياته تبدو بغير عناية ، وتكشف عن اسم الشركة التى نعاملها وعن منزلتها . وإذا جاء زبون مهم لزيارتى فى موعد متفق عليه ، فإنه يحدث دائماً تقريباً أن يكون الخدم خارجين فى صخب شديد ، وهم يتطرّحون تحت أحمال من البريد المرسل فى اللحظة التى يصل فيها الزائر

وقد حاولت زمناً طويلا أن أحمل العمال على استخدام مصعد البضاعة لمثل هذا العمل ، ولكنى لما ابتعت بعض الأثاث للمكتب ، مصنوعاً من خشب جديد أسود ، جىء به من المدخل الرئيسى للبناء ، وصعد به العمال أربع طبقات ، وجعلوا يقفون عند كل عتبة ويتلاغطون ، ولم يكن ينقصنا إلا المزامير والطبل ليكون الإعلان أتم . وقد أتيحت فرصة كافية للمستأجرين فى طبقات البناء الأربع للإعجاب بالأثاث ، والتكهن بثمنه ، وهذه الضوضاء والعلانية ، تكسبان العامل الصينى ثقة بنفسه وبالشركة التى يعمل لها .

وعلى ذكر هذا أقول إن « ماء الوجه » يحدث الترقيات وينظم الأجور والمرتبات ، وهى أمور معقدة فى أى مكتب . فإن ترقية موظف دون اتباع نظام الترقية يسبب « سواد وجه » لجميع من تخطتهم هذه الترقية ، فيشعرون بالظلم شعوراً قوياً . وتكفى ترقية واحدة من هذا القبيل للقضاء على انتظام العمل فى المكتب ، وكثيراً ما يحدث أن يرفض موظف ترقيته لأنه يعرف المنازعات التى ستثور حوله .

واتقاء « سواد الوجه » يخلق مواقف عجيبة حتى فى الشئون القومية . فلنفرض مثلا أن قائداً طموحاً قام بثورة على الحكومة المركزية ، ولكن الثورة قمعت ، ففى كلّ بلد آخر يسجن القائد الثائر ، وقد يعدم ، ولكن الصين لا يحدث فيها هذا ، لأن مثل هذا الإجراء الصارم خليق أن « يسوّد وجه » القائد ، حتى ليأبى ألد أعدائه أن يوافق على هذا . ومن أجل ذلك يمنح رتبة عالية ، ويعين لعمل ناء لا يخشى أذاه فيه ، كأن يكلف أن يقوم بدرس غواصات سويسرا ، أو زرع البطاطس

فى حديقة هيدبارك (*) . وهذا يحقق غرضاً سياسياً نافعاً جداً ، لأنه لا يخلق عداوات بين أنصار القائد المهزوم ، ويسهل الفوز بولائهم .

صرف الشياطين

لما انتقلنا إلى مكاتبنا الحالية منذ بضع سنوات، كان عمالنا معنيّين جداً بأن يتبينوا تأثير الأرواح وهل يكون حسناً أوسيئاً ـ وبعبارة أخرى هل يكون البناء بناء سعد أو نحس ـ وقد عرف الصينيون منذ قرون أن نهجاً ما يفضى أحياناً إلى النجاح ، ولـكنه فى أوقات أخرى ، وإن تماثلت الظروف ، يفضى إلى الإخفاق . ودرس الفلاسفة الموضوع،وانتهوا إلى أن مؤثرات السعْد أو النّحْس يمكن الإنباء بها سلفاً وتقديرها .

وقد تبين أن مكاتبنا الجديدة مجدودة . وليس هذا من المفاخرة أو التخمين ، وإنما هو سرد صريح للواقع ، فقــد قام بتقدير العوامل الحسنة وتقصيها خير من استطاع رجالنا الصينيون أن يستعينوا به من أصحاب المواهب ، وهو ضارب رمل أو مهندس يحسن حساب المؤثرات النفسانيــة ، وقد لقيته مصادفة ، لأن المفروض أنه يقوم بعمله فى غيابى ، ولـكن مهنته كانت من الغرابة بحيث بذلت جهدى لمعرفته،وكان أشبه بمعلم، وهو رجل كهل ، محتشم المظهر والملبس ، وقد قضى ساعات عديدة فى الطواف بالمكاتب ومعه المسطرة والبوصلة ، ولما انتهى كان رأيه حسناً ، وغير مواضع بعض المـكاتب، وعنى عناية كبيرة بمكتبى ، وكان الوضع الصحيح ، فيما أرى ، يقضى بأن يكون وجهى إلى نافذة ، وهو وضع غير ملائم لرجل ضعيف النظر ، فوجب أن نلتمس حلا وسطاً ، فصار خط المـكتب يمتد من الشرق إلى الغرب ، وكان هذا الوضع يجعل المـكتب مائلا إلى الحائط ، ولـكن المؤثرات الروحية كانت مكفولة بهذا الوضع .

وليس مكتبى بالوحيد الذى تسيطر عليه هــذه المؤثرات ، وإن كنت واحداً من القــلائل الذين يعترفون بذلك ، وأكثر الأجانب يسخرون من هذا. ولما كان الصينى لا يسيغ الزراية ، فإن مساعدى الأجنبى وزملاءه من الصينيين لا يذكرون له شيئاً عن هذا الأمر ، بل يكتفون بأن يرتبوا المـكتب ترتيباً يهيئ للمؤثرات الحسنة كل

(*) أدهش الجنرال يانغ فوشنج العالم باختطاف القائد الأعلى المارشال شيانغ كاى شيك ، وقد جاء الجنرال يانغ حديثاً إلى الولايات المتحدة مبعوثاً من حكومتــه لدرس « الأحوال العسكرية والاقتصادية » واعتمدت الخزانة الصينية لنفقات رحلته ٣٠٠,٠٠٠ ريال !

نجاح ممكن . وقد أخبرنى جار إنجليزى أنه ظل ١٥ عاما فى مكتب قليل النور سيء التهوية ، لأن مساعديه الصينيين رأوا أنه حسن الحظ .

وقد حدث ذات يوم أن زارنا رئيس قرية قريبة من شنجهاى لأمر خطير ، ذلك أننا كنا قبل عام قد أقمنا لوحا كبيراً فيه إعلان عن سجاير على مقربة من القرية ، فحاق سوء الطالع بالقرية ، وقلت المحاصيل ، وزادت الأمراض على المعهود ، ومات البعض . وقلق شيوخ القرية فدعوا ضارب رمل حاذقاً ، فوجد أن لوح إعلاننا هو مثابة الأرواح الشريرة ، وجاء شيخ القرية يسألنا أن نرفعها .

فاقترحت أن نطلق عدداً كبيراً من الصواريخ حول اللوح فتذعر الأرواح الشريرة وتهرب ، فراقته الفكرة ، واستشار ضارب الرمل فوافق على أن ما يساوى عشرة ريالات من الصواريخ يكفى لذلك . وكانت هذه أول تجربة لى فى طرد الشياطين ، فاعتزمت أن لا أدع عندى شيئاً من الجهد فى هذا الأمر . وفى وسعك أن تشترى عدداً مدهشاً من الصواريخ بعشرين ريالا ، وقد خرجت القرى جميعاً لتنظر إلى سخائى وتتعجب ، وكانت الضوضاء مهولة ، ولابد أن تكون قد ملأت قلوب الشياطين رعباً ففرت إلى بلاد أخرى ، ومهما يكن من ذاك فإنها لم تعد قط ، فقد ازدهرت القرية ولم تتلق بعد ذلك شكوى .

ولما عدت إلى وطنى منذ بضعة أعوام لم يسعنى إلا أن ألاحظ أنه قل أن توجد فى أمريكا بيوت — من البيت الأبيض فنازلا — مبنية بحيث تصرف الأرواح الشريرة ، وتتلقى خير المؤثرات الروحانية . فما يكفى أقلُّ من معبد صينى لعلاج الأرواح الشريرة حول مكتب الرئيس . وإذا اعتبرنا وجهة النظر الصينية ، فإن الشياطين الطليقة التى يسعها أن تدخل فى أى بيت تقريباً بأمريكا ، هى أخطر من العصابات ، بل يمكن أن يكون فيها تعليل منطقى للأزمة المالية . وتعد هندسة أعلى ناطحات السحاب فى نيويورك مزعجة بصفة خاصة . وما من صينى عاقل يقبل أن يشغل مكتباً فى الطبقات العليا من هذا البناء .

انصت !

انصت فإن الكلاب تنبح !

كلما زارنى فى شنجهاى أمريكى مزهو بنفسه ، أخذته إلى قرية صينية ابتغاء التهذيب والتقويم اللذين قد يفيده إياهما نباح الكلاب ، فإن كلاب القرية تمد الصوت بنباح فظيع ،

فيسأل الزائر وقد ضجر عن السبب. فأقول: « لأننا أجانب ».

وقد يقول: « طبعاً! فإن الكلاب ترى ثيابنا »، وبذلك يثبت أنه لا يدرى شيئاً عن الكلاب.

فأجيبه: « كلا! فإن الصينى إذا ارتدى الثياب الأوربية لا تنبحه الكلاب. وإنما السبب أنها لا تحب رائحتنا، وتظن أننا ثعالب، أو كأن أحدنا معه فى جيبه جلد حيوان لم يدبغ فهو عَفِن خبيث الرائحة ». وأبين له أنه على الرغم من حبى الطبيعى للكلاب، فإن كلاب الصين تنفر من رائحتى وما زالت تنبحنى منذ ٢٥ عاماً. وكثيراً ما خرجت بعد أن اغتسلت وحلقت، ورائحة الصابون تفوح منى، وقد أصبحت كأنظف ما يمكن أن يكون الرجل، ومع ذلك لا تمضى دقائق حتى يكون كل كلب تهب عليه الريح من ناحيتى، قد سجل احتجاجه على وتأذِّيه من رائحتى.

ويبدو لى أن أحد التعليلات لذلك أننا نحن الأجانب، قد صارت لنا ريح خاصة مزعجة لطول ما اعتدنا أكل اللحم، أما الصينيون فلا ريح لهم، أو لعل ريحهم أخفى لأنهم يأكلون الأرز والشعير والكرنب والسمك.

ومثل هذه الزيارة يكون من أثرها دائماً أن تهبط بتقدير زائرى لنفسه إلى الحد المعقول.

ويندر أن يقول لك الصينيون شيئاً عنك يخرج عن حد المجاملة، ولكن بعضهم اعترف لى بأن لنا ريحاً ليست غير معهودة فحسب، بل تأتى بالغثيان. ويعلل الصينيون جميعاً، بلا تردد، حرص الإنجليزى على الاستحمام كل يوم بأنه بطبيعته حيوان قذر فيه حاجة إلى كثرة الاغتسال. وأنا أقول الحق حين أقول إنى لما زرت بلادى آخر مرة، وجدت فى أنفى ريح مواطنى من أبناء الشمال حين يحتشد منهم جمع كبير. ولما دخلت النفق فى نيويورك، سطعتنى من أبدان الناس تلك الريح القوية التى تقول الإعلانات أنها تقضى على الحب، وتقف عقبة كؤوداً فى سبيل رجل الأعمال. وكنت بعد السنين الكثيرة التى قضيتها فى الصين، قد نسيت أن الآدميين هذه ريحهم، وكذلك كان الحال فى لندن، وفى باريس، وبرلين، وموسكو — لا، لم تكن الحالة كذلك فى موسكو، فإن خبث ريح البدن هناك يبلغ غاية الكمال، ولعل هذا دليل على صحة العزم على تحقيق المثل الأعلى، والتصميم على التفوق.

وعلى كثرة ما كنت أخفف من غلواء الزائر الأبيض، وألطف من كبريائه الغالية بأن أعرضه لنباح الكلاب الصينية،

كنت دائماً أنأى به عن الجواميس الهندية، والجاموس الهندى فى العادة وديع ، ومن المناظر المألوفة فى الصين أن ترى صبياً فى السادسة من العمر ممتطياً ظهره ، ولكنه على تقبله واحتماله للصبى الصينى ، يخفى تحت مظهره الدميم الهادىء ، مقتاً وحشياً لعدو قديم .

ومن سوء الحظ أن لنا نحن الأجانب على ما يظهر ريحاً كريح هؤلاء الأعداء القدامى ، ولعل ذلك العدو كان قرداً قديماً ذا ريح قوية يعيش كما كان أسلاف الجاموس فى إفريقية . وما من واحد من أبناء الشمال يكون آمناً دواماً فى جوار هذا الجاموس . على أن من حسن حظ الرجل الأبيض أن الجاموس مهذب ، فهو يتحدى عدوه لامرة واحدة بل مرتين ، والتحدى الأول يكون حين يشم الهواء ، وينظر إلى ناحيتك ويبدى امتعاضه القوى بنخره ، والتحدى الثانى حين يرفع ذيله السخيف فى الهواء ، ويضرب الأرض برجله ، والضربة الأولى إنذار لك بوجوب الابتعاد بأسرع مايمكن.

وإذ كنت قد ذهبت إلى هذا المدى فى بيان ما لأبناء الشمال من مَشَمّ ، فيحسن أن أكون أشد اجتراء وأقل مبالاة ، فأقول إنه لا فرق بين الجنسين ، فإن الكلاب تنبح السيدة الناعمة الرقراقة بقوة وحماسة كما تنبح الرجل البدين المتصبب عرقاً . وكثيراً ما رافقت سيدات فاتنات وتمشيت معهن فى الريف الصينى ، وكنت أظن أنهن قد يخدعن الكلاب ، ولكنهن لم يخدعنها ، فقد كانت ريحنا واحدة فى أنوفها. ولم اختبر قط وقع المرأة فى نفس الجاموس ، غير أنى واثق أن النتيجة كانت خليقة أن تكون غير مختلفة .

زعانف كلاب البحر والبيض القديم

طعام الصينى يذكر الأمريكى العادى بزعانف كلاب البحر وبحساء عش الطير والبيض القديم ، وليس بشىء من هذامن شأنه أن يسيل لعاب الأنجلو ساكسون . وقد أكلت كل ذلك وسآكله مرات أخرى، لا لأنى أستطيبه بل لأنى أتقى أن أسىء إلى مضيفى ، وقد يكون حساء زعانف كلاب البحر جيداً ، إلا إذا كان شديد الزّهمة . ولم أستطع قط أن أتبين أى طعم خاص لحساء عش الطير ، ولكنى أتقزز قليلا من البيض القديم . وعلى ذكر البيض أقول إنه يخلّل فيصلب ويحفظ ، ويصبح أشبه بنوع غريب من الجبن ، وليس البيض بقديم بالمعنى الصحيح ، فإن التخليل

يتم فى نحو شهر ، وهو لا يزداد نفاسة بالقدم . وقد صنعت شطائر ذات مرة بقطع من هـذا البيض ، وأضفت إليه قليلا من الخردل ، وأطعمته صديقاً رقيق المزاج ، فاستطابه إلى أن سقط الشطر الأعلى وعرف ما تحته ، وليس الطعم بمنفّر ولـكنه غريب. وبعـد أن يتعلم المرء حب الجبن العتيق والحلزون والوسكى الأسكتلندى ، لا يصعب عليه أن يألف هذا البيض . والمهم أن هذه المواد الثلاث ليست شائعة فى الصين ، وإنما هى طرائف مثـل البطارخ (الـكافيار) والسلحفاة النهرية .

ومن الألوان الصينية التى أكلها كثير من الأجانب «الشبارق» ، ويسميه بعضهم « الطعام القومى للصين » : وحقيقة الأمر أن هذا اللون كما نعرفه ليس طعاماً صينياً قومياً ، وما من صينى يأكله، واللون الوحيد من هـذا النوع الذى يعرفه الصينى هو نوع رخيص من الشبارق أو اللحم المفروم الذى يتخذه فقراء كانتون .

وقد روى لى الدكتور وو ـ تنج ـ فانج السياسى الصينى المشهور ، الظروف الخاصة التى جعلت هذا اللون محبوباً فى الخارج. فقال إن العثور على الذهب فى كاليفورنيا اجتذب آلافا من العمال الصينيين إلى سان فرانسسكو ، وسرعان ما صارت الجالية الصينية فى المدينة من الـكثرة بحيث تكفى لفتح مطعمين على مثال ما فى كانتون . وذات مساء رأى جماعة من المعدنين أن يطلعوا على ما يأكله هؤلاء الصفر ذوو الشـعور المضفورة ، ولما دخلوا المطعم كان الزبائن قد انتهوا من الأكل ، وكان صاحب الفندق يهم بإغلاقه . غير أن المعدنين طلبوا طعاماً ، فما كان من صاحب المطعم إلا أن جاء بكل ما خلفه زبائنه الصينيون ، وخلطه ووضع عليه قليلا من التوابل الصينية وقدمه إليهم ، ولم يدركوا معنى قوله لهم إنهم يأكلون شبارق الفقراء .

على أنهم استطابوه ، حتى لقـد رجعوا إليه يطلبون أن يطعمهم منه ، وهكذا راج « شبارق الفقراء » ، وقد جنى الصينيون منه من الثروات أكثر مما جنى غيرهم من البحث عن الذهب . وما زال الصينيون منذ أجيال يضحكون ، لأن كل طبق من هذا الشبارق هو نكتة وضحك على ذقن الأجنبى. وتوجد مطاعم للشبارق فى المدن الـكبيرة فى العالم كله ـــ ما خلا الصين

وعاء الأرز المقدس

من أعظم تقاليد الصينيين فى تجارتهم أنه لا ينبغى لك أن تقطع معاش رجل آخر ، أو أن « تكسر وعاء أرزه » .

ومن المقبول أن تغلبه فى صفقة تجارية ، ولكن مما يعدونه عملا بغيضاً غير إنسانى أن تُسحته ، أو أن تصرّ على أن يوفى لك بعقد إذا كان لا يستطيع ذلك إلا إذا أفقر نفسه ، والذى يحرم إنساناً مثله الحق فى الحياة ليس خيراً من وحش .

وعلى ذكر ذلك أقول إن زبوناً لنا مرت به تجربة عجيبة فى أيام الكساد ، فقد اضطر أن يخفض نفقاته ، فلما استشار أقدم معاونيه نصحوا له بفصل واحد من خيرة الكتبة فى المحل ، وأبوا كل الإباء ما اقترح من فصل موظف غبى ، فلما تقصّى الأمر تبين أنهم لم يتحرجوا من فصل موظف حاذق لأنه لن يجد مشقة فى الحصول على عمل آخر ، أما الموظف الغبى فكانوا يعرفون أن من العسير عليه أن يجد لنفسه عملا .

وكنت فى وقت ما أساعد فى إصدار جريدة يومية فى شنجهاى ، واحتجت أن أعالج إضراباً قام به عمال الطباعة ، وقد تربص أحد المضربين ذات يوم لواحد ممن يوزعون الجريدة وأتلف كل ما يحمل من أعدادها ، فشكوت المعتدى فقبض عليه ، وأدهشنى أن القاضى الصينى نظر إلى الموضوع نظرة جِدّ وحكم عليه بالحبس تسعة شهور . وفى اليوم التالى أقبلت على أسرته كلها وقالت إن على أن أحرص على ملء وعاء أرزهم دائما ، ما دمت قد أرسلت عائلهم إلى السجن . وكنت كأنى الشخص الوحيد الذى لم ينظر إلى الأمر من هذه الناحية ، فأذعنت وصارت الأسرة كلها فى عنقى . وظل الحال على هذا المنوال عدة شهور ، وفى أثناء ذلك انتهى الإضراب ، فوكلت محامياً عن المضرب المسجون ليخلى سبيله ويعود إلى العمل .

صفافو الحروف الأميون

تدل أرقام الأمية على أن جانباً كبيراً من الصينيين لا يقرأون ، ومن هنا يظن كثيرون من الأجانب أن الصينيين شعب غبى . وهذا خطأ فى خطأ ، فإن الصينى الذى لا يعرف القراءة هو الذى لم تتح له فرصة للتعلم ، يضاف إلى ذلك أن الأبجدية الصينية الهائلة أصعب جداً من أبجديتنا .

ومن الغريب مع ذلك أن معظم الصحف الإنجليزية فى الصين يطبعها صينيون لا يستطيعون فى معظم الأحوال أن يفهموا الإنجليزية . وما زال صفاف الحروف الصينى أعجوبة فى نظرى ، فهو لا يفهم شيئاً على الإطلاق من الأصل ، ومع ذلك يدق بسرعة حروف « اللينوتيب » ويخرج مسودات بديعة فى نظافتها ، ومطابقة تمام المطابقة للأصل بما فيه من أغلاط فى الهجاء . ثم

أنه فضلا عن ذلك يصف حروف الكلمات بالفرنسية والألمانية والروسية ، وهذا مالا يجرؤ إلا القليلون من صفافي الحروف الأوربيين على محاولته .

ولا شك أن هذا الجهل باللغة التى يستعملها يؤدى أحياناً إلى أغلاط مضحكة . من ذلك ، على سبيل المثال ، قصة الصحفى الإنجليزى فى شنجهاى ، وكانت صحيفته تنشر دليلا سنوياً للمدينة ، ولم يكن له دخل أو عمل فى هذا الدليل ، ولكن صفحات المسودات المصححة كانت دائماً تعرض عليه لإقرارها. فاتفق فى أحد السنين ،وهو يدير عينه فى المسودات، أن رأى اسم رجل يمقته وكان قد مات قبل بضعة شهور ، فأراد أن يؤنب الذى يتولى ترتيب الدليل . فأحاط اسم المتوفى بإطار من الحبر أسود وكتب تصحيحاً سريعاً على الهامش .

وبعد بضعة أيام صدر الدليل ، وحول اسم الرجل الميت إطار أسود ، وعلى الهامش هذه العبارة «هذا الحمار السخيف قدمات» .

طرق شتى مظلمة

يشهد كثيرون من المراقبين المطلعين ، بعبارات فى غاية القوة ، بأن الصينيين قوم أمناء أشراف مستقيمون فى معاملتهم . وقد قال أقدم التجار الأجانب إن « كلمة الصينى ملزمة له كالعقد » ، ولكن كثيرين آخرين يستطيعون أن يرووا لك قصصاً محزنة عن طرق مظلمة خادعة ، وهم يعارضون الشهادة السابقة بقولهم إن عقد الصينى لا يساوى شيئاً على أى حال . ومن السهل تعليل هذا التناقض بين الرأيين ، ذلك أن فى الصين ، كما فى كل بلد آخر ، أناساً خربى الذمة ، وآخرين أشرافاً .

ويمثل تجار الحرير فى الصين ، وهم فى الوقت نفسه نساجون ، أقدم تجارة وصناعة فى البلاد ، بل فى العالم ، لأنهم كانوا ينسجون ويبيعون الحرير قبل ميلاد المسيح بألف عام أو أكثر ، وقد ظل نشاطهم هذا متصلا بغير انقطاع ، وكان مستوى صناعتهم عالياً دائماً . وما كاد اليابانيون يصنعون الحرير للإصدار مدة عشرة أعوام ، حتى تعلموا من الأجانب كيف يكسبون إنتاجهم هذا قيمة مصطنعة ، وكانت النتيجة أنه لايوجد الآن شىء اسمه حرير يابانى حر ، أما الصينيون فإنهم لم يحاولوا قط أن ينتفعوا بمثل هذه الأساليب الماكرة ، وكل تاجر حرير صينى يسره أن يثبت لك أن إنتاجه حر غير مخلوط ، بأن يقص قطعة ويحرقها فى صحن ، ذلك أن الحرير الحرّ يحترق ولا يخلف أثراً من رماد ، فإذا كان هناك أى خلط ، فإن الأثر

المتخلف يكشف عنه . ولما كان الحرير الصينى حراً ، فإنه يباع بوزنه لا بطوله ، وليس ثم مساومة فى المتاجر الحسنة .

وصناعة الفضة أيضاً قديمة ، وكل قطعة مصنوعة من الفضة عليها العلامة التجارية للدكان الذى صنعها . وهذا فى الصين واجب وجوبه على العملة المسكوكة ، لأنه بمثابة ضمان غير معلق على شرط باسترداد الثمن ، وهذا أقوى ضمان يستطيع صانع أن يثبته على إنتاجه . ومهما يبلغ من قدم القطعة الفضية ، أو سوء حالها ، فإن صائغ الفضة يشتريها دائماً بتخفيض يسير من ثمنها الأصلى . وبيوت الصينيين غاصة بالأوانى والصناديق الفضية ، لا لأنها زينة فحسب ، بل لأنهم يستطيعون فى أى وقت أن يحولوا هذه الزينة إلى نقد .

غير أن المستوى فى كثير من الأعمال الحديثة لا يبلغ هذه المرتبة . وقد اتفق لى مرة أن نشرت إعلاناً فى مجلة صينية شهرية جميلة الطبع ، لها من القراء ٣٠٠٠٠ قارئة بحسب الإحصاء ، وكانت صفحاتها الضخمة ملآى بالإعلانات . وكان إعلاننا الذى يملأ صفحة كاملة ، يعرض أن يقدم إلى كل سيدة من الثلاثين ألفاً ، نموذجاً من قشور لصفاءِ الوجه فى مقابل طابع بريد بقرش واحد . وظهر الإعلان ثلاثة شهور متتالية ، ومع ذلك لم تبد سيدة واحدة أى رغبة فى هبتنا السخية . فشرعنا نستقصى ، فتبينا أنه فيما عدا النسخ التى ترسل إلى أصحاب الإعلانات ، لا يقرأ المجلة أحد ! ولم يكن هذا كل شىء ، فقد كانت المادة التى تنشر فى المجلة لا تتغير أبداً ، فهى هى بذاتها ، شهراً بعد شهر ، وقد كانت كذلك من قبل على قدر ما وسعنا أن نتتبع الأمر ، والتغيير الوحيد لا يتناول إلا الإعلانات وتاريخ الشهر على الغلاف . وكان ناشرو المجلة لا يطلبون الإعلانات إلا من الأجانب ، وقد اعتقدوا بحق أنه لما كان الأجانب لا يقرأون اللغة الصينية ، فإن المادة التى تنشر فى المجلة ليس لها قيمة . ولا تزال المجلة تصدر ، وهى فى رغد ، وتتلقى أحياناً رسائل من عملائنا فيما وراء البحار يقولون فيها إن منافسيهم ينشرون إعلاناتهم لهؤلاء الثلاثين ألفاً من السيدات ، ويلمحون إلى أننا أغفلنا هذه الأداة النفيسة !

ولكن رجل الأعمال الصينى تصبح أساليبه أحلك ما تكون حين يكون الأمر متعلقاً بتجارة الصادرات ، كما يتضح من المثال التالى : يعدّ الفول الصينى الكبير أدنى أنواع هذه الفصيلة ، وهو ينبت فى الأرض الرديئة ، ويؤتى محصولا وافراً ، ولكنه ، وإن كان مغذياً ، من الرداءة بحيث

لا يأكله آدمى إلا إذا اضطر إلى ذلك فى مجاعة. وهذا الفول يصدر، ولكنه لا يشحن إلا إلى البلاد التى يستخرج فيها الفحم، ويستهلكه أولئك المساكين الذين يوصفون بأنهم «بغال المناجم»، والذين يضطرهم عملهم إلى قضاء حياتهم فى سراديب المناجم، ويظهر أنه يحتوى على فيتامين يعوض ما ينقصهم من نور الشمس.

ولما كان هذا الفول على الأرجح أرخص طعام يعرفه عالم التجارة، فإنه لا يبدو أن فى الإمكان استفادة أى ربح من الغش فيه، ولكن صديقاً لى من المصدرين وجد الأمر على خلاف ذلك، فإنه بعد أن ظل يصدر الفول سنوات عديدة، تلقى شكاوى بأن مقداراً من الفول شحن حديثاً ظهر أنه مخلوط بالطين، ووجدت فى جميع الأكياس قطع صغيرة من الصينى.

فبادر إلى فحص الفول المعدّ للاصدار فحصاً دقيقا، فبدا له فى أول الأمر أن كان كل شىء على ما يرام. ثم لاحظ أن بعض حبات الفول مقسومة إلى قسمين، فارتاب، فإن حبة الفول السليمة لا تتكسر. وأدى الفحص إلى أمر غريب، ذلك أنه توجد بين كل عشرين حبة سليمة، على وجه التقريب، واحدة ليست إلا طينة مطبوخة ومصنوعة على هيئة الفول، ولا تختلف فى شكلها أو لونها أو وزنها عن الفول، فهى مثال بارع للحبّة، وقد أمكن معرفة هذا التدليس لأن بعض الفول الصادر ابتل على ما يظهر.

وخطر له أن آلافا من «بغال المناجم» المساكين كانوا يأكلون هذا الطين باسم الفول، فتلهّب غضبه وشرع فى تقصى الأمر، فما لبث أن اهتدى إلى مصنع لهذا الفول الطينى بجوار هانكو، وكان العمال يأخذون الطين من شاطىء نهر يانجتسى، ويفرغونه فى قوالب على هيئة الفول، وكان التجار يشترون هذا البديل الطينى لأنه أرخص، ويخلطونه بالفول الحقيقى المعد للإصدار. ومن حسن الحظ أن ما اهتدى إليه صديقى قضى على هذا الغش، ولم يعد «بغال المناجم» يأكلون هذا الطين منذ عدة سنوات على ما نعلم.

سنابك الخيل من هامبورج

وتجارة سنابك الخيل من هامبورج تكشف أيضا عن إحدى الخصائص الصينية الممتعة فى التجارة، وهى التمسك بما يعد نوعا ممتازاً من السلع. ففى تلك الأيام التى كانت السفن تجىء نصف فارغة وتخرج موقرة بالشاى وغيره من حاصلات الصين،

كانت أى بضاعة مما يصلح لتثقيل السفن ، تلقى ترحيبا وتشحن بأجور ضئيلة . فكان من السلع الغريبة التى تجلب إلى الصين فى ذلك الزمن ، شحنة من السنابك القديمة من هامبورج — وهى سنابك بليت جداً ورقت حتى صار من المستحيل دق مسامير جديدة فيها ، وكانت تباع للحدادين الصينيين الذين وجدوا أنها إذا شطرت شطرين صارت مادة بديعة لصنع المواسى الصينية ، وهى عبارة عن مدية مطبوعة عريضة النصل . وكان الإقبال عظيما ومطرداً على هذه المواسى ، فسرعان ما صارت سنابك هامبورج سلعة أساسية فى تجارة الصين .

وفى مدن أخرى كثيرة ترى تجار النفايات والمخلفات ، وعندهم سنابك قديمة يريدون التخلص منها ، فسرعان ما راحوا يشحنونها إلى الصين من نيويورك وليفربول وباريس وغيرها ، ولكن الحدادين الصينيين كان إجماعهم تاما على رفض هذه السنابك ، وذهبوا إلى أن ضخامة الخيل الألمانية وثقل وزنها ، ووقع الحوافر يوما بعد يوم على أرض هامبورج المرصوفة ، أكسبت السنابك حجما وفرنداً يجعلانها صالحة لصناعة المواسى . ووجد تجار النفايات أن عليهم أن يشحنوا بضاعتهم من هامبورج ، وكانت النتيجة أن صارت السنابك تجىء إلى هامبورج من أقطار الأرض لشحنها ، وبهذا أصبحت مقبولة .

وقد تغير رأى الصينيين فى السنابك فى العقدين الأخيرين ، ويستعمل الحلاقون الصينيون الآن مواسى شفيلد المصنوعة فى اليابان ، ويستعمل الحدادون السنابك فى صنع المدى وأمشاط القنب والسكاكين الكبيرة . وكانت سنابك هامبورج صالحة بفضل حجمها للمواسى ، ولكنها أصغر من أن تصلح لهذه الأغراض الجديدة . ثم ظهر أن خيل الجر فى ليفربول أكبر سنابك من خيل هامبورج فصارت ليفربول الآن مركزاً لتجارة السنابك القديمة فى العالم . ويقول العملاء أن شوارع هامبورج لم تعد مرصوفة بالحجارة ، ولهذا فقدت السنابك مزيتها .

هذا البيض الصينى

وليس الصينيون بالوحيدين الذين يغالطون أنفسهم فى حقيقة المزايا ويتمسكون بالأوهام السخيفة ، فالبيض رخيص جداً فى الصين . وفى سنة ١٩١٩ كانت التجارة عظيمة جداً فى البيض المحفوظ والمثلوج ، وكان يصدر إلى إنجلترا وأمريكا ، ثم ظهرت فى البلدين دعاية قوية مرة ضد البيض الصينى الذى قيل إنه يحتوى على جراثيم خطرة

لاعداد لها ، فضلا عن غيرها مما هو أبرز وأبين . وكتب زارع فى إنجلترا إلى صحيفة بلدته ، أنه لما أراد التفريخ ، وضع تحت الدجاجة ، على سبيل الاختبار بيضة صينية بين البيض ، فخرج منها ثعبان ، ونقلت القصـة عدة صحف إنجليزية ، وأبت ربات البيوت أن يقبلن البيض الصينى ، غير أن المخابز ظلت تشتريه .

ولم تذهب الدعاية ضد البيض الصينى فى أمريكا إلى حد تفريخ ثعبان موهوم، ولـكن النتيجة كانت واحدة ، فقد وضعت قوانين لتحـديد استهلاك الطعام ، فـكادت تموت تجارة البيض فى كل البلاد ، وسوَّى تجار البيض الأمريكيون فى الصين حسابهم مع الفنادق ، فى شنجهاى ، وعادوا إلى بلادهم وقد تحمل بعضهم غرامات فادحة لإلغائهم العقود . أما تجـار البيض البريطانيون ، فحرصوا على سمعتهم القديمة ، فلجُّـوا ، وظلوا يشحنون البيض إلى إنجلترا ، حيث كانت السوق محدودة جداً ، وكان كل امرىء يتعجب لسخافتهم فى المضى فى تجارة خاسرة وكيف لم يفلسوا ؟ وأخـيراً انحلَّ اللغز ، ذلك أن البيض الصينى يشحن إلى إنجلترا ، ثم يعبأ ويعاد شحنه إلى أمريكا التى تتقبله بقبول حسن على اعتبار أنه بيض إنجليزى ، ولا تزال أمريكا تستورد قدراً عظيما من البيض « الإنجليزى » الذى لعـله من أصل صينى .

الجوار العـالمى

ولعلك لاحظت أن آخر فرشة أسنان لم تكن جيدة كالسابقة من نوعها ، ولعلك أيضاً قرأت أن الحـكومة الصينية قد أرسلت حديثا جنودها ليستأصلوا شأفة العصابات والشيوعيين من سيشوين ، ذلك الإقليم الغنى الغاص بالسكان على تخوم التبت المجهولة ، ولعله لم يخطر لك قط أن بين الأمرين علاقة ما .

كانت كل فرشة أسنان تصنع من شعر الخنزير ، ومعظم هذا الشعر يجىء من الصين . وخير أصناف الشعر الذى تصنع منه الفرشة الممتازة التى تستعملها ، تؤخذ من جلود الخنازير البيض فى سيشوين . وقل بين الخنازير البيض فى أرجاء العـالم الأخرى ما يستعمل شعره لهذا الغرض ، لأن الذين يربون الخنـازير لا يتوخون الاقتصاد كالصينيين ، فلا يعنون بتنظيف الشعر وترتيب أصنافه .

وهكذا ظلَّ تزويد العالم بفرشة أسنان جيدة يتوقف على صحة الخنزير ورفاهيته فى سيشوين ، ففكر فى فرشتك ، وفى صغر العـالم ، وكيف أن هـذا يجعلك جاراً لأربعمئة مليون جارٍ فى الصين .

فن الأكل فى الصين

لن يوتانج*

مختصرة من كتاب "بلادى وأمتى"

كان ثم شيء نأخذه نحن الصينيين مأخذ الجد ، فليس هو بالدين أو العلم ، وإنما هو الطعام . ونحن نجاهر بأن الأكل إحدى المسرات القليلة فى الحياة الإنسانية . وفى أوربا يمثل الفرنسيون والإنجليز اختلاف الرأى فى مسألة الطعام ، فالفرنسيون يأكلون بحماسة ، والإنجليز يأكلون على استحياء . أما الروح القومية الصينية فتميل ميلا بيناً إلى الناحية الفرنسية فيما يتعلق بطعامها .

وأول ما يشترط لنتعلم كيف نأكل هو أن نتحدث عن الأكل ونتبادل فيه الرأى . وليس من الميسور الوصول بفن الطبخ إلى مرتبة عالية إلا فى جماعة — كالفرنسيين والصينيين — يعنى فيها المثقفون والمهذبون بالسؤال عن صحة طباخهم بدلا من الكلام عن الجو . وما من طعام يكون متعة حقيقية إلا إذا تطلع المرء إليه بلهفة، وتناوله بالكلام ثم أكله ، ثم وصف لذته . ولا ينبغى لأولى العلم أن يشفقوا من أن يكتبوا الفصول فى فن الطعام كما يفعل أولو العلم من الصينيين، فإنا قبل أن نعد طعاماً ممتازاً نبقى زمناً نتفكر فيه ونديره فى أذهاننا ونتطلع إليه ، ونستمتع من ذلك بلذة خفية يطيب لنا أن يشاطرنا إياها بعض إخواننا ، ونثبت فى الدعوات التى نوجهها بعض نقط عنه كأن نقول : « جلب ابن أخى أخيراً خلا جيداً من تشنكيانج ، وبطة مملحة من بط نانكنج جاء بها من لاويوتشى» . وقبل أن يقبل الخريف بزمن طويل ويطلع قمره ، يشرع الرجل من أهل العلم — مثل لى ليونج الذى يقر بذلك — فى إعداد العدة وادخار المال لشراء السرطان النهرى، ويتخير مكاناً تاريخياً يبسط فيه المائدة له مع إخوانه على ضوء القمر ، فى منتصف الخريف، أو فى بستان حال بالاقحوان ، ويخابر بعض أصدقائه ليجيئوا بشىء من النبيذ من مخزن الحاكم توان فانج ، ويروح يفكر فى ذلك كما يفكر الإنجليز فى الجواد

* فيلسوف صينى معاصر ومن مؤلفاته : «فن الحياة » ، ورواية «ساعة فى بكين» و « حكمة كونفوشيوس » ، و « حكمة الصين والهند » و « ورقة فى عاصفة » و « بين الدموع والضحك » .

الذى ينتظر له الفوز فى السباق .

ونحن الصينيين لا نخجل من أكلنا . وقد تغنى الشاعر وردز ورث « بالحياة البسيطة والتفكير العالى » ، ولكن فاته أن يفطن إلى أن الطعام الجيد ، وخاصة مع أفنان الخيزران الغضة وعش الغراب ، تعد من المباهج الحقيقية فى حياة ريفية بسيطة . وقدتغنى الشعراء الصينيون جهرة « بالسمك المفروم وحساء الخضر » . وكثير من الأمريكيين يتنهدون فى غربتهم حسرة على اللحم والبطاطس ، ولكنهم لا يعترفون لك بأن هـذا يجعلهم يحنون إلى وطنهم ، ولا يذكرون ذلك فى أشعارهم .

وكل من يفتح صفحات رواية صينية ، لا يلبث أن تلفت نظره الأوصاف المفصلة المتكررة للطعام الذى أفطر عليه تايو ، أو العشاء الذى تناوله بايو عند منتصف الليل . والصينيون يتلقون الطعام بمثل ما يتلقون به ملامسة النساء والنساءَ والحياة على العموم . وما من شاعر أو كاتب إنجليزى عظيم إلا وهو يأنف أن يكتب كتاباً عن الطبخ ، لأنه يعد ذلك خارجاً عن نطاق الأدب ، وأمراً لا يليق إلا بجهود العمة سوزان . ولكن الشاعر الروائى العظيم لى ليونج لم ير أن مما يغض من كرامته أن يكتب عن طبخ الفطريات وكل أنواع الأطعمة المصنوعة من الخضر وغيرها . وهناك شاعر كبير آخر هو يوان ماى وضع كتاباً كاملا عن الطبخ ، وكتب أيضاً مقالا ليس أبدع منه عن طباخه .

وثم مبدآن يتميز بهما الطبخ الصينى من الطبخ الأوربى : الأول أننا نطعم الطعام من أجل نوعه ، أى ما نجده من مضغه الهش أو المرن تحت أضراسنا ، ومن أجل نكهته ومذاقه ولونه أيضاً . ويرجع كثير من الفضل فى الإقبال على أفنان الخيزران الخضر إلى مقاومتها الممتعة ، التى تجدها تحت أسناننا ، غير أن أهم من ذلك أن هذا النبات يكسب اللحم نكهة إذا طبخ معه ، كما يكتسب هو من اللحم نكهة . وهذا هو المبدأ الثانى ، أى مزج النكهات ، وذلك هو قوام فن الطبخ فى الصين . فما من أحد مثلا يعرف ما طعم الكرنب حتى يذوقه مطبوخاً مع الدجاج ، وحتى يستفيد الكرنب من الدجاج نكهته ، والدجاج من الكرنب نكهته . وبهذا المزج يستطاع تأليف أى عدد من الأطعمة . والصينى حين يرى على مائدة عشاء أجنبية الخضر مثل الإسباناخ أو الجزر تطبخ على حدة ثم توضع على نفس الطبق مع اللحم أو الإوزّ المحمر ، فإنه لا يسعه إلا أن يتبسم تبسم المستخف بهؤلاء المتوحشين .

إن الصينيين من أردأ الدعاة ، ولكن عندهم ذخيرة نفيسة من الوصفات الشهيرة العجيبة لتعليم الغرب ، متى استعد الغرب وتطامن للتعلم . ولا يحتمل أن يحدث هذا قريباً ، لأننا لا نملك نسافات ومدافع ، وحتى لو كان لنا منها شيء ، لما عنينا بان نمضى بها إلى نهر التيمس أو نهر المسيسبي ونطلق النار منها على الإنجليز والأمريكيين ونرسلهم إلى السماء على كره منهم . غير أن هذا لا يمنع أن أية أمة لا تعرف كيف تأكل وتستمتع بالعيش كما نفعل ، تعد فى نظرنا همجاً وغير متحضرة . ذلك أن فن المعيشة فى الصين غريزة ثانية ودين . ولم تنفصل القيم الروحية من القيم المادية عندنا ، بل هى أعون — كما هو الحال فى عنايتنا بالطعام — على وفاء الاستمتاع بالحياة على قدر نصيبنا منها .

أجوبة الألغاز المنشورة فى صفحة ٧٩

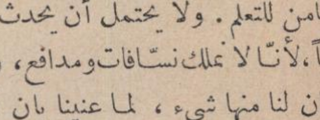

١ — الجواب الصحيح هو تسعة قروش . خذ إحدى القطع المؤلفة من ثلاث حلقات ، واكسر كل حلقة منها (فذلك يكلفك ثلاثة قروش) ، ثم استعمل كل حلقة منها لتصل بين قطعتين (يكلفك لحام كل منها قرشين ولحام الثلاث ستة قروش ، فالمجموع تسعة قروش) .

٢ — اقلب الثانى والثالث .
ثم الأول والثالث .
ثم الثانى والثالث .

٣ — بدلا من أن تقذف قطعة السكر الثانية فى الهواء ، أفلتها ثم التقطها ، بأن تسرع فتتلقاها فى الكأس حين تهوى .

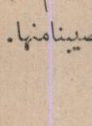

٤ — لا تنفخ القرش بل انفخ فى الكأس فيرتفع الحرف الخارجى للبطاقة ، فتنحرف فيتزحلق القرش منها إلى جوف الكأس .

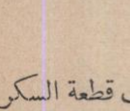

٥ — اجمع ذراعيك على صدرك كما ترى فى الصورة . قبل أن تمسك بزاويتى الفوطة المتقابلتين ، فحين تبسط ذراعيك ترى الفوطة قد انعقدت .

غــذاء أفضــل لعــالم أفضــل

حيث تحضّر أجود محاصيل المزارع

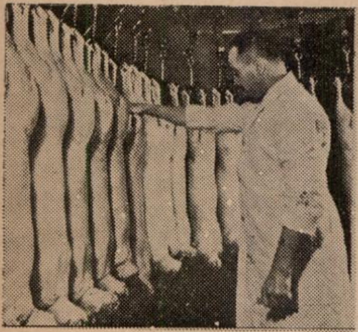

Swift

هذه صورة أخذت من الجو لأحد مصانع شركة «سويفت»، المؤسسة الدولية ذات الشهرة العالمية . هنا ألوف يعملون فى هذه المصانع التى تشبه مطبخاً هائلا يجرى فيه تقدم الإنسان وتقدم الآلة فى عنان واحد نحو هدف عظيم هو تحويل أجود محاصيل المزارع الخصبة إلى أغذية ممتازة متنوعة . إن الملايين من ربات البيوت فى جميع أرجاء العالم يطلبن منتجات «سويفت» لأن ربات البيوت يعلمن أن شعار «سويفت» على المنتجات التى يحملنها إلى بيوتهن ضمان لهن بأنها أغذية سائغة الطعم ، مغذية وصحة ، وتمتاز بتفوق النوع والنقاء التام .

COMPAÑIA

Swift

INTERNACIONAL

Av. Corrientes 389 - Bs. As. - Rep. Argentina

مصانع فى الأرجنتين وإستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأوروجواى

توزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

CALTEX
REG T M
في خدمتك لمنتجات بترولية أُفضل
إذا أردت أن تؤدى مصانعك أو معداتك عملها بكفاية واقتصاد ودقة
فعليك أن تهيىء لها التشحيم اللائق — كالتكس . إن منتجات كالتكس
الممتازة كالبنزين والكيروسين والشحومات ووقود الديزل والزيوت تتيح
لمعداتك كفاية أعظم وحياة أطول وتقتضى منك جهداً أقل لصيانتها .
Société California Texas des Pétroles, S. A. E.
9, Sh. Fouad Ier, Cairo, Egypt.
في خدمتك
كالتكس للمنتجات البترولية

اكثر من ١٦٠٠ مو...
المنتجات للصناعا...

معدات كهربائية

توربينات مائية وبخار...

آلات للاسمنت والتعدين

مضخات

آلات لطحن الدقيق

نستطيع أن تساعدك على زيادة الإنتاج فى منجمك ...

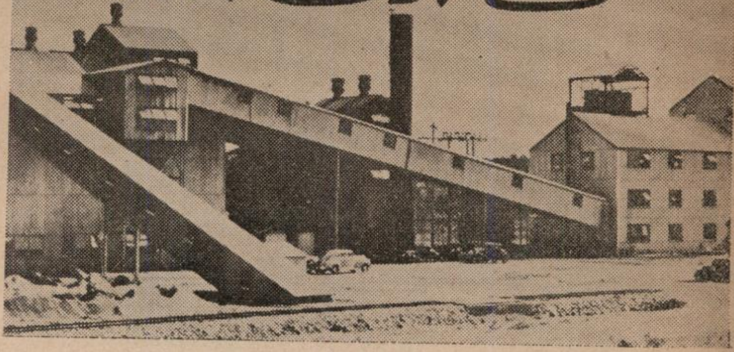

جير لمواد البناء ! معادن للآلات ومعدات المنازل ! كيميائيات للأدوية والمركبات المصنوعة ! هذه كلها معناها تجارة أفضل . . وبيوت أفضل . . . وصحة أفضل . . . وعيش أفضل لكل فرد !

إن مؤسسة « أليس شالمرز » تنتج اليوم أكبر مجموعة من معدات المناجم فى العالم لتهيء للصناعات المنجمية إنتاج مواد أجود صنفاً ، وأوفر مقداراً ، وأقل كلفة . إننا نصنع آلات تحطيم الصخور والمطاحن لأى نوع من خامات المعادن . . . كما نصنع مجموعات واسعة من المناخل ، والمضخات والمحركات وسيور V . . . والآلات الرافعة والنقالات لإنجاز أعمال المناجم على وجه السرعة !

آلات — للمناجم ، والأغذية ، والمنسوجات ، والقوة الكهربائية ! . . إن مؤسسة « إليس شالمرز » تخدم كل صناعة أساسية — بإنتاجها أكبر مجموعة من معدات الصناعات الرئيسية فى العالم — لتهيء للشعوب إنتاجاً أوفر وحياة أرغد ! ..

ALLIS (A-C) CHALMERS

MILWAUKEE 1, WISCONSIN U.S.A.

الوكلاء فى الشرقين الأدنى والأوسط

القطر المصرى والسودان : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة ش . م . م ، ٤١ شارع صفية زغلول بالإسكندرية . ٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة — العراق وشرق الأردن : الشركة الأمريكية العراقية للملاحة ليمتد ٩/٣٨٢ شارع المستنصر ببغداد — ١٠/١٢٤ شارع الملك فيصل بالبصرة — المملكة العربية السعودية : أمريكان إسترن كوربوريشن ، جده — إيران وأفغانستان : أمريكان إسترن ليمتد ، عمارة مبصر ناصية شارعى شهريزا وروزفلت ، طهران . وهناك مراسلون لشركة « أليس تشالمرز » فى مختلف البلاد القريبة والبعيدة .

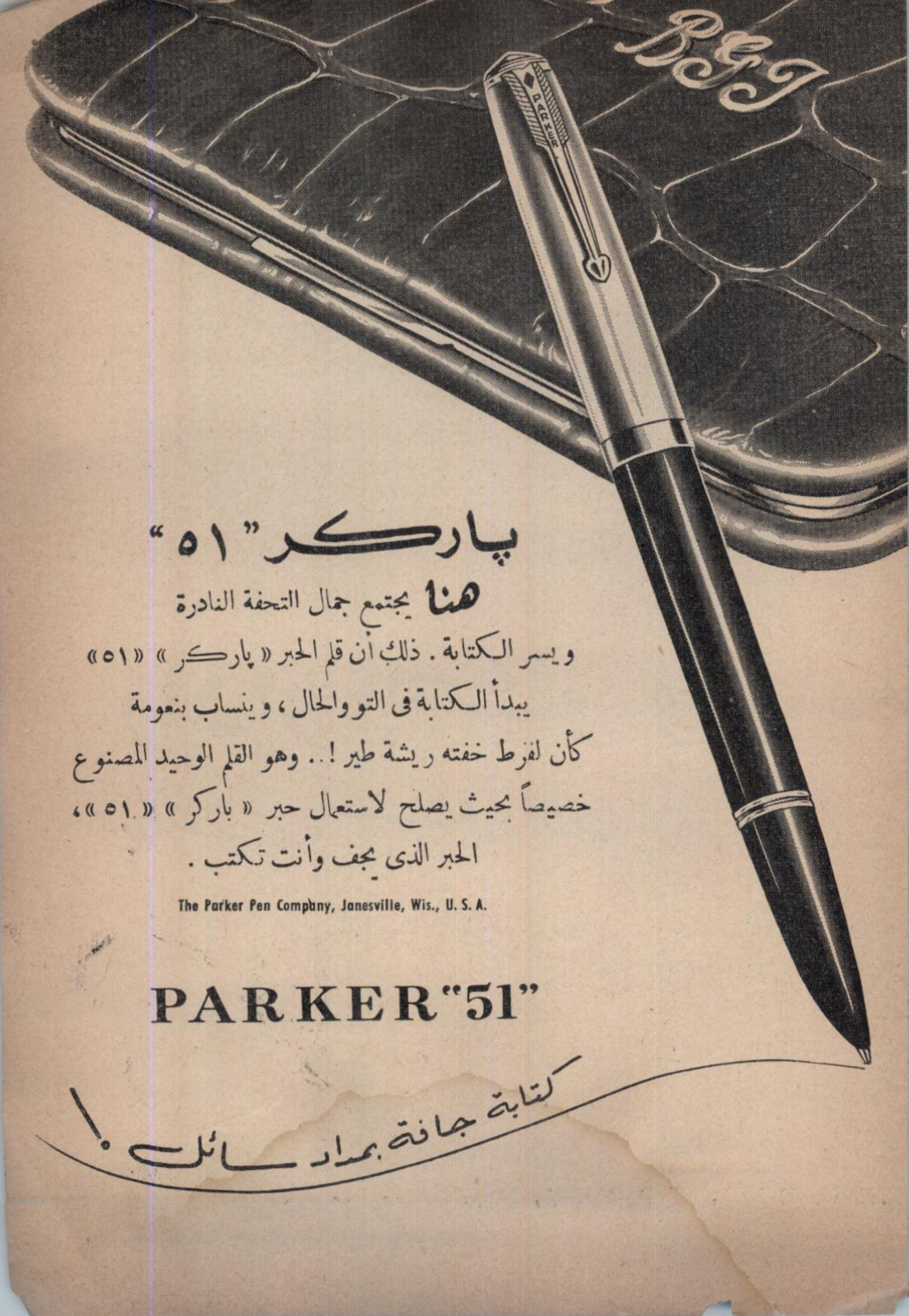
PARKER
پاركر "٥١"
هنا يجتمع جمال التحفة النادرة
ويسر الكتابة. ذلك أن قلم الحبر «پاركر» «٥١»
يبدأ الكتابة فى التو والحال، وينساب بنعومة
كأن لفرط خفته ريشة طير!.. وهو القلم الوحيد المصنوع
خصيصاً بحيث يصلح لاستعمال حبر «باركر» «٥١»،
الحبر الذى يجف وأنت تكتب.
The Parker Pen Company, Janesville, Wis., U. S. A.
PARKER "51"
كتابة جافة بمداد سائل!

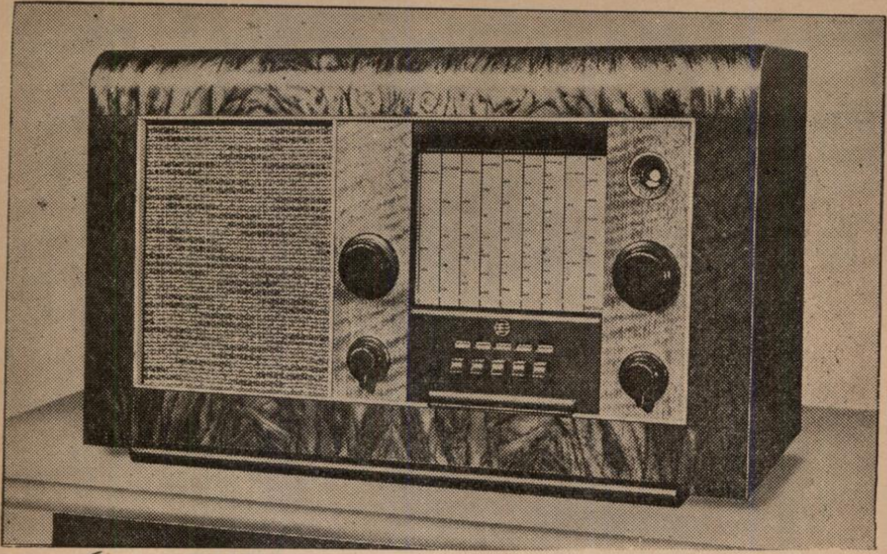

مثال الجهاز المستقبل من راديو إكو موديل A 24

راديو إكو ولمباته

بدأت تصل الآن

بدأت السفن تفرغ الرسائل الأولى من أجهزة راديو « إكو » الجديدة — الأجهزة المستقبلة ، المصنوعة فى بريطانيا ، والمشهورة فى جميع أرجاء العالم . وقد صُنِع راديو « إكو » ، خاصة ، لالتقاط البرامج العالمية المذاعة من جميع أقطار الأرض .

وإن خبرة «إكو» ، خلال الحرب فى شئون الراديو والرادار ، قد أسفرت عن أجهزة استقبال ، تفوق كل ما سبقها فى صدق الاعتماد عليها ، وحسن أدائها .

فحين تشترى الراديو الجديد الذى تريده ، أحرص على أن يكون من طراز «إكو» .

هـذا رمز المنتجات الممتازة التى تصنعها شركة إ. ك. كول ليمتد.

E. K. COLE LTD., EKCO WORKS, SOUTHEND - ON - SEA

أنظر ، هاهى ذى !

الثلاجة الجديدة المدهشة صنع فيلكو

نعم ، ثلاجة جديدة مدهشة صنعها «فيلكو» ، وهى تنتظرك الآن عند وكيل «فيلكو» . إنها الثلاجة العصرية للحياة العصرية . تضم جميع مزايا التصميم السباق الذى يحمل إليك أقصى ما تترقبه فى الثلاجات من خدمة ، وامتياز ، وقيمة . اثنا عشر طرازاً . . . تختار منها الحجم الذى يلائم حاجتك ، بالسعر الذى يلائم ميزانيتك .

كل ثلاجة فيلكو تحتوى مخزن تبريد

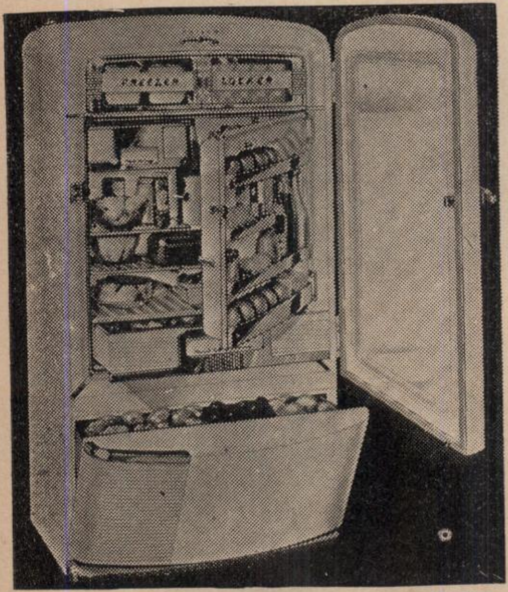

جميع ثلاجات «فيلكو» الجديدة ، من أرخصها إلى أغلاها ، تحتوى على مخزن خاص للتبريد ... هو حجرة واسعة معدة لتبريد اللحوم وخزن الأغذية المبردة مدة طويلة

مزودة أتم تزويد بجميع المعدات

إنها الثلاجة التى تضم جميع المزايا

آلة التبريد الجديدة المدهشة « فيلكو »

نماذج تصلح لكل بيت — ابتداء من سعة ٢½ قدم مكعبة

فيلكو المشهورة بالجودة فى جميع أرجاء العالم

PHILCO INTERNATIONAL CORP. 230 Park Ave., New-York, U.S.A.

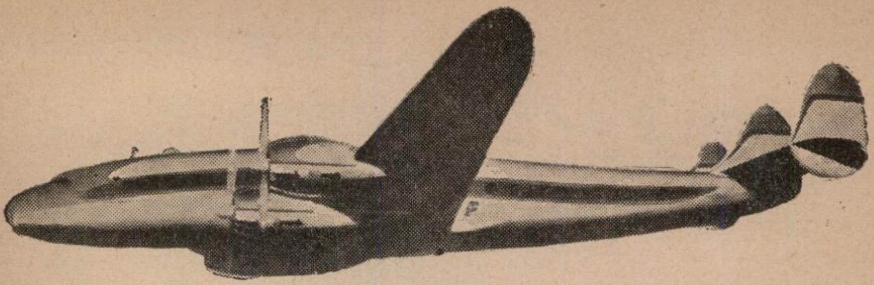

مستوى عالمى جديد

قام البرهان على ما نذهب إليه. وستنشىء طائرات «لوكهيد كونستليشن» مستوى عالمياً جديداً فى النقل الجوى تحمله إلى كل بلد فى كل قارة. وإنك لتراها تعمل عملا منتظماً فى هذه الخطوط الجوية الكبرى.

أميريكان اكسپورت

إيسترن

الحكومة الفرنسية

ك. ل. م. رويال دتش

ك. ن. ا. ل. م. رويال نذرلند إنديز

پان أميريكان

پاناجرا

ت. و. ا.

طائرة نموذجية لخطوط الطيران

لوكهيد كونستليشن

Lockheed Constellation

لوكهيد دائما فى الطليعة سباقة فى عالم الطيران

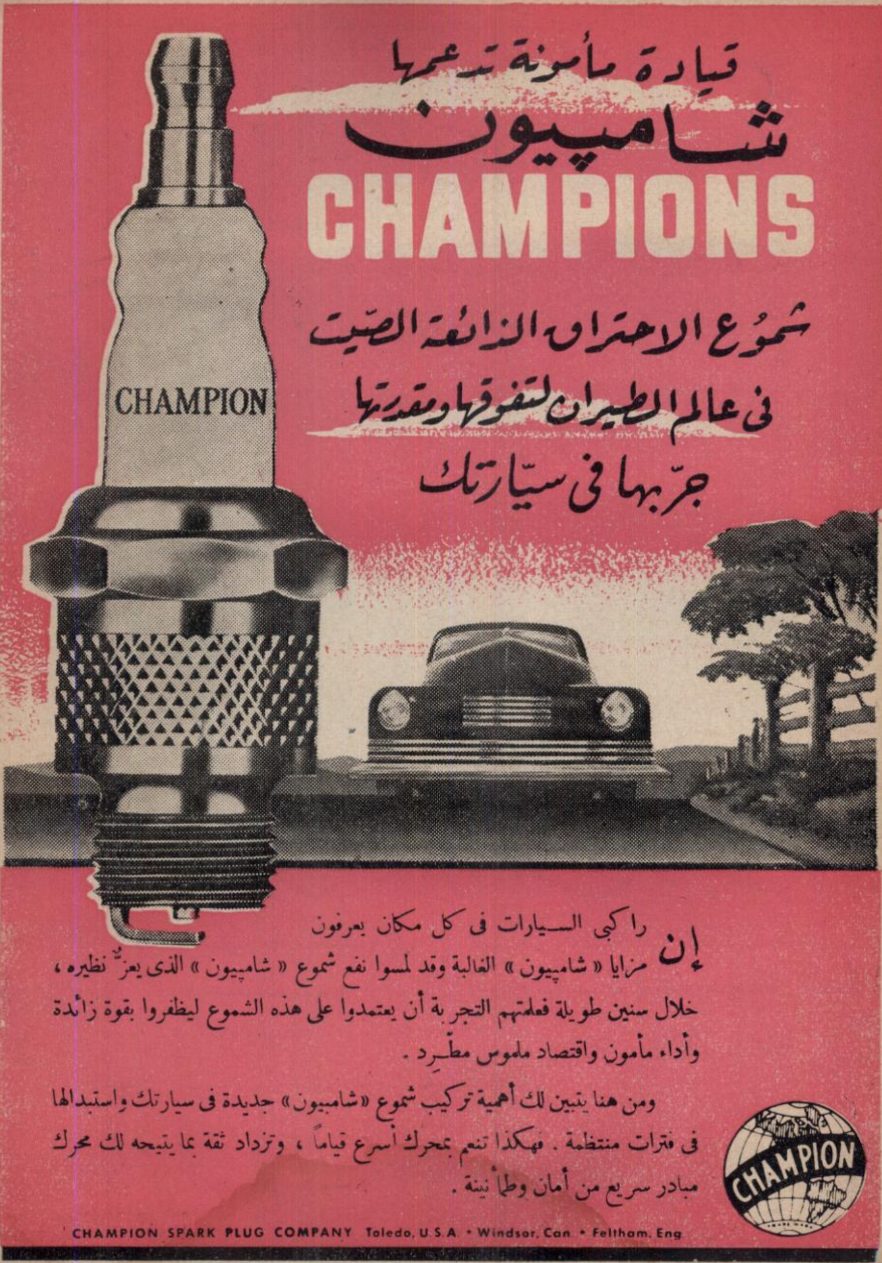
قيادة مأمونة تدعمها
شامپيون
CHAMPIONS
شموع الاحتراق الذائعة الصيت
فى عالم الطيران لتفوقها ومقدرتها
جرّبها فى سيارتك
CHAMPION
إن راكبي السيارات فى كل مكان يعرفون مزايا « شامپيون » الغالبة وقد لمسوا نفع شموع « شامپيون » الذى يعزّ نظيره ، خلال سنين طويلة فعلمتهم التجربة أن يعتمدوا على هذه الشموع ليظفروا بقوة زائدة وأداء مأمون واقتصاد ملموس مطّرِد .
ومن هنا يتبين لك أهمية تركيب شموع «شامبيون» جديدة فى سيارتك واستبدالها فى فترات منتظمة . فهكذا تنعم بمحرك أسرع قياماً ، وتزداد ثقة بما يتيحه لك محرك مبادر سريع من أمان وطمأنينة .
CHAMPION
CHAMPION SPARK PLUG COMPANY Toledo, U.S.A. • Windsor, Can. • Feltham, Eng.

ستوديبيكر يعلن عن

سيارات جديدة لعالم جديد

تصميم سباق ! صناعة باهرة !
أداء ممتاز ! اقتصاد لا نظير له !

لقد بدأ شحن سيارات «ستوديبيكر شامبيون» الجديدة الجميلة التى تنتجها مؤسسة «ستوديبيكر». ونحن لا ندخر وسعاً للتعجيل فى إرسالها إلى آلاف من عملاء «ستوديبيكر» الكرام فى مختلف أرجاء العالم.

STUDEBAKER
مشهور فى جميع ارجاء العالم
كرمز الامتياز فى السيارات ومركبات النقل

النجاح اليوم مجهز بالراديو

معدات الراديو RCA للاتصال المباشر تحملك إلى أبعد مما تستطيعه الوسائل المألوفة

إن الصناعات الحديثة التى تتولى ، فى شتى أقطار الأرض ، أعمالا منتشرة فى أصقاع مترامية الأطراف ، وعرة المسالك ، قد وجدت أن النجاح اليوم مزوَّد بالراديو . والشركات التى تتولى استخراج المعادن من المناجم ، واستنباط البترول ، وأعمال الملاحة والطيران ، واستغلال المزارع الواسعة ، وغيرها من الصناعات الكبيرة ، تستخدم اليوم معدات RCA الخاصة بالاتصال المباشر كوسيلة أساسية من وسائل المخاطبات .

على أن أجهزة الاتصال اللاسلكى الخاصة لاتغنى عن وسائل الاتصال التجارى المتبعة ولكنها بالأحرى — تكملها ، إذ تحملك إلى أبعد مما تستطيعه الوسائل المألوفة — وتمكنك مما لا تستطيعه ، فتهيىء لك نظاماً كاملا محكماً للاتصال المباشر يلائم حاجتك وطلباتك الخاصة .

إن النجاح اليوم مزوَّد بالراديو . وأيَّا كانت البقعة التى تعمل فيها شركتك أو أحد فروعها فإن مؤسسة RCA تضع ثمار تجربتها الدولية الواسعة فى خدمتك . و RCA ترحب بكلّ فرصة لخدمة كل من يريد أن يستعين بالراديو وسائر معداته على التأهب لمستقبل أعظم وأمجد .

RCA INTERNATIONAL DIVISION

RCA

RADIO CORPORATION of AMERICA

745 FIFTH AVE., NEW YORK, N.Y., U.S.A.

NORDBERG تعلن

تعلن مؤسسه « نوردبرج » أن الاتفاقات قد أبرمت ،
لتمثيلها فى الشرقين الأدنى والأوسط ، وأنها ستمد ممثليها بمجموعتها الكاملة من محركات ديزل البحرية ، والثابتة ، فى طرازيها المألوفين (دورتين و ٤ دورات) وفى أحجام منوعة تولد مقادير متفاوتة من الطاقة تصل إلى ٨٥٠٠ حصان . وسوف تمدهم أيضاً بمجموعة معدات « نوردبرج » الكبيرة لصيانة منشئات السكك الحديدية . ووكلاؤنا هم شركة أميريكان إيسترن كوربوريشن بنيويورك التى لها مكاتب وفروع فى الأقطار الآتية :

فى القطر المصرى والسودان ، الحبشة ، شرق الأردن
فلسطين ، تركيا ، قبرص ، سوريا ولبنان

الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة
٤١ شارع صفية زغلول بالإسكندرية
٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة

فى المملكة العربية ، **أمريكان إيسترن كوربوريشن** بجدة
فى إيران . **أمريكان إيسترن ليمتد** ، ش روزفلت بطهران

فى العراق
الشركة الأمريكية العراقية للملاحة ليمتد
٢٨٢/٩ شارع المستنصر ببغداد ، شارع الملك فيصل بالبصرة

NORDBERG MFG. Co. Milwaukee, Wisconsin, U. S. A.

"نوردبرج" ماكينات ديزل

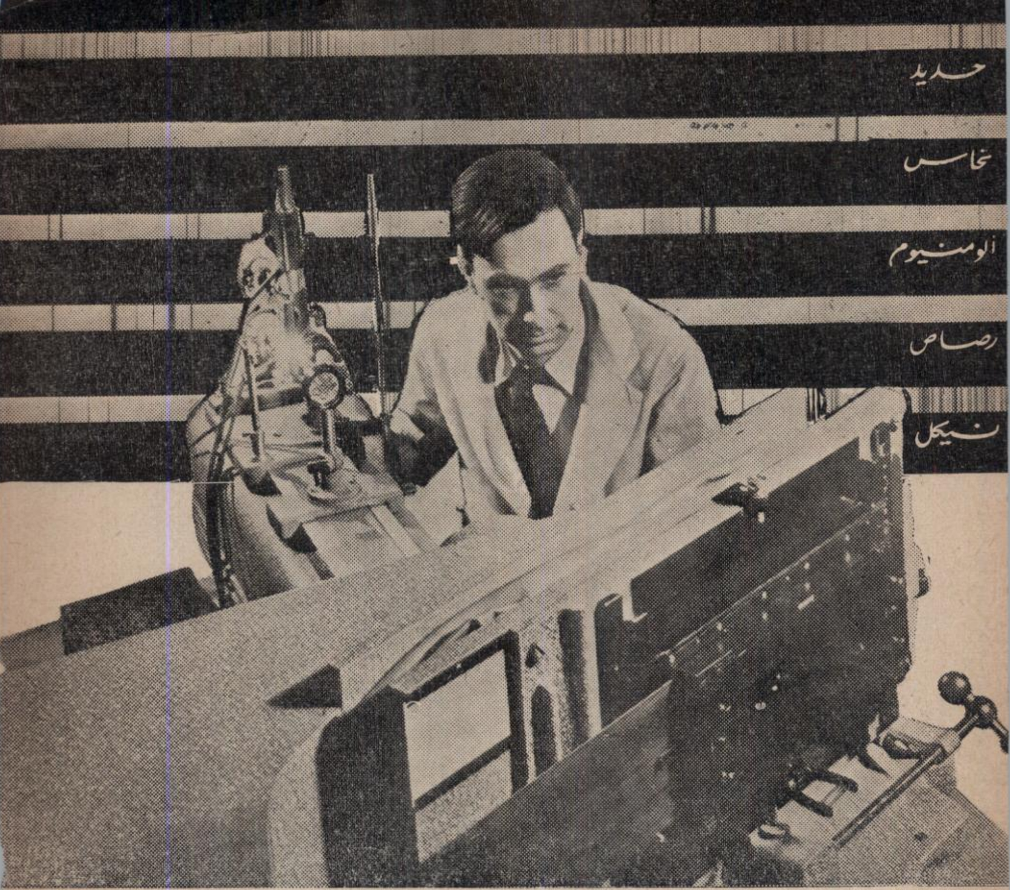

كيف تجد الذهب ... فى طرف قوس قزح

هـذه هى الآلة التى أثبتت صدق الأسطورة القديمة عن وجود الذهب فى نهاية قوس قزح . إنها آلة المطياف المصوِّر (سبكتروجراف) الحديثة التى تصنعها شركة « بوش ولومب » . فهى تسبر غور الأسرار الكونية مستعينة بنفس مبادىء الضوء التى تسبب ظهور قوس قزح .

فإذا ما أخذت من معدن أو مركب كيميائى مقداراً أصغر من رأس الدبوس وصهرته فى حرارة القوس الكهربائية ظهر على لوحة السبكتروجراف طيف يشبه قوس . قزح تتبدَّى فيه الخطوط الدالة على العناصر بغير غموض أو إبهام . ويستطيع مستعمل السبكتروجراف ، أن يتعرَّف بوساطة لوحة فوتوغرافية على العناصر التى يتكون منها النموذج ، حتى ولو بلغت من الضآلة ١ إلى ١٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ . وأغلب أبحاث اليوم فى المعادن ، والأغذية ، والمركبات الكيميائية تعتمد على هذه الآلة البصرية المحكمة .

بوش ولومب

BAUSCH & LOMB

عدسات	شركة
ROCHESTER, N.Y., U.S.A.	ESTABLISHED IN 1853

BETHLEHEM STEEL

السطوح الفولاذية المتينة

إن صفائح الصلب التى تنتجها شركة « بثلهم ستيل » لتسقيف البيوت قوية ، متينة ، سهلة التركيب . وتتيح وقاية عظيمة ضد عوادى الزمن وتقلبات الجو . صفائح « بثلهم ستيل » للتسقيف مصنوعة من صلب مختار مغطى بطبقة محكمة من الزنك الممتاز المقاوم للصدأ .

فإذا أردت الحصول على أفضل صفائح التسقيف أو أى صنف آخر من منتجات الصلب . عليك بشركة « بثلهم ستيل » التى تعد من أعظم الشركات لإنتاج الصلب فى العالم .

ولشركة « بثلهم ستيل » منتجات أخرى من الصلب منها الهياكل الهندسية للبناء ، والألواح ، والقضبان الحديدية ، والروافد ، والأسلاك ، والحبال المعدنية ، وأنواع الصلب المخلوط ، وألواح القصدير .

Bethlehem Steel Export Corporation

25 Broadway, New York, U.S.A.

الوكلاء فى القطر المصرى : شركة الدلتا التجارية ش . م . م .

فى العراق : ستانلى شعشوعة — فى فلسطين : رافائيل ملتز

فى سوريا ولبنان مشيل صحناوى وولده

لماذا يفضل ملايين الرجال شفرات جيليت ؟
لأنها تعطى اسرع وأنعم حلاقة في العالم . وقد
تجد صعوبة في الحصول عليها ، لان انتاجها لايزال
محدوداً ، فابحث عنها لأنها جديرة بذلك .

شفرات جيليت

١٢ شفرة جيليت "استندرد" بـ ١١

TRADE Gillette MARK

C.R. 4954
وفر نقودك
باستعمال زيوت موبيلويل

[تتمة مقالة الغلاف]

« ومع ذلك أقول لك يا أختي العزيزة النائية ، إنني أقرأ مجلة ريدرز دايجست كل شهر . فهي فيما أرى لا تقتصر على موافاتي بما ينبغي أن أقرأه مفرغاً في قالب مختصر ميسَّر ، بل تدلُّني أيضاً على مَظانّه . وعندي أنه لا غنى لي عن تسعة أعشار ما تحتويه . وقد ألقى في الحين بعد الحين مقالة عن تربية الدواجن أو الهندسة فأتخطاها ، ولكنني أطالعها في الأغلب الأعمّ من الغلاف إلى الغلاف ، ثم ألفي نفسي وبعض ما حصَّلته منها من معنى أو تعبير ، يدور على لساني في حديثي مع الناس .

« وقد تكون المقالة مقالة عن روسيا أو الصين أو المكسيك ، أو قد تكون فقرة مختصرة فيها نكتة بارعة ، أو عبارة موجزة تنطوي على حكمة نادرة ، فإذا معانيها تعلق بذهني وتدور في نفسي .

« وكل هذا من عناصر ذلك الشيء العزيز الغامض المبهم الذي نسميه « الثقافة » وإنه لشيء عجيب . وهو الذي يتيح للمرأة أن تشترك في الحديث اشتراكا بارعاً مجدياً ، فتظفر بالتقدير والإعجاب .

« والثقافة هي أول مراحل الحديث . ولست أقصد بالحديث الثرثرة بالغِيبة والتوافه ، بل أعني أن يبدي أحدهم رأياً في موضوع ، فيتناوله آخر ويضيف إليه معنى من المعاني التي تحضره ، ويتخذه ثالث مطية لموضوع آخر له صلة به . وهكذا تنقضي السهرة ، وكأن الحديث كأس ملؤها خمر — هي خمر القرائح . ومجلة ريدرز دايجست تخلق هذا الضرب من الحديث النافع المسكِر » .

وحين أكتب مثل ذلك ، إلى هؤلاء النسوة ، أحسُّ بأنني واثقة من حسن ما فعلت . فقد أدركتُ بنفسي قيمة هذه المجلة التي تصلني اثنتي عشرة مرة كل سنة ، فأجد من اليسير على أن أحملها ، ومن اليسير أن أطالعها ، ومن اليسير أن أتذكر ما فيها . وهي تعينني على أن أتتبع ما يزخر به العالم في الاجتماع والسياسة والأدب ، ومع ذلك تدع لي فسحة من الوقت أقرأ فيها شكسبير ، أو أتصفح الكتب . وأول ما يتبينه القارىء الجديد — أو القارئة الجديدة — هو أن هذه مجلة لا غنى عنها .

إلى أختى : القارئة العربية

كاثلين نوريس
الكاتبة الروائية المشهورة ، مؤلفة "تفاحة حواء"
و "جدران من الذهب" و "الأم" و ٦٤ رواية أخرى

للمكان الذى تقطنه المرأة شأن عظيم فى حياتها فإذا نقل زوجها إلى منصب فى مكان بعيد ، كمنجم فى أقاصى كندا ، أو مزرعة نائية فى جبال كاليفورنيا، أو بلدة صغيرة فى السهول المترامية ، ألحّ عليها الجزع من أنها ستنقطع صلتها بتيار الحياة ، وأنها ستقضى حياتها يوماً بعد يوم لا تدرى ما تزخر به الدنيا فى ميادين السياسة والأدب والعلم والفن ، وأن جلدها سيتغضّن ، وأن بريق شعرها سينطفىء ، وأنها إذا لقيت أترابها من النساء المستمتعات بالحياة أنكرنها .

وفى كل سنة تكتب إلى مئات من هؤلاء النسوة يسألننى ما ينبغى لهنّ أن يفعلنَ ، فهنّ يردن أن يرافقن أزواجهنّ ، وأن يتغلبنّ على مشاق الحياة الجديدة ، وأن يتحن لأسرهن خير ما يمكن من بيت رضى وعيشة هانئة ، ولا يحجمن عن التضحية واحتمال شظف العيش ، ولكنهنّ يأبينَ أن يكنّ لقى مهملاً فى بيداء الحياة .

فأكتب إليهن مشيرة عليهن بأن ينصرفن إلى العمل دون التحسر ، وأن يعنين بقدودهن وبشرتهن وشعرهن ، وأن يتخذن من جارة قريبة ، رفيقةً فى دراسة لغة جديدة — وأن يداومن على المطالعة .

وكثيراً ما أقول لهنّ على ذكر المطالعة : « أسمعت بمجلة ريدرز دايجست ؟ أنا أكبر منك سنًّا ، وعندى مكتبة فيها عشرة آلاف كتاب ، ودارى زاخرة بجميع مجلات العالم ، وإذا التمست شيئاً أقرؤه، ولم أجده فى المكتبة أو فى هذه المجلات ، تيسر لى الظفر به من أهون سبيل .

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية